ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية

إعداد

طارق محمود محمود أبو هدهود

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في

التـــــاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

نيسان ٢٠٠٩ م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة "ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخيــة" وأجيـــزت بتـــاريخ ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٩م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيـــع
١ ـــ الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري ـــ مشرفاً أستاذ التاريخ الإسلامي / قسم التاريخ الجامعة الأردنية	....
٢ ـــ الأستاذ الدكتور صالح درادكة ـــ عضواً أستاذ التاريخ الإسلامي / قسم التاريخ الجامعة الأردنية	....
٣ ـــ الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة ـــ عضواً أستاذ التاريخ الإسلامي / قسم التاريخ جامعة مؤتـــة	....
٤ ـــ الدكتورة غيداء خزنة كاتبي ـــ عضواً أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ الجامعة الأردنية	....

الإهــداء

إلى الذين أكن لهم كل محبتي واعتزازي
والدَيّ وإخوتي وزوجتي وأولادي ...

طــارق

شكـــر وتقديـــر

أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي القدير الدكتور عبـــد العزيـــز الدوري الذي غمرني برعايته ومنحني من علمه وصبره طيلة فتـــرة إعـــداد هـــذه الدراسة، فله مني تقدير واعتزاز لا يوازيهما إلا حاجتي المستمرة إلى علمه.

وكل المحبة والتقدير لأساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ لتشجيعهم المـــستمر طيلة مراحل الدراسة. وأشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقـــشة لتفـــضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة.

كما أشكر زملائي في قسم التاريخ وأخص منهم الدكتور رياض حمودة "حـــاج ياسين"، وكذا أصدقائي الدكتور لبيب جبران وحسين وشاح وعطا النجار.

وأشكر السادة موظفي مكتبة الجامعة الأردنية لما أبدَوه من تعاون لا نظير له عبر مراحل دراستي الجامعية المختلفة، وأخص منهم السيدين جواد البنـــا وأيمـــن ماضـــي.

والشكر الجزيل والامتنان العظيم للسادة والسيدات في مكتبة أمانة عمان، فقد كان لتعاونهم دور كبير في إنجاز هذا العمل، وأخص منهم السيدة رندة العلمي وكلاً من السيدات والآنسات سناء العبادي ورشا البياري ووفاء الهواري وآلاء الـــسعود وحنان البلبيسي.

والله ولي التوفيق

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

خُطة ابن الأثير ونواحي اهتمامه

الفصل الثالث

مصـــادر ابن الأثيــر

الفصل الرابـــع

منـهج ابن الأثير في كتاب "الكامل في التاريخ"

المختصرات والرموز:

١ـ يُذكر في الحاشية اسم المؤلف وكتابه مختصَراً، بعد أن يُذكر كاملاً عند وروده أول مرة، مثلاً: ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤١٦ / ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص١٤٢.

٢ـ إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب يبتدىء بالكلمة نفسها، يُذكر اسم الكتاب كاملاً، مثلاً: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٠ / ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص٥٢.

٣ـ الرموز الآتية تعني ما يلي:

ص: صفحة.

ج: جزء.

ط: طبعة.

ع: عدد.

ت: توفي.

مج: مجلد.

م: ميلادي.

هـ: هجري.

(بلا ت): بلا تاريخ نشر.

(بلا ر ع): دورية بلا رقم عدد.

VOL: VOLUM

P: PAGE

ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية

إعداد

طارق محمود محمود أبو هدهود

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

ملخـــــــــص

تناقش هذه الدراسة دور عز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) في كتابة التاريخ، وتحاول التعرف إلى خطته والنواحي التي نالت اهتمامه، ثم مصادره وخطوط المنهج الذي سار عليه في كتابته.

كتب ابن الأثير أربعة مؤلفات تتدرج ضمن حقل الكتابة التاريخية وهي: "اللباب في تهذيب الأنساب" و"أسد الغابة في معرفة الصحابة" و"التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية" و"الكامل في التاريخ". وقد ركـَّزت الدراسة على "الكامل في التاريخ" لأن خطوط المنهج لدى ابن الأثير تتجلى أكثر في هذا الكتاب.

وخلصت الدراسة إلى أن ابن الأثير حافظ في كتابه على وحدة الموضوع في إطار التسلسل الزمني للحوادث.

وقد تنوعت نواحي اهتمامه، ومع أن مادته اتخذت طابع التاريخ السياسي والعسكري في خطوطها العامة، إلا أن قسماً منها اشتمل على نواح ثقافية واقتصادية واجتماعية. وهذه النواحي جاءت في سياق عناية ابن الأثير بكل ما يؤثر في حياة الناس واستقرار المجتمع.

كانت لدى ابن الأثير نظرة خاصة ومستقلة إلى مصادره وإلى الموضوعات التي تناولها، فقد نقـَد مصادره في أغلب الأحيان، وأعطى رأيه فيها وفي المادة التاريخية التي توفرت له.

لم يكن لميول ابن الأثير تأثير في موضوعيته بصورة عامة، كما أن أحكامه على الحوادث والشخصيات العامة جاءت من زاوية حرصه على مصلحة الأمة.

المقــدمــة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور عز الدين بن الأثير في كتابــة التــاريخ، وتحــاول التعرف إلى مادته التاريخية ونواحي اهتمامه ومصادره وخطوط المنهج الذي ســار عليــه فــي مؤلفاته، مركــِّزة بشكل أساسي على كتابه "الكامــل فــي التاريــخ".

قــدّم ابن الأثير أعمالاً تاريخية ضخمة تمثلت في أربعة مصنفات هي: "الكامل في التــاريخ"، وهو في التاريخ العالمي. و"التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية" الذي كرّسه لأخبار دولــة الأتابكــة الزنكيين. و"اللباب في تهذيب الأنساب" الذي قدّم فيه صياغة جديدة لكتــاب "الأنســاب" لأبي ســعد السمعاني. ثم "أسد الغابة في معرفة الصحابة" الذي تناول فيه سيرة حياة الصحابة على شكل معجــم مرتب على حروف الهجــاء.

لكن "الكامل في التاريخ" يبقى العمل الأهم لابن الأثير، فهذا الكتاب ومعه، بدرجة أقل، كتــاب "الباهر" هما اللذان أكسبا ابن الأثير الشهرة كمؤرخ، لأنهما كوّنا بكليتهما إنتاج ابن الأثير الخــاص؛ فهما ليسا تنقيحاً أو تلخيصاً أو إضافة إلى أعمال سابقة كما هو الحال في "أسد الغابة" و"اللبــــاب". كما أن خطوط المنهج لدى ابن الأثير تتجلى أكثر في كتاب "الكامل" أولاً، ثم في كتاب "الباهر".

أراد ابن الأثير لكتاب "الكامل" أن يكون متوازناً زمنياً وجغرافيــاً، فتنــاول زمنيــاً التــاريخ العالمي منذ بدء الخليقة وحتى عصره، واشتمل جغرافياً على المشرق الإســلامي ومغربــه، بــل وتجاوزه إلى بعض مناطق العالم المعروف لديه كالصين والهند.

استفاد ابن الأثير من مصادر متنوعة، وهي تشمل المصادر المكتوبة مــن كتــب ورســائل شخصية ووثائق رسمية، ثم المصادر الشفوية وشهود العيان، وكذا مشاهداته واتصالاته الشخصية في أحداث عصره. لذا جاءت جهوده متميزة، وشكلت تطوراً في خطوط الكتابة التاريخيــة عنــد المسلمين في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

ومع ذلك لم تتوفر لهذا المؤرخ دراسات شاملة وجادة وعميقة، إذ إن أكثر ما كـُتب عنه لــم يفِ ابن الأثير المؤرخ حقه سوى ما اشتمل عليه من معلومات تفيد في الثقافة العامة. ويُستثنى من ذلك دراسة الدكتورة منى حماد التي تناولت موضوعاً جانبياً تحدَّد بإجراء مقارنة منهجية بين مــا كتبه كل من ابن الأثير ووليم الصوري عن الحملة الصليبية الأولــى. من هنا وقع الاختيار علــى ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية موضوعاً للبحث.

تشتمل هذه الدراسة على أربعة فصول ومقدمة وخاتمة: تناول الفصل الأول منها نشأة ابن الأثير وثقافته. حيث تعرّض لعوامل تكوين شخصية ابن الأثير؛ كالبيئة الأرستقراطية والثقافية التي نشأ فيها، وعلاقة أسرته بحكام الموصل، ورحلاته بين الموصل وبغداد والحجاز ودمشق التي أتاحت له فرصة الاتصال بمن فيها من محدِّثين وفقهاء ورجال حاشية. ثم صلته الشخصية بإدارة الموصل في عهد آل زنكي التي جعلته في وضع يسمح له بالاطلاع على الوثائق الرسمية. وكذلك اطلاعه على كتب التاريخ العام والتراجم والأنساب التي انتفع بها في مصنفاته. ثم تناول تأثير ذلك كله في ثقافة ابن الأثير التي تركزت في علوم الحديث والتاريخ وأنساب العرب ووقائعهم، وقد انعكست هذه الثقافة بدورها على كتاباته التاريخية.

وحاول هذا الفصل أيضاً أن يرسم صورة عامة عن مؤلفات ابن الأثير، مع شيء من التركيز على كتاب "الباهر"، تمهيداً للبحث في منهج ابن الأثير في كتاب "الكامل" الذي استغرق الفصول الثلاثة الأخرى. وخُتم الفصل بإلقاء الضوء على الكتابة التاريخية في عصر ابن الأثير مستعرضاً أهم الدراسات التاريخية التي ظهرت في ذلك العصر.

أما الفصل الثاني فقد خُصص لخُطة ابن الأثير في "الكامل" ونواحي اهتمامه، إذ تناول في القسم المتعلق بالخُطة عناية ابن الأثير بما يمكن تسميته بـ "السياق التاريخي" الذي مزج فيه بين الكتابة على السنين "نظام الحوليات" والكتابة حسب الموضوعات، فالتزم الترتيب الزمني للحوادث محافظاً على وحدة الموضوع. إذ وضع الحوادث ضمن سياق تاريخي متصل، ليرسم صورة متكاملة عنها حتى يتمكن القارىء من الإحاطة بها. ثم جرى تحليل مادة ابن الأثير التي قدّمها في كتاب "الكامل". وفي القسم المتعلق بنواحي اهتمام ابن الأثير تعرّض هذا الفصل للجوانب التي أولاها ابن الأثير عنايته بشكل ملفت، كالجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. وكذلك الموضوعات المتعلقة بالفتن الداخلية والظواهر الطبيعية والتقاويم والكوارث إضافة إلى المصالح العامة.

وخُصص الفصل الثالث لمصادر ابن الأثير في كتاب "الكامل"، فاستعرض تلك المصادر تبعاً للفترات التي تناولها، وخُصص جزء من هذا الفصل لمناقشة أهمية تاريخ الطبري بالنسبة لابن الأثير. وقد تبيّن من المقارنة بين بعض المواد في الكتابين أن ابن الأثير لم يكن يسير في ظل الطبري كما هو شائع، أي أنه لم يعتمد عليه كلياً في مادته المتعلقة بموضوعات بدء الخليقة والزمن القديم والتاريخ الإسلامي حتى بداية القرن الرابع الهجري، وإنما استند إلى مصادر أخرى

صرّح ببعضها ولم يصرّح بالبعض الآخر. كما أنه تدَخّل في مادة الطبري، حيث دمج الروايات المتعددة التي أوردها الطبري للحادثة الواحدة في خبر واحد وضمن سياق متصل، فاعتمد الرواية التي يرى أنها الأتم من حيث المحتوى، ثم أضاف إليها تفاصيل من روايات أخرى أو من مصادر أخرى، وفق مبدأ "الانتقاء" الذي قام عليه منهجه في تعامله مع مصادره. إذن فابن الأثير لم يكن مجرد ناقل للمعلومات التي توفرت لديه، وإنما كان ينتقي الأخبار ويتحرى الدقة وينتقد مصادره ويرجح ويصوب ويعطي رأيه. وأدرك ابن الأثير قيمة المصادر الشفوية والمشاهدة والمعاينة للوقائع، لذا جاءت إشاراته إليها كثيرة، خاصة في مادته عن الفترة الصليبية، وهذا منتظر لكونه معاصراً لها وشاهد عيان لبعض الأحداث، ولاتصاله ببعض من شاركوا فيها.

وكُرِّس الفصل الرابع من هذه الدراسة للبحث في منهج ابن الأثير، وبحَث أسلوبه في معالجة مادته التاريخية، من ناحية تنظيمه لها، والسمات الفنية لأسلوبه والترابط الموضوعي الذي تميز به، ثم نزوعه إلى الاختصار وعدم التكرار. ثم بحَث النظرة النقدية لدى ابن الأثير، من ناحية الدقة وعدم المغالاة، وسمة الترجيح والاجتهاد التي تميز بها ابن الأثير، ثم نظرته إلى الحوادث والشخصيات العامة. وتناول هذا الفصل أيضاً نظرة ابن الأثير إلى التاريخ، إذ يرى أنه لا تناقض بين الأثر الكبير للمشيئة الإلهية في حركة التاريخ ودور الإنسان المركزي في صنع الحوادث، فالأسباب الواقعية البشرية للحوادث والتي حرص ابن الأثير باستمرار على إيرادها، تأتي كلها ضمن إطار أكبر هو مشيئة الله وقدَره.

ويمكن تلخيص أهم الأهداف من هذه الدراسة على النحو الآتي:

- التعرف إلى مكونات ثقافة ابن الأثير وفكره التاريخي والتي أثرت في كتابته التاريخية.
- رسم صورة واضحة لخطة ابن الأثير ونواحي اهتمامه في مادة "الكامل في التاريخ".
- التعرف إلى مصادر ابن الأثير في "الكامل".
- إلقاء الضوء على خطوط المنهج التي سار عليها ابن الأثير في تاريخه.
- تبيُّن نظرة ابن الأثير النقدية سواء للمادة التاريخية أو للمصادر.
- الكشف عن ميول ابن الأثير ومعرفة مدى تأثيرها على موضوعيته.

وهكذا حاولت هذه الدراسة أن تغطي جانباً مهماً من الدراسات التاريخية، وأن تبرز دور ابن الأثير في كتابة التاريخ في القرنين السادس والسابع الهجريين، وما يمثله ذلك من أهمية في تتبع تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين.

الفصل الأول

ابن الأثيــر: حياتــه وبيئتــه

أولاً: نشأتــه وثقافتــه

ثانياً: مؤلفاتــه

١ــ "اللباب في تهذيب الأنساب"

٢ــ "أسد الغابة في معرفة الصحابة"

٣ــ "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية"

٤ــ "الكامل في التاريخ"

ثالثاً: بيئته والكتابة التاريخية في عصره

أولاً: نشأة ابن الأثيـــر وثقافتـــه

نشأ عز الدين بن الأثير في بيئة ثقافية أثـّرت في دراساته التاريخية، فأسرته ضـمت إثنـين اكتسبا سمعة طيبة في المجال الثقافي؛ أخاه الأكبر مجد الدين أبـا السعـادات المبـارك الكاتـب (٥٤٤ هـ / ١١٥٠ م ـ ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م)، [١] الذي صنّف كتباً عدة في علـوم التفـسير والفقه والحديث والنحو واللغة وفي صناعة الكتابة، [٢] وأخاه الأصغر ضياء الـدين أبـا الفتـح نصر الله (٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م ـ ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)، [٣] الذي انصرف إلى علـوم اللغـة وفنون النظم والكتابة، [٤] ويعد كتابه المشهور "المثل السائر في أدب الكاتب والـشاعر" مـصدراً أساسياً في البلاغـة. [٥]

وقد تضافرت لهذه الأسرة خصائص الأسر العريقة؛ كالنسب والثراء والمشاركة فـي الحيـاة العامة، فإلى جانب نسبها العربي من بني شيبان، فهي أيـضاً أسـرة ثريـة امتلكـت عقـارات وإقطاعات؛ فقد كان لوالد أبناء الأثير أبي الكرم محمد أثير الدين بساتين عدة في قرية "العقيمـة"

---

(١) ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التـاريخ، ط٦، ١٣ جـزءاً، دار صادر، بيروت، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م. ج١٢، ص٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٢٨٨ ؛ المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبـد القـوي، (ت ٦٥٦ هـ)، التكملة لوفيات النقـلة، ٦ أجزاء، تحقيق بشار عواد معروف، مطبعة عيسى البابي الحلبـي، القـاهرة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م، ج٣، ص ٣١٠ ؛ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمـد، (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، ج٤، ص١٤١.

(٣) المنذري، التكملة، ج٦، ص٣٤١ ـ ٣٤٢ .

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٤٢ ؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج٥، ص٣٩١ ـ ٣٩٢ ؛ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، (ت ٧٧٢ هـ)، طبقات الشافعية، ط١، مجلدان، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، ج١، ص١٣٣.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المعرّبة، ١٥م، دار الشعب، القاهرة، بلا ت، ج١، مادة "ابن الأثير"، كتبها عبد الحميد العبادي، ص٨٢ ـ ٨٤.

المجاورة لجزيرة ابن عمــر، وقرية "قصر حرب" الواقعة جنوب الموصل، وكان كــذلك يعمــل بالتجـــارة. [١]

وكان لهذه الأسرة نفوذ واسع، لمكانتها الاجتماعية لدى أمراء الجزيرة والموصل وحكام الشام ومصر؛ إذ شغل أفرادها مناصب حكومية رفيعة، فوالدهم أثير الدين شغل وظيفة رئيس ديوان جزيرة ابن عمر ونائب أتابك الموصل فيهـــا، [٢] وابنه مجد الدين كان مقرباً من الأمير قايماز، "وكتب بين يديه منشئاً"، ثم اتصل بعزالدين مسعود بن مودود أمير الموصل ومن بعده بولده نور الدين، وتولى لهما ديوان الرسائــل. [٣] أما ضياء الدين فقد اتصل بخدمة صلاح الدين ثم ولده الملك الأفضل في دمشق الذي قربه منه وعينه وزيراً، فاستقل بالوزارة " ورُدت أمور الناس إليه وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه "، [٤] ثم اتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب قبل أن يعود إلى الموصل ويستقر فيها، وهناك كَتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه. [٥]

وقد تحدث ابن الأثير عن مكانة أسرته لدى حكام الموصل في مقدمة كتابه "التـــاريخ البـــاهر في الدولة الأتابكية"، معترفاً بفضل هذه الدولة على أسرته، ولا سيما الملك نـــور الدين أرســـلان شاه الذي قرّبها منه واتخذ أبناءها مستشارين له. [٦]

---

(١) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ط١، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثــة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م، ص ١٤٧، ١٥٥ ؛ الكامــل ، ج٥، ص٥٧٢، ج١٢، ص٨٢ ؛ طليمات، عبد القادر أحمد، ابن الأثير الجزري المؤرخ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنــشر ودار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٣ ــ ١٤.

(٢) ابن الأثير، الباهر، ص١٤٧، ١٤٨ ؛ طليمات، ابن الأثير، ص١٣.

(٣) ابن الأثير، الباهر، ص١٨٥ وما يليها ؛ الكامل، ج١٢، ص٩٩ ؛ ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص١٤٢.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٩٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٩١.

(٦) ابن الأثير، الباهر، ص ١٩٠ ــ ١٩١ ؛ طليمات، ابن الأثير، ص١٦ ــ ١٧ ؛ وعن البيئــة الــسياسية للجزيرة الفراتية في القرن السادس الهجري والتي عاشت أسرة ابن الأثير في ظلها انظر: نصر، سوسن محمد (١٩٩٠م)، منطقة الجزيرة الفراتية بين التفكك والوحدة خلال القرن الــسادس الهجــري، مجلــة الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ع٧، ص٧٥ ــ ١١٥.

وأشار ابن الأثير أيضاً إلى وظيفة والده لدى قطب الدين مودود بن زنكي بقولـه: " حـدثني والدي، رحمه الله، قال: كنتُ أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين ... " [١]

ولد أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبـد الكـريم بـن عبـد الواحـد الشيبانـي، المعروف بعز الدين بن الأثير الجَزَري [٢] في الرابع من جمـادى الأولـى سنـة (٥٥٥ هـ) الثاني عشر من أيار سنة (١١٦٠ م) في جزيرة ابن عمر، ونشأ فيها ثم استقر فـي الموصل مع والده وأخويه. [٣]

وزار ابن الأثير بغداد مرات عدة " حاجاً ورسولاً من صاحب الموصل ". ورحل إلى دمشق والقدس وحلب، ثم عاد إلى الموصل " ولزم بيته منقطعاً إلى التوفر علـى النظـر فـي العلـم والتصنيـف ". [٤] وتوفي في شعبان سنة (٦٣٠ هـ) حزيران سنة (١٢٣٣ م). [٥]

وعلى الرغم من شهرة عز الدين بن الأثير محدثاً ومؤرخاً وتأثير أعماله التي حُفظت، إلا أن

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٥٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٨.

(٣) المنذري، التكملة، ج٦، ص٧٥ ؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٨ ــ ٣٤٩ ؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت ٧٣٢ هـ)، المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، دار المعرفة، بيروت، بلا ت، ج٣، ص١٥٤ ؛ السبكي، تاج الديـن عبد الوهـاب بـن علـي، (ت ٧٧١ هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ط١، ١٠ أجزاء، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبـي، القاهـرة، ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٤م، ج٨، ص٢٩٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٨ ؛ انظر أيضـاً: المنـذري، التكملة، ج٦، ص٧٥ ــ ٧٦ ؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج٣ ، ١٥٤ ؛ الذهبـي، شمـس الديـن، محمـد بـن أحمد، (ت ٧٤٨ هـ)، كتاب تذكرة الحفـّاظ، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت، ج٤، ص١٣٩٩ ــ ١٤٠٠ ؛ سيَر أعلام النبلاء، ٢٣ جزءاً، ج ٢٢، ط١، تحقيق بشار عواد معروف ومحي الدين هلال السرحان، مؤسسة الرسالـة، بيـروت، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م، ص٣٥٣ وما يليها.

(٥) المنذري، التكملة، ج٦، ص٧٤ ــ ٧٥ ؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٩ ؛ طاش كبري زاده، أحمد ابن مصطفى، (ت ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، ٣ اجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م، ج١، ص٢٣٣ ؛ انظر أيضاً: سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هـ ــ ١٩٢٨م، ص٣٦.

المعلومات عن ظروف حياته ما تزال قليلة، وجُل من ترجموا له تابعوا ما كتبه ابن خلكان عنه في ترجمة قصيرة، وحتى كتّاب التراجم من معاصريه، كياقوت والقفطي اللذيْن التقيا به، لم يتركوا لنا أية إشارة إليه،علماً بأن القفطي نفسه وضع ترجمة لأخيه مجد الدين في كتابه "إنباه الرواة على أنباه النحاة" مستنداً إلى معلومات قدمها له عز الدين نفسه، [1] كما أن عز الدين لم يتحدث كثيراً عن نفسه. [2]

بدأ عز الدين حياته تلميذاً في كتاتيب الجزيرة ومدارسها، ثم في مساجدها، ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب وعلوم اللغة والدين. وبعد ذلك التحق بمساجد الموصل إثر انتقاله مع أسرته إليها، إذ تنقّل بين شيوخها يستمع إليهم ويقرأ عليهم. [3]

ويؤكد هو نفسه ذلك من خلال إشارات وردت في "الكامل"؛ ففي شهر رمضان من سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) " انكسفت الشمس جميعها وأظلمت الأرض حتى بقي الوقت كأنه ليل مظلم ... وكنتُ حينئذ صبياً بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء أقرأ عليه الحساب، فلما رأيتُ ذلك خفتُ خوفاً شديداً، وتمسكتُ به، فقوّى قلبي، وكان عالماً بالنجوم أيضاً، وقال لي: الآن ترى هذا جميعه، فانصرف سريعاً. " [4] وذكر أيضاً أنه صحب علي بن خطاب بن ظفر " الشيخ الصالح من جزيرة ابن عمر، وكان من الأولياء أرباب الكرامات... " [5]

---

(١) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، (ت ٦٢٤ هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط١، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ج٣ ، ص٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(٢) انظر: طليمات، ابن الأثير، ص١٨ ـ ١٩ ؛ وعمار، جمال فوزي، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (٥٢١ ـ ٦٦٠هـ)، ط١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٧٧ ؛ قام حسين علي محفوظ بعمل ببليوغرافيا أولية للمصادر والمراجع التي أشارت إلى أبناء الأثير، وقد أفادت منها هذه الدراسة، محفوظ، حسين علي (١٩٨٢م)، أبناء الأثير في المراجع العربية والأجنبية، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ص١٠١ وما يليها.

(٣) شميساني، حسن، عزالدين بن الأثير الجَزَري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، ص٣٥ وما يليها.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٦٣.

وفي الموصل تلقى علومه على يد نخبة من علمائها؛ منهم الشيخ أبو الحرم مكي بن ريان ابن شبة النحوي المقريء (ت ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م)، الذي " كان عارفاً بالنحو واللغة والقراءات، لم يكن في زمانه مثله ... وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة ". (١)

وعندما مرّ ببغداد استفاد من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الضرير الفقيه الشافعي (ت ٥٩٣ هـ / ١١٩٧ م)، ومن أبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي الفقيه والمحدّث المعروف بابن سكينة (ت ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م)، وسمع هناك أيضاً من عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحرّاني المحدّث (ت ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م). واستفاد من رحلاته إلى حلب ودمشق والقدس فالتقى بجماعة من العلماء هناك، (٢) وقد ألقى بعض الدروس في الحديث في جامع بني أمية ودار الحديث النورية في دمشق. (٣) كما ألقى دروساً في حلب. (٤)

وفي مقدمة كتابه "أسد الغابة" تحدث ابن الأثير بالتفصيل عن أساتذته والعلوم التي أخذها عنهم، وكانت في الحديث بالدرجة الأولى، ثم في التفسير والفقه، ففي علوم الحديث مثلاً سمع وهو في حلب من محمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م)، وعندما زار بغداد أخذ "الوسيط في التفسير" للواحدي عن عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)، كما تلقى دروساً في الحديث والفقه على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعي (ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م). (٥)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٢٥٨.

(٢) المنذري، التكملة، ج٦، ص٧٥ ؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٨ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٩٩ ؛ سيَر أعلام النبلاء، ج٢٢، ص ٣٥٤.

(٣) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت٦٦٥ هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص٦٩.

(٤) الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٥٤.

(٥) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٥ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا ت، ج١، ص٨ ــ ١١ ؛ انظر أيضاً: المنجد، صلاح الدين، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ط١، ٣ أجزاء، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م، ج٣، ص٦٦ ــ ٦٨.

وهكذا تكونت لدى ابن الأثير ثقافة واسعة، وخصوصاً في علوم الحديث، وقد أثرت هذه الثقافة في أعماله التاريخية، وأكسبته سمعة طيبة لدى معاصريه. فعندما شرع في جمع مادة كتابه "الكامل" أصر عليه تلامذته ومن لزموا مجلسه أن يقرأها عليهم، وسمح لهم بأن يرووها عنه حتى قبل مراجعتها. (١) وقد انتقلت شهرته إلى الشام؛ ففي مقدمة "أسد الغابة" تحدث عن سبب تأليفه الكتاب، بأنه جاء بطلب من " جماعة من أعيان المحدثين وممن يعتني بالحفظ والإتقان "، (٢) وذلك عندما كان في زيارة إلى الشام.

وأشارت بعض المصادر إلى أسماء عدد ممن تتلمذوا على يديه ورووا عنه منهم:عبد الله بن محمد بن الدبيثي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) ، وشهاب الدين القوصي (ت ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م)، ومحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) في دراساته عن تاريخ حلب، وسنقر القضائي (ت ٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) شيخ الذهبي. (٣) وقد كتب لمعاصره المنذري (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) إجازة علمية في الحديث أكثر من مرة. (٤)

وقد غدت الموصل في تلك الفترة حاضرة ثقافية لكونها مركز الدولة الزنكية، لذلك جاء انتقال أسرة ابن الأثير إليها من جزيرة ابن عمر حدثاً فاصلاً ترك أثراً في مسيرتها العلمية. (٥) وقد وجد عز الدين فيها مجالاً أوسع ليواصل تحصيله العلمي، فكان يتردد على مجالس العلم، ومن ثم ينتهز فرصة مسيره إلى الحج أو رحلاته في بعض المهام الرسمية ليجتمع بعلماء بغداد

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٤.

(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤ هـ)، كتاب الوافي بالوفيات، فرانز شتاينر بفسبادن، ألمانيا، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م، ج٢٢، ص١٣٧ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٩٩ ؛ سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٥٥.

(٤) المنذري، التكملة، ج٦، ص٧٦.

(٥) انظر الوصف الذي قدّمه الرحالة ابن جبير لمدينة الموصل، ففيه معلومات مهمة عن النهضة الحضارية التي شهدتها المدينة في الفترة الزنكية، ابن جبير، محمد بن أحمد ، (ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٩١ ـ ٢٩٦ ؛ انظر أيضاً: الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص ٢٥٧ وما يليها.

ويسمع منهم، وكذلك كان ينتهز فرصة تردده إلى الشام ليجتمع بعلمائها. [١]

يبدو أن شهرة ابن الأثير ومقدرته العلمية جعلته محل ثقة الإدارة في الموصل؛ ففي إشارة عابرة لابن كثير ورد أن ابن الأثير "وزر لبعضهم"، [٢] وتحدث ابن الطقطقي عن مهمة رسمية أسندها إليه المتصرف بشؤون الموصل آنذاك بدر الدين لؤلؤ، [٣] إذ حمّله رسالة شفوية سرية ومستعجلة إلى الخليفة في بغداد، [٤] دون أن يذكر شيئاً عن فحواها. ويظهر أن ابن الأثير نفذ المهمة بنجاح. المهم أنه وجد في الرحلة إلى بغداد مناسبة أتاحت له فرصة الدخول إلى دار الخلافة والحصول على بعض المعلومات، بالإضافة إلى اتصاله بعلماء بغداد ومثقفيها.

أما جزيرة ابن عمر فهي إحدى مدن الجزيرة الفراتية، تقع شمال الموصل، [٥] على درجة عرض (٣٧) شمالاً. [٦] وتحيط بها مياه دجلة من ثلاث

---

(١) طليمات، ابن الأثير، ص٢٠ ؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٧م، ص٣٩٤ ؛

Rosenthal. F. (IBN AL ATHIR) . The Encyclopaedia of Islam. new edition. Leiden. E. J. Brill. London, 1971. P 724.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، ١٤ جزءاً، دار الفكر، بيروت، بلا ت، ج١٣، ص١٣٩.

(٣) حكَم بدر الدين الموصل رسمياً في الفترة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ــ ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م).

(٤) ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا، (ت٧٠٩ هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م، ص٦٢.

(٥) ابن خُرداذَبَة، أبوالقاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت حوالي ٣٠٠ هـ)، المسالك والممالك، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا ت، ص٢٤٥ ؛ ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي ، (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م، مادة "جزيرة ابن عمر"، ص١٣٨.

(٦) انظر: الجدول الطوبوغرافي الذي وضعه محمد سعيد رضا عن أهم مدن الجزيرة الفراتية ومواقعها الواردة في كتاب الأعلاق الخطيرة، رضا، محمد سعيد (١٩٨٠م)، ابن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة، "قسم الجزيرة"، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع١٤، ص١٨١ ــ ١٨٨.

جهات. [١] وذكر ياقوت أنه حُفر في الناحية الرابعة " خندق أجري فيه الماء ونصبت عليه رحىً فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق ". [٢] لكن ياقوت لم يحدد الجهة التي حـُفرت فيها هذه القناة، التي أصبحـت علـى مـا يبـدو المجـرى الرئيس للنهـر. [٣] ويبدو أن النهر كان يجـري قديمـاً حـول البلدة مـن ناحيتهـا الغربية في المجرى الذي يكاد يكون جافاً الآن. [٤]

فإذا أخذنا بهذا القول كانت هذه البلدة تقع شرقي المجرى الحديث لدجلة، ويؤكد هذا الاستنتاج قول المقدسي عن سكانها إن " بناءهم حجارة شرقي دجلة ". [٥] وقد بُني حولها سور من الحجارة أيضاً، ويُرى من جهتها الشرقية جبل الجودي الذي يقوم على قمته مسجد نوح. [٦] ويقال إن هذا الجبل هو ذاته المذكور في القرآن " واستوت على الجودي "؛ [٧] أي سفينة نـوح.

وقد أثر موقع جزيرة ابن عمر في خصوبتها؛ إذ امتدت فيها السهول الواسعة ذات البـساتين والمراعي الخضراء، وأنتجت مختلف أنواع المحاصيل والمنتجات الحيوانية، وكانت تربـى فـي مراعيها الخيول، وانتشرت بالقرب منها أديرة للنصارى؛ كدير الزعفران ودير عبـدون وديـر

---

(١) المقدسي، محمد بن أحمد البشاري، (ت ٣٨٠ هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط١، دار السويدي، أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٤٥.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، مادة "جزيرة ابن عمر"، ص١٣٨ ؛ انظر أيضاً: خطاب، محمود شيت (١٩٨٥م)، بلاد الجزيرة قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج ٣٦، ج١، ص١٦.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (المعرّبة)، مجلد ١١، دار الشعب، القاهرة، بلا ت، مادة "جزيرة ابن عمر"، كتبها ر، هارتمان، ص٤٤٣ ـ ٤٤٥.

(٤) المرجع نفسه، مادة "جزيرة ابن عمر".

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٥.

(٦) ياقوت، كتاب المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص١١١ ؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (ت ٧٧٩ هـ)، رحلة ابن بطوطة، ط٢، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م، ص٢٤٥ ؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، ص١٢٣ ؛ خطاب، بلاد الجزيرة، مج ٣٦، ج١، ص١٦.

(٧) سورة هود، الآية ٤٤.

مَرجرجس. [١] وقد وصفها المقدسي بأنها "طيبة نزيهة... وحلة في الشتـــاء "، [٢] أما ياقوت فيقول إن " لها رستاقاً مخصباً واسع الخيرات "، [٣] ويبدو أن هذه المدينة قامت في تلك الفترة بــدور الوسيط التجــاري بين أرمينية وبلاد الروم ونواحي ميافارقين وأرزن من جهة، والموصل من جهة أخرى، فكانت تمر بها المراكب المتجهة نحو الموصل " مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين ". [٤]

وقسّم ابن شداد أراضي الجزيرة الفراتية إلى ثلاثة أصقاع، تفصل بينها قنوات صغيرة، وكل صقع عُرف باسم القبيلة التي نزلته قبل الإسلام وبعده؛ ديار ربيعة وديار مضر وديار بكـــــر. [٥] ويُفهم من الخارطة التي وضعها ابن حوقل للجزيرة الفراتية أن ديار ربيعة استقرت في المنـــاطق الجنوبية من الجزيرة، إذ حَدّد موقع ديار مضر في المناطق الوسطى، وديار بكر فـــي المنـــاطق الشمالية منها. [٦] المهم أن ابن شداد جعل جزيرة ابن عمر ضمن ديـــار ربيعـــة وسمّاها جزيرة بني عمر. [٧] أما اليوم فتقع هذه البلدة في الجنوب الشرقي من تركيا، في قضاء زاخو الواقع على

---

(١) ياقوت، المشترك وضعاً، ص١٨٩ ــ ١٩١ ؛ ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٢٣ ؛ الحمدان، محمد عبد الله، بنو الأثير، المكتبة الصغيرة، الطائف، ١٣٩٤هــ ــ ١٩٧٤م، ص١٢.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٥.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، مادة "جزيرة ابن عمر"، ص١٣٨.

(٤) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبيني، (ت بعد ٣٦٧هــ)، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ ؛ انظر أيضاً:

Elisseeff, Nikita, Nur Ad-din un grand prince Musulman de Syrie au temps des Croisades (511 – 569 h \ 1118 – 1174 a d), 3 Vol, Institut Francais de Damas, 1967, Vol 1, P 103 – 132.

(٥) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، (ت ٦٨٤ هــ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمــراءالشام والجزيرة، ٣ أجزاء، ج٣، تحقيق يحيى عبّارة، وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م، ص٥ ؛ شميساني، عز الدين ابن الأثير، ص١١ وما يليها ؛ وعن استيطان القبائل العربية في الجزيرة الفراتية انظر: سينو، أحمد (١٩٨٦م)، القبائل العربية في الجزيرة الفراتية منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر العباسي، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، بيروت، ع ٨٩/ ٩٠، ص٨٣ ــ ٨٨.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، خارطة الجزيرة الفراتية، ص١٨٨.

(٧) ابن، شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٣، ص٥ ؛ انظر أيضاً: الرويضي، محمود محمد، إمارة الرها الصليبية، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ١٤٢٣ هــ ــ ٢٠٠٢م، ص٨١.

الحدود المشتركة بين تركيا وسوريا والعراق. [١]

وأشار ياقوت إلى أن أول من بناها رجل اسمه الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي، وحَدّد ذلك بسنة مائتين وخمسين للهجرة تقريباً، [٢] لكن ابن خلكان ناقش هذه المسألة فنقل عن مصدر دون أن يشير إلى اسمه أنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين، وفي مصادر أخرى نقل عنها ابن خلكان كتاريخ ابن المستوفي أن الجزيرة نسبت إلى رجلين هما أوس وكامل إبنا عمر بن أوس التغلبي، إلا أنه رجّح في آخر الأمر أن الذي بناها ومن ثم نسبت إليه رجل من أهل برقعيد يُدعى عبد العزيز بن عمر. وبرقعيد هي بلدة من أعمال الموصل، [٣] لكنه لم يحدد السنة أو الحقبة التي بنيت فيها.

تكونت لدى ابن الأثير ثقافة رفيعة، وحَدّد معاصره ابن خلكان مكونات ثقافته الأساسية في علوم الحديث والتاريخ وأنساب العرب ووقائعهم، [٤] لكن التاريخ كان اهتمامه الأول، وظهر ذلك في إنتاجه، وقد أكد ابن الأثير هذا الأمر في مقدمة "الكامل" بقوله: " لم أزل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها ". [٥].

ولقد تكوّنت ثقافة ابن الأثير وفكره التاريخي من عوامل عدة منها: العصر الذي عاش فيه بما فيه من اضطراب سياسي، وعلاقة أسرته بحكام الموصل وخصوصاً والده الذي اعتمد عليه في بعض المعلومات، وبيئته الثقافية ورحلاته بين الموصل وبغداد والحجاز ودمشق وحلب التي

---

(١) ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٢٢ ؛ المنجد، أعلام التاريخ والجغرافيا، ج٣ ، ص٦٣ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (المعرّبة)، مجلد ١١، دار الشعب القاهرة، بلا ت، مادة "جزيرة ابن عمر"، كتبها نيكيتا إليسيف، ص٤٤٦ ــ ٤٤٨.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، مادة "جزيرة ابن عمر".

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٩ ــ ٣٥٠..

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٨ ؛ انظر أيضاً: أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٥٤ ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٨، ٢٩٩ ؛ ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن تاج الدين، (ت ٧٢٣ هـ)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢م، ج٤، ق١، ص٢٦٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢ ؛ انظر أيضاً: العزاوي، عباس، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٧م، ص٢٨.

أتاحت له فرصة الاتصال بمن فيها من محدّثين وفقهاء ورجال حاشية. وكـذا صـلته الشخـصية بإدارة الموصل في عهد آل زنكي التي جعلته في وضع يسمح له بالاطلاع على الوثائق الرسمية. ثم اشتراكه في بعض معارك صلاح الدين محارباً ومشاهداً، وما سمعه من معاصريه الذين شهدوا الأحداث أو سمعوا عنها. وكذلك اطلاعه على كتب التاريخ العام والتراجم والأنساب التي انتفع بها في مصنفاته. (١)

وشهد لابن الأثير كل من المنذري،(٢) وابـن خلكـان،(٣) وابـن الفـوطي،(٤) والـذهبي،(٥) واليافعـي، (٦) وابن كثيـر، (٧) وابن قاضي شهبـة، (٨) والسخـاوي، (٩) بـسعـة الاطـلاع وحسن الخلق والدقة والأمانة العلمية.

وليس من المفيد الوقوف طويلاً عند القصة التي أشار إليها معاصره الوزير جمال الدين علي ابن يوسف القفطي والتي شكك فيها بأمانة ابن الأثير واتهمه بالعبث بأوراق وكتب أعطـاه إياهـا ياقوت الحموي قبل موته، وأنه تصرف بها بشكل غير مُرض؛ إذ طلب ياقوت منه، حسب روايـة القفطي، أن يسيّرها إلى وقف الزيدي في بغداد، ويسلمها إلى ناظر الوقف عبد العزيز بـن دلـف لينتفع بها أكبر عدد من طلاب العلم، وأن ابن الأثير فرّق هذه الأوراق على جماعة " أراد الانتفاع

---

(١) أحمد، إبراهيم خليل (١٩٨٦م)، أثر عز الدين بن الأثير في تطوير الكتابة التاريخية العربية، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٧، ص٢٥.

(٢) المنذري، التكملة، ج٦، ص٧٦.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٨ ــ ٣٤٩.

(٤) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج٤، ق١، ص٢٦٠.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٩٩.

(٦) اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي، (ت ٧٦٨ هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م، ج٤، ص٥٦.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٩.

(٨) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد، (ت ٨٥١ هـ)، طبقات الشافعية، ٤ أجزاء، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م، ج٢، ص٨١.

(٩) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢ هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م، ص١٤٦.

بهم وبها عندهم، ولم ينفعه الله بشيء من ذلك، ولم يتملّ منها بأمل أو مال ". [١] فاضطر في نهاية الأمر إلى إرسال بعض هذه الأوراق إلى بغداد بعد أن وصل خبرها إلى مشرفي ذلك الوقف الذين طالبوه بها. [٢]

ولا يمكن الجزم بصحة هذه القصة لانفراد القفطي بها، ولاختلافها مع ما ذهب إليه كل من ترجم لابن الأثير، سواء من معاصريه كابن خلكان أو ممن جاؤوا بعده كالذهبي؛ فقد أكد ابن خلكان أن ابن الأثير حمل تلك الكتب فعلاً إلى وقف الزيدي ولم يشِر إلى شيء مما ورد في قصة القفطي، [٣] وذكر أنه حين اجتمع به في أواخر سنة ست وعشرين وجده رجلاً " مكمّلاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع ". [٤] وأكمل الذهبي أن ابن الأثير " كان علامة نسابة أخبارياً عارفاً بالرجال وأنسابهم لا سيما الصحابة مع الأمانة والتواضع والكرم ". [٥] وهذه الشهادة لها أهميتها ولاسيما أنها صدرت من مؤرخ مهم كالذهبي.

ومن الملاحَظ أن القفطي وجـّه اتهامات مماثلة لآخرين غير ابن الأثير كياقوت نفسه؛ فحين ترجم له تحدث عنه بازدراء ونعته بعسر الفهم وسوء العشرة، وأنه استفاد من كتب قدمها له " فلفـّق منها مجموعات لم يكملها ". [٦] قد يبدو هذا الأمر مفهوماً فيما يتعلق بياقوت، فميل ياقوت إلى الخوارج وانتقاده الصريح لعلي بن أبي طالب قد يشكل تفسيراً مقبولاً لازدراء القفطي له، [٧] أما حملته ضد ابن الأثير فلا يمكن تفسيرها حتى لو افترضنا وجود خلاف شخصي الرجلين. [٨]

---

(١) القفطي، إنباه الرواة، ج٤، ص٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٤.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٩.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٩٩.

(٦) القفطي، إنباه الرواة، ج٤، ص٨١ ــ ٨٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٢.

(٨) افترض عبد القادر طليمات وجود خصومة شخصية بين الرجلين لتفسير حملة القفطي على ابن الأثير، لكنه افتراض لا يوجد ما يؤكده في المصادر الأولية، ابن الأثير، ص٣١ ــ ٣٣.

ثانياً: مؤلفات ابن الأثيـــر:

تحدثت المصادر الأولية باهتمام عن ثلاثة مؤلفات لابن الأثير، هي: "الكامل فـــي التـــاريخ" و"اللباب في تهذيب الأنساب" و"أسد الغابة في معرفة الصحابة"، [(١)] فـــي حـــين أشـــار الـــصفدي والسيوطي وابن العماد الحنبلي بشكل عابر إلى أنه شرع في تأليف كتاب رابـــع باســـم "تـــاريخ الموصل" ولم يتمه؛ ولعله هو نفسه "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية". [(٢)] وأشار حـــاجي خليفـــة إلى كتاب خامس جمعه ابن الأثير من كتب عدة هو "تحفـــة العجائب وطرافـــة الغرائب" [(٣)] مـــا يزال مخطوطاً، ويبدو أن نسبته إلى ابن الأثير غير صحيحة، كما أن مادة هذا الكتاب لا تنـــدرج ضمن موضوعات التاريخ محل اهتمام ابن الأثير؛ لأنها تناولـــت خـــصائص المـــواد والأجـــسام والمعادن والنباتات وأصناف الحيوانات، ورجح داود الجلبي أن هذا الكتاب من تأليف عماد الـــدين إسماعيل بن أحمد بن الأثير التنوخي الحلبي، الذي عاش في النصف الثاني مـــن القـــرن الـــسابع للهجـــرة. [(٤)]

وعموماً لا تبدو مؤلفات ابن الأثير جديدة على صور الكتابة التاريخية الأساســـية المعروفـــة قبلـــه.

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٨ ــ ٣٤٩ ؛ أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٥٤ ؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج٤، ق١، ص٢٦٠ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٩٩ ؛ اليافعي، مرآة الزمان، ج٤، ص٥٦ ؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص١٣٢ ــ ١٣٣ ؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨١ ؛ انظر أيضاً: سركيس، معجم المطبوعات، ص٣٧ ــ ٣٨.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص١٣٧ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بـــن أبي بكر، (ت٩١١ هــ)، طبقات الحفاظ، ط٢، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هــ ــ ١٩٩٤م، ص٤٩٢ ؛ الحنبلي، عبد الحي بن العماد، (ت١٠٨٩هــ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، المكتب التجاري، بيروت، بلا ت، ج٥، ص١٣٧.

(٣) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت١٠٦٧هــ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، مكتبة المثنى، بغداد، بلا ت، ج١، ص٣٦٩.

(٤) الجلبي، داود، (١٩٤٨م)، كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب، مجلة المجمع العلمي العربي، بغداد مج (٢٣)، ص٥٥٥ ــ ٥٦١ ؛ التكريتي، محمود ياسين، (١٩٨٦م)، الرؤية التاريخية عند ابن الأثير.. في كتابه "الباهر في الدولة الأتابكية"، مجلة المؤرخ العربي، سنة (١٢)، ع (٢٧)، ص١٤٤.

١ـ "اللباب في تهذيب الأنساب"

قدّم ابن الأثير في هذا الكتاب صياغة جديدة لعمل سابق هو كتاب "الأنساب" للسمعاني (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م)، بحيث نقّحه ثم أضاف إليه، فأصبح محل تقدير من معاصريه كابن خلكان. [١] وهو مفيد في معرفة التقاليد والأعراف القبلية للعرب قبل الإسلام وبعده، [٢] وفي تبيّن طبيعة الحياة الاجتماعية في القرون الستة الأولى للهجرة من خلال بعض الإشارات التي أوردها أثناء استقصائه النسب بمفهومه الواسع؛ أي أن ابن الأثير، وقد تبع في ذلك السمعاني، لم يجمع الأنساب إلى القبائل والبطون فحسب، بل تحدث أيضاً عن النسبة إلى المذاهب والمدن والحرف والصفات والطبائع والعيوب والألقاب. [٣]

وقد راجع نصوص السمعاني بدقة. وتحدث في مقدمة الكتاب عن منهجه في تهذيب أنساب السمعاني بأنه اعتمد على أصل صحيح موثوق. ومع أنه أشار إلى أنه اتبع السمعاني حتى في معاني كلامه الذي نقله عنه، وأنه حرص على عدم التغيير، إلا أن ابن الأثير تصرف في مادة الكتاب، فاختصر عدد الأشخاص الذين جمعهم السمعاني في ترجمة واحدة؛ " مثاله أنه (أي السمعاني) ذكر الأسدي وذكر في الترجمة جماعة ممن يَنسب هذه النسبة، ولو أراد أن يستقصي كل أسدي لاحتاج إلى عدة مجلدات، وكذلك البصري والتميمي وغيرهم ... فرأيت أن المقصود من النسب ليس تعداد الأشخاص إنما هو معرفة ما ينسب إليه لا غير فاقتصرتُ أنا على الشخص أو

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٩.

(٢)

Ahmad, M. Hilmy. Some notes on Arabic Historiography during the Zengid and Ayyubid periods (521\1127 - 648\1250). Historians of the Middle East. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London, 1964, P88.

(٣) ابن الأثير، كتاب اللباب في تهذيب الأنساب، ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ج١، ص٨، ١٧، ١٨، ١٥٤ ـ ١٥٥، ٢٩٩ ـ ٣٠٠، ج٢، ص٦ ـ ٧، ٣٢٢، ج٣، ص١٨٩.

الشخصين ". [١] وأسقط بعض المعلومات التي ذكرها السمعاني لأنه لا يرى حاجة إليها " ولا تزيد النسب وضوحاً ". [٢] ووضع إلى جانب الترجمة التي نقلها كاملة دون تصرف حرف (م)، [٣] وأعاد ترتيب التراجم بشكل أسهل مما وضعه السمعاني الذي ظهرت التراجم لديه متداخلة، فمثلاً: ذكر السمعاني في ترجمة البشتي " فلان بن فلان فمن بشت باذغيس، ثم عاد وقال: فلان بن فلان من بشت نيسابور فلم أفعل كذلك بل ذكرت بشت نيسابور ومن ينسب إليه، وذكرت بعد ذلك بشت باذغيس ومن ينسب إليه، ولم أخلط أحدهما بالآخر ". [٤] كما حذف التراجم المكررة وصوّب بعض المعلومات التي رأى فيها أخطاءً وأكمل المعلومات الناقصة. واعتمد هشامَ بن محمد بن السائب الكلبي مصدراً أساسياً في تصويب الأخطاء وإكمال المعلومات الناقصة. [٥]

وسار ابن الأثير على نهج السمعاني في تنظيم مادته بصورة عامة، فاستخدم الترتيب الهجائي، وكان يذكر النسبة ويضبط الاسم، ثم يحدد المكان أو القبيلة أو البطن أو المذهب أو الحرفة أو الصفة أو اللقب الذي تُنسب إليه، ثم يذكر الأشخاص الذين يحملون تلك النسبة، مثل: "الآبَجي: بعد الألف الممدودة باء موحدة مفتوحة وجيم، هذه النسبة إلى آبج موضع ببلاد العجم يُنسب إليه أبو عبد الله بن محمد بن محمويه الآبجي ..." [٦] و"الآجُري: ... هذه النسبة إلى عمل الآجُر وبيعه، ونسب إلى درب الآجُر أيضاً..." [٧] و "البشّاري: ... هذه النسبة إلى الجَد ..." [٨] و"الراسبي: ...

---

(١) ابن الأثير، اللباب، بيروت، ج١، ص٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٠ ــ ١١.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٢.

(٦) المصدر نفسه، مكتبة المثنى، بغداد، ج١، ص١٧ ؛ انظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، (ت ٥٦٢ هـ)، كتاب الأنساب، ٤ أجزاء، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م، ج١، ص٤٣.

(٧) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج١، ص١٨ ؛ انظر، السمعاني، الأنساب، ج١، ص٤٥.

(٨) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج١، ص١٥٤ ــ ١٥٥.

إلى بني راسب، وهي قبيلة نزلت البصرة ..." [١] و"المُراري: ... إلى أكل المُرار وهو نبت ...". [٢]

وصوّب ابن الأثير المعلومات التي وجد أن فيها أخطاء فمثلاً: في مادة "المُراري" نقل ما ذكره السمعاني بأنه عُرف بهذه النسبة والد امرىء القيس بن حجر آكل المُرار، ثم قال: " ... وليس بوالده إلا أن عني به الجد فإنه امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن حجر بن عمرو بن حجر آكل المُرار ..."، معتمداً في هذا التصويب على الأصمعي وابن حبيب ومحمد بن سلام وهشام بن محمد الكلبي. [٣] وعندما نقل مادة "الهَذمي" عن السمعاني شرح هذه النسبة وقال: " هكذا ضبطه بفتح الهاء وسكون الذال، والصحيح بضم الهاء وفتح الذال مثل سُلَيم وسُلَمى. " [٤] وفي مادة "الجُوداني" عدّ السمعاني أبا مالك عبدالله بن جُودان وأبا مالك عبدالله بن إسماعيل شخصين مختلفين، بينما وجد ابن الأثير أنهما شخص واحد. [٥]

وأكمل ابن الأثير المعلومات التي رأى أنها جاءت ناقصة لدى السمعاني؛ ففي مادة "الراسبي" "... لم يذكر أبو سعد (السمعاني) من أي القبائل هو راسب، وهو راسب بن ميدغان بن مالك بن نصر بن الأزد، بطن من الأزد..." [٦] وأضاف ابن الأثير أيضاً مواد لم ترد في كتاب السمعاني مثل: "الصَّعبي"، [٧] و"المُرادي"، [٨] و"الهُرثي"، [٩] و"هذيم بن عدي بن جناب بن هبل بن عبدالله

---

(١) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج٢، ص٦.

(٢) المصدر نفسه، بغداد، ج٣، ص١٨٩ ؛ انظر: السمعاني، الأنساب، ج٤، ٢٦٤ ــ ٢٦٥.

(٣) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج٣، ص١٨٩ ؛ انظر: السمعاني، الأنساب، ج٤، ٢٦٤ ــ ٢٦٥.

(٤) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج٣، ص٣٨٤ ؛ انظر: السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٥٠٢.

(٥) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج١، ص٣٠٥ ؛ انظر: السمعاني، الأنساب، ج١، ص٤٥١.

(٦) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج٢، ص٦ ــ٧ ؛ انظر: السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٢٨١.

(٧) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج٢، ص٢٤١.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٨.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٨٤ .

ابن كنانة، بطن من كلب..". [(١)]

يمكن القول إن ابن الأثير بذل جهده في تنظيم محتوى كتابه، ومع أنه اختصر مادة تاريخية وفيرة وردت في كتاب السمعاني ورأى فيها زيادة غير ضرورية في كتاب مخصص للنسب، إلا أنه صاغ الأنساب بشكل أكثر دقة وأكثر تنظيماً، فأضاف مواد لم يذكرها السمعاني وتدخل في بعض المعلومات مستنداً إلى مصادر أساسية كهشام بن محمد الكلبي، مع التزامه بالإطار العام الذي وضعه السمعاني، خصوصاً في ضبط الأسماء وترتيبها على الحروف الهجائية. ويُفهم من ابن خلكان أن كتاب "اللباب" نال قبولاً أكثر وانتشاراً أوسع من أنساب السمعاني. [(٢)]

وهكذا أعاد ابن الأثير صياغة مسائل النسب بكفاءة عالية وفق رؤية خاصة انطوت على ثقافة ممتازة، وهذه الرؤية تبدو جلية في جميع مؤلفاته.

ويظهر أن كتاب اللباب غدا مصدراً أساسياً في علم الأنساب لمن جاء بعد ابن الأثير كابن حجر. [(٣)] وكانت لدى السيوطي ملاحظات على هذا الكتاب لا تختلف كثيراً عن ملاحظات ابن الأثير على السمعاني، [(٤)] فوضع تنقيحاً له سماه "لب اللباب في تحرير الأنساب"، أسقط منه أسماء الأشخاص، واكتفى بذكر النسبة وضبطها وتعريفها، [(٥)] واعتمد عملُ السيوطي في

---

(١) ابن الأثير، اللباب، بغداد، ج٣، ص٣٨٤، للمقارنة انظر مثلاً: مادة (الثمامي): اللباب، بغداد، ج١، ص٢٤٢ ؛ الأنساب، ج١، ص٣٦٩. ومادة (السلْماني): اللباب، بغداد، ج٢، ص١٢٧ ؛ الأنساب، ج٣، ص٤٤. ومادة (المعقلي): اللباب، بغداد، ج٣، ص٢٣٥ ؛ الأنساب، ج٤، ص٣٢٩ ــ ٣٣٠. ومادة (المَعني): اللباب، بغداد، ج٣، ص٢٣٨ ؛ الأنساب، ج٤، ص٣٣١.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٤٩.

(٣) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ)، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة ، ط١، تحقيق محمد شكور المياديني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨ م، ص١٨٧.

(٤) السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ط١، جزآن، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م، ج١، ص٢٥ ؛ طليمات، ابن الأثير، ص٦٠.

(٥) للمقارنة مع مواد السمعاني وابن الأثير انظر مثلاً ما أورده السيوطي من مواد: (الآبجي) و(الآبنوس) و(الآبي)، ج١، ص٢٧ ــ ٢٨، ومادتي (السغدي) و(الصقلبي)، ج٢، ص١٨، ٧٣.

معظمه على معجم البلدان. [١]

٢ــ "أسد الغابة في معرفة الصحابة"

هذا الكتاب هو معجم مرتب على حروف الهجاء، تناول ابن الأثير فيه سيرة حيــاة الــصحابة، واعتمد على أعمال مبكرة، كأعمال ابن مندة العبدي. وأبي نعيم الأصفهاني وابن عبد البَــر، فقــام بدراستها ومن ثم أعاد إنتاجها، وحذف منها الإعادات والسلاسل الطويلة للإسناد، وقام بتلخيص هذه السلاسل وترتيبها هجائياً. [٢]

وفي المقدمة تحدث ابن الأثير عن أهمية موضوع الكتاب ومصادره ومنهجه، فأشار أولاً إلــى أهمية دراسة الصحابة؛ بوصفهم أول رواة السنة، المصدر الثاني للتشريع. فمن الناحية الدينية، هــم الذين " شهدوا الرسول ﷺ وسمعوا كلامه وشاهدوا أحواله، ونقلوا ذلك إلى من بعــدهم ... "، ومــن الناحية الفقهية تعد دراسة الصحابة أمراً ضرورياً لمعرفة السنن التي " تــَثبت بعد معرفــة رجــال السند ورواتها، وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله ... ". وهذا يتطلب دراسة أنساب الصحابة وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية؛ " فإن المجهول لا تصح روايته ". [٣]

أما مادته فتكونت من المعلومات التي جمعها كل من: محمد بن يحيــى بــن منــدة العبــدي (ت٣٠١ هــ / ٩١٣ م) في كتابه "معرفة الصحابة"، وأبي نعيم أحمــد بــن عبــد الله الأصــفهاني (ت٤٣٠ هــ / ١٠٣٩ م) في كتابه "معرفة الصحابة"، ويــوسف بن عبد الله بن عبد البَر القرطبــي (ت٤٦٣ هــ / ١٠٧١ م) في كتابه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ومحمد بن عمــر المــديني (ت٥٨١ هــ / ١١٨٥ م) في كتابه "تتمة معرفة الصحابة". وأضاف إلى هذه الكتب المــادة التــي استدركها آخرون على ابن عبد البَر كأبي علي الحسيــن بــــن محمـــد الغــسانـــي الجيانـــي (ت٤٩٨ هــ / ١١٠٥ م) في كتابه "ما يأتلف خطه ويختلف لفظه من أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم من الصحابــة والتابعيــن ...". [٤]

---

(١) السيوطي، لب اللباب، ج٢، ص٣٤٤.

(٢) Hilmy. Some notes on Arabic Historiography ... . P88.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣ ــ ٤.

ويظهر أن ابن الأثير بدأ تأليف كتابه معتمداً على ذاكرته، وعلى المادة التي جمعها تلاميذه، وكان ذلك في دمشق حين نزل بها في طريقه إلى القدس، فالتقى " جماعة من أعيـــان المحـــدثين " وطلبوا منه أن يجمع لهم كتاباً يزيل الغموض والتضارب الذي اكتنف المعلومات التي وصلت إليهم عن الصحابة، ويبدو أنه أكمل جمع مادة الكتاب من أوراقه ووثائقه بعد عودته إلى الموصل. (١)

وتتجلى الدقة في أسلوب ابن الأثير في جمع مادته وتوثيقها ، فكان مهتماً بالإشارة إلى مصادر معلوماته أولاً بأول، وقد شرح أسلوبـــه بالتفصيل في مقدمـــة الكتـــاب. (٢)

وانتقـَد ابن الأثير ابن مندة وأبي نعيم لاهتمامهما بجمع الأحاديث ومناقشة عللها على حـــساب المعلومات التي تفيد في معرفة أحوال الصحابة، كالنسب والسيرة الشخصية والحوادث المتصلة بكل منهم، لا سيما في كتاب مكرّس لتراجم الصحابة، لذلك جاء أكثر اعتماده في هذا المجال على ابـــن عبد البَر. (٣)

استهل ابن الأثير كتابه بفصل تناول فيه أسانيد الكتب التي خرّج منها الأحاديـــث لـــئلا يكـــرر الإسناد. (٤) ثم قدّم فصلاً حاول فيه تعريف الصحابي، وناقش آراء سابقيه حـــول تحديـــد مـــن هـــو الصحابي. (٥)

لا ريب في أن "أسد الغابة" كتاب لا يخلو من الفائدة كمصدر تاريخي، ويُلاحـَظ أن ابن الأثير اهتم بذكر الأحاديث المثيرة للجدل، أو تلك ذات الأهمية التاريخية المرتبطة ببعض الـــصحابة عنـــد ترجمة كل منهم؛ كحديث " من كنت مولاه فعلـــي مـــولاه ". (٦) كما حرص على ذكـــر الحـــوادث المشهورة في السيرة، كهجرة بعض الصحابة إلى الحبشة وبيعة العقبة والهجرة إلى المدينـــة، وكـــل حادثة قتل فيها أحد الصحابـــة، وذلك لتكون مفاصل تاريخية تساعد في تبين الخط الزمني للسيـــرة

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٨ ــ ١١.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١١.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٩.

الشخصية لكل صحابي، وقد شرح ابن الأثير ذلك بقوله: "... يقال أسلم فلان قبل دخول رسول الله دار الأرقم أو وهو فيها، وهاجر فلان إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدراً وشهد بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وقتل فلان في غزوة كذا ..." (١)

وابن الأثير هنا أيضاً ملتزم بمنهجه، فلم يكن مجرد جامع لأعمال من سبقوه، مع أن "أسد الغابة" في شكله العام يبدو كذلك، بل كان يتدخل في المادة التي ينقلها فينقدها ويصوب ما يراه غير صحيح، ويفاضل بين الروايات، ويشكك في بعض المعلومات، ويعطي رأيه في مصادره، وفي الكتاب العديد من الأمثلة على ذلك. (٢) كما قام بشرح الألفاظ المبهمة في بعض التراجم. (٣)

واستعان كل من الذهبي وابن حجر العسقلاني بكتاب ابن الأثير، فاختصره الذهبي في كتاب سماه "تجريد أسماء الصحابة"، (٤) وعول عليه ابن حجر في "الإصابة"، إلا أنه نقده في جملة ملاحظات؛ منها أن ابن الأثير " تبع من قبله، فخلط من ليس صحابياً بهم، وأغفل كثيراً من التنبيه على كثير من الأوهام الواقعة في كتبهم ". (٥)

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٧.

(٢) انظر مثلاً: ترجمة (حجير بن بيان)؛ إذ رفض ابن الأثير عده من الصحابة، على عكس ما ذهب إليه ابن مندة: ج١، ص٣٨٧، وكذلك (شعبة بن التوأم): ج٢، ص٣٩٩. وانظر أيضاً قصة مقتل (حرام بن ملحان): ج١، ص٣٩٥ ــ ٣٩٦. وانظر تصويبه أخطاء ابن مندة وأبي نعيم في ضبط الأسماء مثل (سويد) و(أبو سويد): ج٢، ص٣٨٢. ورفضه كلام أبي موسى الأصفهاني أن (عروة بن أثاثة العدوي) من مهاجرة الفتح، "فإن الفتح لم يكن له هجرة، وإنما الهجرة انقطعت بالفتح": ج٣، ص٤٠٢. ومسألة شهود (عمرو بن مازن) من بني خنساء غزوة بدر: ج٤، ص١٢٨. وقصة نعمى بنت جعفر بن أبي طالب التي نقلها عن ابن مندة وأبي نعيم، ثم شكك بوجود ابنة بهذا الاسم عند جعفر أصلاً: ج٥، ص٥٥٦ وهكذا..

(٣) انظر مثلاً: ترجمة (حذيفة بن اليمان): ج١، ص٣٩٠ ــ ٣٩٢.

(٤) الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، جزآن، شرف الدين الكتبي، بومباي ــ الهند، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ أجزاء، ط١، مكتبة المثنى، لبنان، ١٣٢٨هـ، ج١، ص٣. انظر للمقارنة بين ابن الأثير وابن حجر مثلاً ترجمة كل من: (أزهر بن قيس): أسد الغابة، ج١، ص٦٣ ؛ غير موجود في الإصابة. و(الجحاف بن حكيم): أسد الغابة، ج١، ص٢٧٣ ؛ غير موجود في الإصابة. و(بشر ابن عاصم بن عبد الله المخزومي): أسد الغابة، ج١، ص١٨٧ ؛ الإصابة، ج١، ص١٥١. و(حنظلة بن =

ومع ذلك فإن ابن الأثير حاول أن يقدم صياغة جديدة لموضوع التراجم ضمن رؤيـــة نقديـــة انطوت على فهم أعمق للدوافع التي يتعين على من يكتب فيه التنبه إليها، وشكلت أساســاً اعتمــد عليه الكتــّاب الذين جاؤوا بعده كالذهبي وابن حجر في دراساتهم، وقاموا بدورهم بجهود إضـــافية في تهذيب هذا الموضوع. وقد حدد ابن الأثير أهدافه من تأليف "أسد الغابة" قبل الإقدام عليه، لذلك لم يغفل، كعادته في معظم أعمالـــه، تسويغ عمله في مقدمة الكتاب؛ فمعرفة الصحابة مطلب ديني وفقهي وتاريخي، لذلك جاء هذا الكتاب تلبية لهذه المطالب، وهو بذلك يختلف عن كل من كتب في هذا الموضوع قبله.

٣ـــ "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية"

كرّس ابن الأثير هذا الكتاب لأخبار دولة الأتابكة الزنكيين التي أسسها عماد الدين في الموصل سنة (٥٢١ هـــ / ١١٢٧ م)، وهذا الكتاب بالإضافة إلى "الكامل" يعد بكليته إنتاجــاً خاصــاً لابــن الأثير؛ فهو ليس تنقيحاً أو اختصاراً لعمل سابق أو إضافة إليه كما هــو الحـــال فـــي أســـد الغابـــة واللبـــاب.

بدأ ابن الأثير كتابه بالصلة الوثيقة لأسرته بأتابكة الموصل وفضلهم عليها، ومناقبهم، ودورهـــم في جهاد الفرنج، وأشار إلى مصدره في أكثر معلوماته؛ وهو والده الذي كان مقربــاً منهـــم. (١)

ومع أن ابن الأثير أشار في مقدمة الكتاب إلى أنه مخصص لأخبار الزنكيين، وأن المساحة التي شُغلت لذلك كبيرة، إلا أن المادة التي توفرت فيه تجاوزت حدود الأسرة الزنكية والموصل، لـــذا لا يمكن عده تاريخاً محليـــاً، فقـــد احتـــوى قـــدراً كبيـــراً مـــن الأحـــداث فـــي الفتـــرة بيـــن (٤٧٧ هـــ / ١٠٨٤ م ـــ و ٦٠٧ هـــ / ١٢١٠ م)، وأعطى صـــورة شـــاملة ودقيقـــة للأوضـــاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنشاط العسكري وتحركات الجيوش في هذه الفترة، في كل من العراق والشام، وإلى حد ما في مصر.

= قيس): أسد الغابة، ج٢، ص٦١ ؛ الإصابة، ج١، ص٣٩٧. و(حنبل أوحسِل بن خارجة): أسد الغابة، ج٢، ص٥٥ ؛ والإصابة، ج١، ص٣٩٦.

(١) ابن الأثير، الباهر، ص١ ـــ ٣.

ولكن هل تم وضع هذا الكتاب قبل "الكامل" أم بعده؟ إن إشارات ابن الأثير المتكررة في الكتابين توحي بأن ثمة تضارباً في هذا الأمر؛ ففي "الكامل" يشير، من خلال إحالة القارىء إلى معلومات وردت في "الباهر"، إلى أنه ألفه بعد "الباهر"، (١) أما في "الباهر" فيشير إلى العكس، (٢) ويُفهم من إشارة وردت في خاتمة "الباهر" أن "الكامل" لم يتم إنجازه بعد. (٣)

ربما وضع ابن الأثير خطتيْ الكتابين وسار في تأليفهما في وقت واحد، فيكون قد ألّف "الباهر" أو شرع فيه قبل أن ينتهي من جمع مادة "الكامل" أو قبل أن يراجعها. ولعله جمع مادة "الكامل" واستفاد منها في "الباهر" الذي نشره أولاً، كما أن طبيعة المادة التي يشملها كتاب "الكامل"، بوصفه تاريخاً عاماً، تحتاج وقتاً أطول لتتم مراجعتها، وهي تختلف عن مادة "الباهر"، الذي يعد في النهاية تاريخاً خاصاً. (٤) ويؤكد ذلك أن ابن الأثير توقف في "الباهر" عند سنة (٦٠٧ هـ)، وهي السنة التي استلم فيها الملك القاهر مسعود مقاليد الأمور في دولة الأتابكة، أما في "الكامل" فقد توقف عند سنة (٦٢٨ هـ)، أي قبل سنتين من وفاته.

بدأ ابن الأثير خطته في كتاب الباهر بأخبار قسيم الدولة آقسنقر، والد عماد الدين زنكي، وعلاقته الوثيقة بالسلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م ـ ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)، إذ ولاه حلب وأعمالها باقتراح من الوزير نظام الملك. (٥) وقدم بعض المعلومات عن الدولة السلجوقية، لا سيما السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك، ومشاكل البيت السلجوقي بعد وفاة ملكشاه، وانخراط قسيم الدولة فيها ثم مقتله. (٦) ومعلومات عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد التي كانت تحت ولاية قسيم الدولة؛ كرخص الأسعار والعدل والأمن، (٧) ثم أحوال عماد الدين زنكي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٠٣.

(٢) ابن الأثير، الباهر، ص١٥٧، ١٧٧، ١٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٤.

(٤) Hilmy. Some notes on Arabic Historiography … . P 90.

(٥) ابن الأثير، الباهر، ص٨.

(٦) المصدر نفسه، ص٩ ــ ١٥.

(٧) المصدر نفسه، ص١٥.

بعد مقتل والده، واتصاله بخدمة أمراء الموصل واشتراكه في حروبهم. [(١)] ومعلومات عن شؤون الخلافة ومشاكلها، [(٢)] والصدام بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه والخليفة المسترشد بالله سنة (٥١٩ هـ / ١١٢٥ م)، وحصار السلطان بغداد، ودور عماد الدين في هذه الأحداث. [(٣)] ومعلومات عن حصول عماد الدين على وظائف إدارية أيام السلاجقة في واسط والبصرة وبغداد، [(٤)] وعن بعض الحوادث؛ كثورة العامة في بغداد ونهبهم مشهد باب التين وما عند الضريحين، [(٥)] وتولية عماد الدين الموصل وبلاد الجزيرة، وتحركاته غرباً وسيطرته على حلب وحماة بين عامي (٥٢١ هـ / ١١٢٧ م و ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م)، وصدامه الأول مع الفرنج في حصن الأثارب، [(٦)] واشتراكه في مشاكل البيت السلجوقي، [(٧)] ودوره في جهاد الروم والفرنج. [(٨)] وتفاصيل عن سياسته العامة، وعن خطط الموصل وحالتها العمرانية وأوضاعها الاقتصادية في فترة حكمه وقبلها. [(٩)] ثم اقتسام أبنائه المملكة بعد مقتله. [(١٠)] وجهود نور الدين محمود في محاربة الفرنج، وتوحيد بلاد الجزيرة والشام ومصر. [(١١)] وأعطى ابن الأثير معلومات عن الكوارث الطبيعية؛ كالزلزال الذي ضرب الشام سنة (٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م)،

---

(١) ابن الأثير، الباهر، ص١٥ ــ ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢، ٥١، ٥٣، ١٥١ ــ ١٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٨ ــ ٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤، ٢٨، ٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٤ ــ ٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ص٤٣ ــ ٤٥.

(٨) المصدر نفسه ص٥٥ ــ ٥٦، ٥٩ ــ ٦١، ٦٦ ــ ٧٤.

(٩) المصدر نفسه ص ٧٦ ــ ٨٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٨٤ ــ ٨٨.

(١١) المصدر نفسه، ص٩٦، ٩٨، ١٠٠ ــ ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٥٢ ــ ١٥٥.

والذي ضرب بغداد والموصل ومدن الجزيـرة والشام ومصر سنـة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) والخراب الذي خلفه. [١] ثم جهود الأسرة الأيوبية، أسد الديـن ونجـم الديـن، فـي خدمـة الزنكييـن، [٢] وحملات أسد الدين الأولى والثانية والثالثـة على مصـر، [٣] ومكاتبة الفرنـج فـي الساحل المصري فرنج الأندلس وصقلية لإخراج أسد الدين من مصر، ثـم حـصارهـم دمياط. [٤] وأعطى إشارات إلى بعض تدابير الدولة المتعلقة بالأراضي والضرائب، [٥] وتفاصيـل عن أعمال نور الدين الخاصة بمصالح الرعية؛ كبناء الأسوار والجوامع والمدارس والبيمارستانات والأبراج على الطرق والربط والخانقاهات ومكاتب الأيتام..، [٦] ومشاكل البيت الزنكي بعد وفـاة نور الدين. [٧] ثم أوضاع العراق والشام الاقتصادية، وانتشار الغلاء والوبـاء فيهـما سنـتيْ (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م و ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م). [٨]

وهكذا ذهب ابن الأثير أبعد من حدود الكتابة في تاريخ خاص لأسرة حاكمة، فرسم صـورة شاملة للأحداث بتفصيلات دقيقة، امتدت زمنياً لتغطي مائة وثلاثين عاماً، وجغرافياً لتشمل العراق والشام ومصر، [٩] وإن كانت الأسرة الزنكية قد نالت اهتماماً خاصاً. وقد حاول أن يبـدو محايـداً فيما ينقله من أخبار، وبصورة عامة لم يكن لميوله الزنكية أثر في دقته، مع أنها تظهر في بعض

---

(١) ابن الأثير، الباهر، ص١١٠، ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٠، ١٣٢، ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٥) المصدر نفسه، ص١٤٧.

(٦) المصدر نفسه، ص١٧٠ ـ ١٧٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٧٥ ـ١٧٦، ١٨٤.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٩) انظر مثلاً: تفاصيل المواجهات العسكرية بين المسلمين والفرنج؛ كالمواجهة بين أسد الدين شيركوه والفرنج ومعهم المصريون في معركة البابين، والنقاش الذي دار بين القادة المسلمين قبلها، الباهر، ص١٣٢ ـ١٣٣، وقصة استلام صلاح الدين الوزارة في مصر، الباهر، ص١٤١ ـ ١٤٣.

التفاصيل. [١] وهو عموماً موضوعي حتى في الأخبار التي لا تتماشى مع توجهاته. كما أنه يتحدث باستمرار عن تدخل المشيئة الإلهية في تسيير الحوادث ونشوء الدول. [٢]

أما مصادره فأكثرها شفوية لأشخاص معاصرين للأحداث أو كان لهم دور فيها، وقد صرح في مقدمته أنه أخذ أكثر معلوماته عن والده؛ [٣] إذ تكررت تعابير مثل: "حدثني والدي .. حكى لي والدي .. قال لي والدي..". كما أخذ بعض المعلومات عن أخيه مجد الدين في الأحداث التي شارك فيها. [٤] وتدل تعابير مثل: "حكى لي غير واحد ممن أثق به .. وحكى لي بعض العلماء بالأخبار والأنساب .. ومن أثق إليه من العدول.." و"سمعت جمعاً كثيراً من الناس لا أحصيهم"، وكذلك تعابير مثل: ".. حدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس.. وحكى لنا الأمير بهاء الدين علي بن الشكري.. وكان خصيصاً لخدمته (أي نور الدين) قد صحبه من الصبا.." و"حكى لي البقة قتلغ الكمالي .." و"حدثني صديق لنا بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين أنر، زوجة نور الدين.."؛ تدل هذه التعابير كلها على عناية ابن الأثير الفائقة بتوثيق مادته لتكون ذات قيمة كبيرة؛ إذ جمعها ممن اشتركوا في الأحداث أو شاهدوها. أضف إلى ذلك أن ابن الأثير نفسه عاصر بعض الأحداث التي دونها في كتابه. [٥] ومن مصادره المكتوبة ابن عساكر في "تاريخ دمشق"، وكمال الدين بن العديم في "أخبار حلب" والعماد الأصفهاني في "البرق الشامي"، لكنه لم يأخذ منها سوى معلومات قليلة وثانوية. [٦]

---

(١) انظر: الصيغة التي كان نور الدين يكاتب فيها صلاح الدين وهو في مصر، الباهر، ص١٤٢ ــ ١٤٣، والحوار بين صلاح الدين ووالده، الباهر، ص١٥٩ ، وتفسير ابن الأثير تأخرَ صلاح الدين في غزو الفرنج من جهة مصر قبل وفاة نور الدين، الباهر، ص١٦١ ، وقصة بناء نور الدين دار العدل، الباهر، ص١٦٨؛ انظرأيضاً: Cahen. Claude. La Syrie du nord al ' epoque des Croisades et La Principaute Franque d' Antioche. Paris. Libraire orientaliste Paul Geuthner. 1940. P50 .

(٢) ابن الأثير، الباهر، ص١، ٣٨، ٦٨، ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٣.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨٧.

(٥) انظر: أخبار الغلاء الذي عم العراق والشام والجزيرة الفراتية عامي (٥٧٤ و٥٧٥ هـ)، والوباء الذي أعقبه، الباهر، ص١٧٨ ــ ١٧٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٩، ١٢٦، ١٧٤.

كان ابن الأثير دقيقاً في عباراته، وقد تجنب التعقيد، ولم يستخدم المحسنات البلاغية إلا في مناسبات قليلة. [١] واستشهد بالقرآن الكريم في العديد من المناسبات، وكذلك بالشعر للإشادة بالزنكيين، بعضه من نظمِهِ وأكثره لشعراء معاصرين؛ كالمسلم بن الخضر الحموي (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م)، ومحمد بن نصر القيسراني (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م)، وأحمد بن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م)، وسعد بن محمد المعروف بالحيص بيص (ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٩ م) [٢] وضرب الأمثال في مناسبات عدة، لا سيما عند سخريته من الفرنجة، [٣] ويُظهر سخريته أيضاً عندما يشير إلى بعض المفارقات. [٤]

ومن ناحية أخرى أولى ابن الأثير عنايته بالجغرافيا، وبتحديد المواقع وميادين المواجهات العسكرية. ويصف الحصون ويتحدث عن الأهمية العسكرية والاستراتيجية لكل منها. [٥]

وهو يعرض الموضوع بصورة إجمالية ثم يدخل في التفاصيل، ويقدم أحياناً خلاصة في نهاية كل موضوع أو كل عهد من عهود آل زنكي، مثل حديثه عن السياسات العامة لعماد الدين وتدابيره في المناطق التي سيطر عليها، وحديثه عن المناطق التي شملها ملك نور الدين محمود عند وفاته. [٦] وكان أحياناً يختصر بعض الحوادث ويشير إلى أنه فصّلها في كتاب "الكامل". [٧]

---

(١) انظر مثلاً: وصف لقاء عماد الدين الفرنج قرب حصن بارين، الباهر، ص٥٩ ــ ٦١ ، وهجومه على الرها، الباهر، ص٦٨ ــ ٦٩ ، ولقاء نور الدين الفرنج في معركة حصن حارم، الباهر، ص١٢٣ ــ ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٤١، ٦٠، ٥٦، ٦٨، ٩٩ ــ ١٠٠، ١٠٣ ــ ١٠٥، ١٤١، ١٧٥، ١٨٩ ؛ وللاطلاع انظر: بدوي، أحمد أحمد، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط٣، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٩ م، ص١٢٢ وما يليها ؛ وباشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٩ م، ص١٧٣ وما يليها.

(٣) ابن الأثير، الباهر، ص١٤٤، ١٥٥، انظر أيضاً ص١٨ من مقدمة المحقق.

(٤) انظر مثلاً: عبارة "أَحَبَّ نور الدين مسير صلاح الدين (إلى مصر) وفيه ذهاب بيته، وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه"، الباهر، ص١٣٩ .

(٥) المصدر نفسه، ص٥٥، ٦٧، ٧٠، ٧٣، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩، ١١٧، ١٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٦ وما يليها، وص ١٦٢.

(٧) المصدر نفسه، ص١٥٧، ١٧٧، ١٩٤.

ويلاحَظ عند مقارنة بعض المواد في "الباهر" بما ورد في "الكامـل"، أن ثمـة تبايناً بـين الكتابين، فهناك معلومات وردت في أحدهما ولم ترد في الآخر؛ ففي خبـر مقتـل نظـام الملك مثلاً أعطى ابن الأثير في "الكامـل" تفاصيل لم يذكرها في "الباهر". (١) وفي خبـر فـتح حـصن الأثارب وردت في "الكامل" تفاصيل ذكرها مجملة في "الباهر"، فهو يقول: " وهذا الحـصن بينـه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ، بينها وبين أنطاكية، وكان من به من الفرنج يقاسمون حلـب علـى جميع أعمالها الغربية، حتى على رحىً لأهل حلب بظاهر باب الجنان، بينها وبين البلـد عـرض الطريق، وكان أهل البلد معهم في ضر شديد وضيق، كل يـوم قـد أغـاروا علـيهم، ونهبـوا أموالهـم. " (٢) في حين اكتفى في "الباهر" بعبارة: " وكان هذا الحصن أضر شـيء علـى أهـل حلب، وكانوا مع من فيه من الفرنج ما بين حرب وخرب ". (٣) وفي خبر فتح الرها تحـدث فـي "الباهر" عن الأهمية الدينية للمدينة عند النصارى، وبأنها " إحدى الكراسي عندهم "، (٤) ولم يُعِـر هذه المسألة اهتماماً في "الكامل".

وثمة اختلاف بين الكتابين في بعض المعلومات؛ فمثلاً يأتي فتح حصن أفاميا في "الباهر" سنة (٥٤٤ هـ)، (٥) وفي "الكامل" يأتي سنة (٥٤٥ هـ). (٦) وحدد "الكامل" الفترة التـي اسـتغرقتها الخلافة الفاطمية بمائتين واثنتين وسبعين سنة وشهراً، (٧) بينما استغرقت في "الباهر" مائتين وستاً وستين سنة. (٨) وهناك إضافة في "الباهر" لم ترد في "الكامل"، هي أن الفـرنج المتحـصنين فـي أفاميا كانوا "يغيرون على مدينة حماة وشيزر وينهبونهـا، وأهـل تلك الأعمـال معهـم تحـت الـذل والصَغار..". (٩) وفي "الباهر" معلومات عن جيش الفرنج الذي واجهه نور الدين محمـود

---

(١) للمقارنة انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٤ ــ ٢٠٦ ؛ والباهر، ص٩ ــ ١١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٦٢.

(٣) ابن الأثير، الباهر، ص٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٤٩.

(٧) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٧٠.

(٨) ابن الأثير، الباهر، ص١٥٧.

(٩) المصدر نفسه، ص١٠٠.

في حصار الكرك لم ترد في "الكامل" أيضاً. [(١)] وأعطى ابن الأثير في "الكامل" تفسيراً لامتناع صلاح الدين عن إقامة الخطبة العباسية في مصر أول الأمر لم يذكره في "الباهر"، هو أن صلاح الدين كره قطعَ الخطبة للفاطميين وأراد بقاءهم خوفاً من أن يأخذ نور الدين منه مصر؛ " فكان يريد أن يكون العاضد معه، حتى إذا قصَدَه نور الدين امتنع به وبأهل مصر عليه ... ". [(٢)]

وهذا كله يوحي بأن ابن الأثير لم يُرد أن يكرر مادته فيما يتعلق بالتفاصيل، وإن كان هناك تشابه بين الكتابين في الإطار العام للموضوعات المشتركة.

وأخيراً كان ابن الأثير يعطي رأيه في بعض الحوادث، أو التدابير التي قام بها الزنكيون، الأمر الذي يشير إلى أنه كانت لديه رؤيته الخاصة فيما ينقله من أخبار. [(٣)]

ويمكن القول إن "الباهر" حظي عموماً بسمعة طيبة، وكان مرجعاً أساسياً للمعلومات عن القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي للمؤرخين الذين جاؤوا بعد ابن الأثير، كأبي شامة وابن واصل وسبط بن الجوزي، وقد تجاوز ابن الأثير في هذا الكتاب إطار التاريخ المحلي، ليقدم لنا صورة حية ومقربة لما كان يدور في العراق والشام والجزيرة ومصر من أحداث، مع عنايته الخاصة بأخبار الأسرة الزنكية ودورها في هذه الأحداث. [(٤)]

٤ـ "الكامل في التاريخ"

هذا الكتاب هو في التاريخ العالمي، أراد له ابن الأثير أن يكون متوازناً زمنياً وجغرافياً، فمن الناحية الزمنية تناول الفترات من بدء الخليقة إلى عصره، ومن الناحية الجغرافية غطى مناطق العالم المعروف لديه في ذلك الوقت. وسيكون هذا الكتاب محورَ هذه الدراسة في الفصول القادمة.

---

(١) ابن الأثير، الباهر، ص١٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٦٨.

(٣) انظر مثلاً: انتقاده تسليمَ أتابك عزالدين مودود حلب لأخيه عماد الدين، واعتباره سبباً في سقوط حلب بيد صلاح الدين؛ إذ قال: "فإنه كان مضرة محضة"، الباهر، ص١٨٣، وتعليقه على قبض أتابك على عزالدين محمود زلف دار وشرف الدين أحمد بن أبي الخير بقوله: " وعلى الحقيقة فليس على الدول شيء أضر من إزالة بيشكار (وزير) مدبر لها وإقامة غيره .." ، الباهر، ص١٨٤.

(٤) عن تاريخ دولة الأتابكة انظر أيضاً: الجميلي، رشيد، دولة الأتابكة في الموصل، بعد عماد الدين زنكي ٥٢١ ــ ٦٣١، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٥ وما يليها.

ثالثاً: بيئة ابن الأثير والكتابة التاريخية في عصره

كان توسع السلاجقة في العراق والشام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، نقطة تحول في تاريخ هذه المنطقة، ففي عهد السلطان ملكشاه كان نفوذ هذه الدولة قد امتد من حدود الصين شرقاً إلى الشام غرباً واليمن جنوباً. [١] لكن هذا النفوذ أخذ يتراجع ويتفكك بعد وفاة ملكشاه سنة (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م)، فقسمت الدولة بين ورثته إلى ممالك متنافسة، وعمت الفوضى، مما أسهم في نجاح الحملة الصليبية الأولى. وكان الفاطميون في مصر ما زالوا يملكون مدناً محددة في ساحل الشام وجنوبه، وفي الوقت نفسه كان البيزنطيون يحاولون الحصول على مراكز حدودية ونقاط قوة للسلاجقة في شمال سوريا وشرق آسيا الصغرى. [٢]

وحاول الأمير السلجوقي "تاج الدولة تتش" أخو ملكشاه ضم الولايات المبعثرة في الشام تحت قيادته، [٣] لكنه سقط في مواجهة مع ابن أخيه "بركياروق" قرب الري سنة (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م)، [٤] وحاول أتباعه إكمال ما بدأ به، لكن بنشاط أقل. [٥]

ولم يمض وقت طويل حتى دخلت العراق وبلاد الشام ومصر طوراً جديداً من الوحدة بجهود آل زنكي والأيوبيين، وتم ذلك بنجاح، واكتسب أهمية كبيرة؛ إذ أصبحت مصر والشام والعراق تحت قيادة سنية. وفي الوقت نفسه كان حكم السلاجقة قي العراق وفارس ينهار تحت سطوة النراع العائلي. وكان السلاجقة قد جلبوا النظام الإقطاعي الذي رعاه الزنكيون والأيوبيون، فترتب على ذلك أن بقيت الإدارة الحكومية في يد قادة الجيش، ويبدو أن هذا النظام حصل على دعم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٣، ٥٦ وما يليها.

(٣) الأصفهاني، عماد الدين الكاتب محمد بن صفي الدين، (ت ٥٩٧ هـ)، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح ابن علي البنداري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م، ص٧١ ـــ ٧٢ ؛ الحسيني، صدر الدين علي ابن ناصر، (ت٦٢٢ هـ)، زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، ط١، دار إقرأ، بيروت، ١٤٠٥ هـ ـــ ١٩٨٥م، ص١٥٩ ـــ ١٦١ ؛ حسنين، عبد النعيم محمد، إيران والعراق في العصر السلجوقي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢ هـ ـــ ١٩٨٢م، ص٧٠ ـــ ٧١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٥.

(٥) Hilmy. Some notes on Arabic Historiography …. P79.

طبقة العلماء، الذين استثمروا منزلتهم في إيصال وجهة نظر العامة بقوة لدى السلطة، كما كانت لهم كلمة مسموعة في الجيش. ومن ناحية أخرى انتقل مركز السياسة والفكر ونشاطاتهما في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من بغداد إلى الموصل وحلب ودمشق والقاهرة، فغدت هذه الحواضر الأهمَ في هذا الاتحاد القوي والجديد، وأصبحت مراكز جديدة للتعليم بانتشار المدارس ومن هنا يمكننا عد الفترتين الزنكية والأيوبية بمثابة عهد تاريخي واحد. (١)

ارتبطت الكتابات التاريخية في هذه الفترة بمراكز التعليم، وهي المدن الرئيسية كبغداد والموصل ودمشق وحلب، لكن يبدو أن دراسة التاريخ لم تكن ضمن المناهج المطروحة في المدارس، بمعنى أنه لم تـُفرَد للتاريخ حصص في المدارس كما أفردت للحديث والفقه والتفسير، وقد يفسَّر ذلك بكون المدرسة مؤسسة سُنية أسست لمواجهة الدعوة الإسماعيلية. وقد انتعشت هذه المدارس في القرن السادس، خصوصاً بعد سقوط الدولة الفاطمية، فكان التركيز على الدراسات الإسلامية، القرآن والحديث والفقه، التي كانت القاعدة الأساس في التعليم في تلك الفترة. (٢)

وهكذا فإن الدراسات التاريخية لم تلق عناية من القائمين على تلك المدارس، وأشار ابن الأثير إلى هذا المعنى حين انتقد جماعة من فئة العلماء يحتقرون التاريخ ويختزلون فوائده في القصص والأسمار، (٣) ووجد أنه من الضروري الدفاع عن الدراسات التاريخية بالتنبيه إلى أهميتها وفوائدها. (٤) واعترف أبو شامة، وهو مؤرخ من القرن السابع، بأنه لم يهتم بالتاريخ إلا بعد أن قضى معظم سنوات عمره في الدراسات الشرعية والأدبية، كما أن اهتمامه بالتاريخ كانت له طبيعة دينية، من خلال ما تعطيه دراسة السيرة وحياة الصحابة ورجال الحديث والفقه من تهذيب خلقي، ففي تقليدهم قربى إلى الله، وهو يرى أنه كان يصعب على أي عالم أو فقيه إغفال دراسة

---

(١) Hilmy. Some notes on Arabic Historiography …. .P 79 -80.

(٢) Ibid. P 80 ؛

انظر أيضاً: مقدسي، جورج، نشأة الكليات، معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ط١، ترجمة محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م، ص٣ وما يليها ؛ بدوي، أحمد أحمد، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٤٠ وما يليها.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٦ ـ ٨.

التاريخ؛ فالشافعي مثلاً، قام بدراسة أيام العرب لمدة عشرين عاماً، ليستعين بها على دراسة الفقه، من هنا وجد أبو شامة نفسه مضطراً لتسويغ اهتمامه بالتاريخ، فأشار إلى أمثلة من "الـذيل علـى الروضتين" ضم تراجم لأشخاص كانوا مصادر للدراسات القرآنية ولدراسة الحديث والفقه. (٢)

وأشار ياقوت إلى أنه تعرض للانتقاد لتأليفه كتاب "معجم الأدباء" بوصفه كتاب تراجم وأخبـار، ونُـصح بالاشتغال بالدراسات الإسلامية بدلاً من تضييع جهـده فـي هـذا الكتـاب، وأوضـح أن اهتمامات البشر مختلفة، فلو اهتم جميع البشر بالموضوع عينه لاختفت بقية المواضيع. (٣) وتحـدث عن أهمية كتابه بقوله: " فهذه أخبار قوم عنهم أُخذ القرآن المجيد والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنـال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمر السلطان والوزارة، وبعلمهم يتم الإسلام، وباستنباطهم يُعرف الحلال من الحرام ". (٤) ويرى أن علم الأخبار والتراجم هو علم الطبقة العليا، وليس لعامة الناس الـذين لا يدركون فوائده. (٥)

ازدهرت الكتابة التاريخية في القرن السادس والسابع للهجرة، الثـاني عـشر والثالـث عـشر للميلاد، وتعددت أشكالها، فظهر مؤرخون كابن عساكر وابن الأثير وأبي شامة وابن خلكان، وكـان لأغلب هؤلاء شهرة أيضاً في موضوعات أخرى غير التاريخ وأكثر انتشاراً كالفقه والحديث. ومـن ناحية أخرى، فإن بعض الكتـّاب الذين شغلوا مناصب إدارية لدى الزنكيين والأيوبيين، ساهموا في الكتابة التاريخية من خلال إعداد وثائق في مناسبات رسمية، من أشهرهم القاضي الفاضـل وابـن شداد والعماد الأصفهاني الكاتب، وهذا يوحي بأن الكتابة التاريخية بدأت تحظى بدعـم رسـمي. (٦) كان المجال واسعاً للتنوع في أساليب الكتابة، فبعض الأعمال منحت الأولوية للحقائق المجـردة،

---

(١) أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، جزآن، دار الجيل، بيروت، بلا ت، ج١، ص٢ ــ ٣ ؛
Hilmy. Some notes on Arabic Historiography …P 81.

(٢) انظر مثلاً: ترجمة كل من القزويني الواعظ، ص٦، والفقيه شرف الدين علي بن محمد بن علي جمال الإسلام ص٥٤، وزين الدين أبو البركات ص١٢١، وتقي الدين بن الأنماطي ص١٣١، ومحمد بن عمر بـن يـوسف القرطبي، ص١٦٢.

(٣) ياقوت، معجم الأدباء، ٢٠ جزءاً، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا ت، ج١، ص٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٦٤.

(٦) Hilmy. Some notes on Arabic Historiography …P 82.

كمؤلفات ابن الأثير، وبعضها كتِب بأسلوب خطابي تميز بشدة الزخرفة والسجع البلاغي، كمؤلفات العماد الكاتب. ويرى "غابرييلي" أن ثمة مؤلفات اتسمت بالسطحية، ولا يمكن الحصول منها على حقائق، لكنه لم يشِر إلى أي منها. (١)

يمكن رصد أنواع عدة من الكتابة التاريخية في القرنين السادس والسابع للهجرة، الثاني عشر والثالث عشر للميلاد: التاريخ العالمي، ويتمثل في "الكامل في التاريخ" لابن الأثير، و"المنتظم" لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)، و"مرآة الزمان" لسبط بن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م). والتاريخ المحلي وتواريخ المدن. وقد غدا هذان النوعان مفضلين عند أغلب المؤرخين في هذه الفترة لأن العراق والشام أصبحا ميدان التنافس، فحاولت كل إمارة حماية نفسها من هجمات جاراتها وإظهار دورها في خدمة الإسلام. ويتمثل ذلك في "ذيل تاريخ دمشق" لابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)، و"كتاب الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م)، و"زبدة الحلب في تاريخ حلب" لابن العديم (ت٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) . وهناك كتب التراجم، وهي نوعان: نوع له طبيعة عامة مثل: "معجم الأدباء" لياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)، ونوع خاص بطبقات محددة من الأشخاص مثل: "أسد الغابة" لابن الأثير، إذ خصصه لتراجم الصحابة، و"عيون الأنباء" وهو عن الأطباء ألفه ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م). وهناك كتب السير الشخصية، ومنها كتاب "النوادر السلطانية" لابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م)، الذي تناول فيه سيرة صلاح الدين. وكتب الأسر الحاكمة، مثل كتاب "مفرِّج الكروب" لابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م)، وهو يتكلم عن الأيوبيين، وكتاب "التاريخ الباهر" لابن الأثير. بالإضافة إلى كتب السير الذاتية؛ أي قصة حياة الكاتب بقلمه، وأشهر الأعمال في هذا المجال كتاب "الاعتبار" لأسامة ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)، (٢) ويمكن إضافة الكتاب الذي وضعه ابن مماتي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) بعنوان "قوانين الدواوين"، وهو يتحدث عن الشؤون الإدارية. (٣)

---

(١) Gabrielli. F. Arab Historians of the Crusades. Translated from the Italian by E. J. Costello. Routledge & Kegan Paul. London, Melbourne and Henley, 1978. PXV.

(٣) Hilmy. Some notes on Arabic Historiography … .P82-83 ; Gabrielli. Ibid. PXV.

أما عن المواد المستخدمة في تواريخ هذه الفترة فيبدو أن المعلومات المأخوذة شفاهاً من المعاصرين للحوادث كوّنت المادة الأساسية للكتابات التاريخية عن تلك الفترة، وقد مر بنا كيف اعتمد ابن الأثير على ما سمعه من والده حين صنف كتاب "الباهر". (١) ومع ذلك لم يغفل المؤرخون أهمية المصادر المكتوبة والوثائق والرسائل الرسمية ومشاهداتهم للأحداث. وتعد أعمال ابن القلانسي والعماد الكاتب وابن أبي طيء وابن شداد وأبي شامة خير مثال على ذلك. على أية حال اعتاد طلبة العلم عموماً أن يكتبوا أعمالهم على نسخ ثم يقرؤونها على شيوخهم، كما اعتاد المؤرخون أيضاً أن يلقوا دروساً عن أعمالهم التاريخية أمام مجموعة من العلماء، من أجل الحصول على الاعتراف بصحة معلوماتهم ودقتها. ولا شك أن دراسة الحديث كان لها تأثير على الدراسات التاريخية. (٢) ومن المناسب هنا أن نلقي نظرة على نماذج لأعمال تاريخية ألفت في هذه الفترة: (٣)

١ ــ **ابن القلانسي**: أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م)، ألف "ذيل تاريخ دمشق"، وقد كتبه على السنين وأضاف إليه التراجم في كل سنة. غطى الكتاب فترة زمنية طولها (١٠٧) سنوات؛ أي بين سنتي (٤٤٨هـ / ١٠٥٦ م ــ ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م)، وأضاف إلى هذه الفترة أحداثاً امتدت لخمس وثمانين سنة سابقة؛ أي من سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) من خلال مقتطفات من تاريخ هلال بن المحسّن الصابي، لذا اعتُبر تتمة لهذا الكتاب. وكان أكثر هذه المقتطفات متعلق بدمشق. وفي اقتباسه لهذه المقتطفات لم يحافظ ابن القلانسي على الترتيب الزمني للأحداث، فهناك سنوات قفز عنها، لكنه جمع الأحداث تحت تسعة عشر عنواناً، و فيها كتب عن عدد من الذين حكموا دمشق في الفترة بين (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م ــ ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م). (٤)

---

(١) انظر ص ٢٩ من هذه الدراسة.

(٢) Hilmy. Some notes on Arabic Historiography …. P 83-84 ;
انظر أيضاً ما كتبه هاملتون جب عن النشاط التاريخي في هذه الفترة، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٤، انتشارات جهان، طهران، بوذر جمهري، مادة "تأريخ"، ص٤٨٦ وما يليها.

(٣) انظر الملاحظات التي كتبها محمد حلمي في دراسته عن المؤرخين المسلمين في هذه الفترة،
Hilmy. Ibid . P 48-97.

(٤) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد، (ت ٥٥٥ هـ)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص٣ ــ ٨٦ ؛ انظر أيضاً:
Cahen. . La Syrie du Nord al ' epoque des Croisades. P 36.

ومع دخوله سنة (٤٤٨ هـ) تقيد بشدة بالترتيب الزمني، ما عدا سنة (٤٧٣ هـ) التي حذفت بالكامل. [١] ووحدة هذا التاريخ هي السنة، لكن ابن القلانسي تدرّج في أحداث كل سنة، فرتّبها زمنياً ضمن السنة الواحدة، [٢] وقد تحدث مطولاً عن سنة (٤٩٧ هـ)، وهي السنة التي فرض فيها الأتابك "طغتكين" سيطرته على دمشق. [٣] ومن الجدير ملاحظته أن ابن القلانسي نادراً ما كان يقتبس من وثائق رسمية، مع أنه شغل منصب رئاسة مدينة دمشق في مناسبتين، [٤] وكانت الأخيرة في سنة (٥٤٨ هـ)، أي قبل سبع سنوات من وفاته. لكن من المسلّم به أن ما دوّنه في كتابه تأسس على مواد وثائقية، كان قد اطّلع عليها في الفترة التي شغل فيها منصبه رئيساً لمدينة دمشق، كما أن بعض المعلومات التي قدمها مستقاة من أخبار شفوية ومكتوبة، ومأخوذة أحياناً عن ألسنة المشتركين في الأحداث، أضف إلى ذلك أن ابن القلانسي كان شاهداً على الكثير من الأحداث التي دوّنها، [٥] لذلك اكتسب عمله قيمة المواد الوثائقية. وقد أعطى تاريخه صورة دقيقة عن حياة دمشق من الناحية الاجتماعية وعلاقاتها مع مصر. [٦] وتظهر أهمية كتابه في كونه قد غدا مصدراً أولياً للمؤرخين اللاحقين؛ كسبط بن الجوزي وابن الأثير وأبي شامة، فيما يتعلق بتاريخ الحملات الصليبية المبكرة. [٧]

٢ ــ **العظيمي**: محمد بن علي (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م)، نزل بمدينة حلب وعمل معلماً للصبيان

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٦ وما يليها.

(٣) المصدر نفسه، ص١٤٣ ــ ١٤٦.

(٤) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، (ت ٥٧١ هـ)، تهذيب تاريخ دمشق، ط٢، هذبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م، ج٤، ص٤٤٢.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٧، ٢٣٧، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣١٧، ٣١٩، ٣٤٣، ٣٥٩ ؛ جب، صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الإسلامي، ط٢، حررها يوسف إيبش، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٦م، مقالته عن ذيل تاريخ دمشق، ص٤١.

(٦) Dahan, Sami, The Origin and Development of The Local Histories of Syria, Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London, 1964, P 114.

(٧) جب، صلاح الدين، مقالته عن ذيل تاريخ دمشق، ص٤٢.

فيها ثم مديراً لإحدى مدارسها. اجتمع بابن عساكر في دمشق وبالسمعاني في بغداد، وصنف كتباً عدة تناول فيها تاريخ بلاد الشام الشمالية مركِّزاً على حلب، لكن لم يصلنا منها سوى شذرات من أحد كتبه وهو "تاريخ العظيمي". وقد كتبه على السنين وانتهى فيه إلى حوادث سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م). ويعد هذا الكتاب من أهم ما كُتِب عن تاريخ سوريا الشمالية مطلع القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. (١)

٣ ـ **القاضي الفاضل**: عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي (ت ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م)، حصل على مكانة ونفوذ واسعين زمن صلاح الدين، وكان قد تولى مناصب إدارية في مصر في السنوات الأخيرة للفاطميين، ثم خدم الأيوبيين قبل تأسيس دولتهم، وصار بمثابة وزير للدولة عند صلاح الدين. (٢) وعُرفت الوثائق التي جمعها باسم "الرسائل"، وقد استعان بها مؤرخو تلك الفترة وكتّابها في أعمالهم، كعماد الدين الأصفهاني الكاتب وابن أبي طيء وأبي شامة.

وبالإضافة إلى تلك الرسائل ترك القاضي الفاضل كتابات متعلقة بالإدارة. وأشار ابن خلكان إلى أنه أُخبر بأن كتابات القاضي الفاضل لو جُمعت لزادت عن مائة مجلد. (٣) ويمكن القول إن هذه الأعمال كتبها القاضي الفاضل بوصفه كاتبَ صلاح الدين أو مستشاراً له. ويبدو أنه

---

(١) الرويضي، إمارة الرها، الفصل الخاص بتحليل المصادر، ص٥٤ ـ ٥٥ ؛ انظر ترجمته عند الصفدي، الوافي، ج٤، ص١٣١ ؛ وابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق إبراهيم صالح، ٢٩ جزءاً، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ج٢٣، ص١١٩ ـ ١٢٠. وانظر أيضاً:

Hammad. Mona. Latin and Muslim Historiography of the Crusades:A comparative study of William of Tyre and Izz Ad–din Ibn Al-Athir. Ph. D. Thesis, University of Pensylvania , Department of History, Philadelphia, 1987, P 59 ;

والزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٠،، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، بلا ت، ج٦، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ ؛ والعريني، السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة، القاهرة، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م، ص١٩٤ ـ ١٩٥. وما يليها.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٥٩.

دونها بشكل يومي. وهنالك عدد من الاقتباسات مــن تلك الأعمال في خطط المقريــزي سُــميت المتجددات أو المياومات. [١] ويبدو أنها تختلف عن الرسائل التي استخدمت بشكل واســع من قبل العماد الأصفهاني الكاتب وابن أبي طيء وأبي شامة. فالرسائل كما يبــدو تناولــت موضــوعات مرتبطة بمناسبات معينة، كالتحركات السياسية وسفارات الخليفة ووصــف للمعــارك، وبالتــالي احتوت كل رسالة موضوعاً مستقلاً، لكن المتجددات والمياومات كانت على شكل مجلة أو جريــدة متواصلة، ومن ثم فإن موضوعاتها أكثر ترابطاً.

إذن فالمتجددات والمياومات هما إسمان للأعمال التاريخية التي ألفها القاضي الفاضــل علــى شكل مدونات يومية، وبالتالي يجب أن تنال عناية أكثر من الرسائل. وتتمثل قيمة كتابات القاضــي الفاضل في أنها تــُظهر حجم المادة التاريخية التي ينبغي على مؤرخي تلك الفترة الإفادة منها. [٢]

٤ ــ **العماد الأصفهاني الكاتب**: أبو عبدالله محمد بن صــفي الــدين (ت ٥٩٧ هــــ / ١٢٠١ م)، ألــف كتابين مهمين عن بلاد الشام وعن صلاح الدين، الأول: هو "البرق الــشامــي"، والــــذي بحث فــي الفتــرة بين (٥٦٢هــ/ ١١٦٧م ــ ٥٨٩ هــ/ ١١٩٣م)، وقد رتبه على السنين. ولم يحفظ من هذا الكتاب سوى الجزئين الثالث والخامس، وقد وضع الكتاب ليبحث في تاريخ الدولــة النورية الصلاحية، لأنه غطى الفترة التي قضاها العماد مع نور الدين وصلاح الدين، مع اعترافه بجميل صلاح الدين نحــوه. [٣] واتصال العماد بخدمة نور الدين وصلاح الدين أعطــى الكتــاب قيمة تاريخية خاصــة، لأنه كان بمثابة شاهد عيان على الأحداث؛ فقد رافق صلاح الدين مدة من الزمن بمثابة كاتبه الخاص، ويرى هاملتون جب أن قسماً كبيراً من محتويات البرق الشامي يجري تصنيفها على أنها مذكرات، وأنها وثائق من "المفكرة المهنية" للعماد الأصفهانــي الكاتب وهــي

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت ٨٤٥ هــ)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ٣ أجزاء، ط٢، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٥٠ ــ ٢٥٣، ٢٨٨، ٣٠٣، ٣٠٨ ــ ٣٠٩، ٣١١ ــ ٣١٤، ج٢، ص١٦٠.

(٢) روزنثال، فرانز، علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م، ص٢٤٠.

(٣) الأصفهاني، البرق الشامي، ج٥، ط١، تحقيق فالح صالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٨٧م، ص٩ من مقدمة المحقق.

تشتمل على مقتطفات من الرسائل الرسمية، وصكوك التعيين للوظائف العامة، ومراسلاته مع القاضي الفاضل، واستشهادات بقصائده أو قصائد الآخرين في مناسبات مختلفة. (١) والكتاب الثاني: هو "الفتح القِسي في الفتح القدسي"، تناول فيه الفترة من فتح صلاح الدين للقدس سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) وعودة الفرنجة إليها، وما بعد ذلك من فتوح صلاح الدين وأعماله حتى وفاته سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م). (٢) ويتصف الكتاب بشدة الزخرفة والسجع البلاغي. ولعل "هاملتون جب" بالغ حين رأى أن هذا الأسلوب هو المستخدم في ديوان الرسائل في الممالك الإسلامية في القرون الوسطى. (٣) وعلى أية حال فقد احتوى كتاب "الفتح" معلومات ذات قيمة تاريخية تستحق الجهد في استخلاصها.

وثمة كتاب آخر للعماد الأصفهاني هو "نصرة الفترة وعصرة الفطرة"، عالج فيه أخبار السلاجقة وكل ما يتعلق بسلاطينهم ووزرائهم وإدارتهم حتى سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)، واعتمد العماد في هذا الكتاب على ما اختاره وهذبه من كتاب الوزير السلجوقي أنو شروان بن خالد "فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور" الذي كان قد نقله عن الفارسية. (٤)

إن طغيان الشكل المزخرف (السجع) على أسلوب العماد لم يقلل من قيمة الوثائق التي ضُمنت في كتبه، خصوصاً البرق والفتح ، وهي تساهم في رسم صورة دقيقة عن تلك الفترة، بالإضافة إلى أنها كونت مصدراً أساسياً للمؤرخين المعاصرين للعماد والذين جاءوا بعده كابن الأثير وأبي شامة، ويمكن وصف كتاب الروضتين لأبي شامة حسب هاملتون جب بأنه تلخيص لكل من "البرق" و"الفتح"، مع مواد إضافية مستقاة من مصادر أخرى. (٥)

---

(١) جب، صلاح الدين، مقالته عن البرق الشامي، ص١٠٥ ــ ١٠٦ ؛ وعن رسائل العماد الكاتب وموضوعاتها، انظر: الشهاب، عبد الرحيم بخيت مفضي، (١٩٩٥م)، العماد الأصفهاني الأديب، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص ٣٢٧ وما يليها.

(٢) الأصفهاني، البرق، ج٣، تحقيق مصطفى الحياري، ص١٦ من مقدمة المحقق.

(٣) جب، صلاح الدين، مقالته عن المصادر العربية عن حياة صلاح الدين، ص٧٢.

(٤) الأصفهاني، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، مخطوط، المكتبة الأهلية، باريس، رقم: ٢١٤٥ (ARABE)، ص٢أ وما يليها ؛ البرق، ج٣، ص١٦ من مقدمة المحقق.

(٥) جب، صلاح الدين، مقالته عن المصادر العربية عن حياة صلاح الدين، ص٧١.

٥ ــ **ابن شداد**: القاضـــي بهـــاء الديـــن يوسف بـــن رافـــع (ت ٦٣٢ هــ / ١٢٣٤ م)، مؤلف كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، وضعه تعبيراً عن ولائه لصلاح الدين. [١] وهو من أكثر المصادر التي تناولت حياة صلاح الدين أهمية، إذ يمكن الاطمئنان إلى دقته، [٢] علماً بـــأن ابن شداد رافق صلاح الدين خمس سنوات فقط (٥٨٤ هـــ/١١٨٨ م ــ ٥٨٩ هـــ /١١٩٣ م). وكتاب النوادر عمل قصير إذا ما قورن بأعمال العماد الكاتب، ولكنه كتب بلغة واضحة وبسيطة، لذلك فقد أعطى الحقائق المجردة قيمة أكبر. ويقـــع الكتاب في قسمين؛ الأول: تحدث عـــن حيـــاة صلاح الدين وفضائله، [٣] والثانــــي: وهو العمل الرئيسي، والذي شغـَـل أكثر مادة الكتـــاب، دوّن فيـــه الأحداث ابتداءً من حملة أسد الدين شيركوه الأولى على مصر سنة (٥٥٩ هــ / ١١٦٤ م) وحتى وفاة صلاح الدين سنة (٥٨٩ هــ / ١١٩٣ م). [٤] ومنذ التحاق ابن شداد بخدمـــة صـــلاح الدين كان يرافقه باستمرار، حتى في الحملات العسكرية. لذلك يمكن عـــده شـــاهد عيـــان علـــى الأحداث، الأمر الذي يجعلنا نتعامل مع كتابه بنوع من الثقة، فهو يعطينا عبر مركـــزه كمـــؤتمن على أسرار صلاح الدين وصديق حميم له فهماً للدوافع التي حركت صلاح الـــدين علـــى اتخـــاذ العديد من القرارات الحاسمة. [٥]

٦ ــ **ابن أبي طـــيء**: يحيى بن حميدة بن ظافر (ت ٦٣٠ هــ / ١٢٣٢ م)، مؤرخ شـــيعي مـــن أهل حلب، وتعد كتاباته مصدراً هاماً اقتبس منه مؤرخون كأبي شامة وابن الفرات. وثمـــة تـــشابه بينه وبين القاضي الفاضل في أن بعض أعمالهما فقدت والبعض الآخر يظهر فـــي مقتطفـــات أو تلخيصات المؤرخين اللاحقين. ولعل اختفاء النصوص الأصلية لأعماله عائد إلـــى حقيقـــة كونـــه شيعيـــاً. [٦]

---

(١) Hillenbrand, Carole, The Crusades Islamic Perspectives, Aremarkable contribution to the history relations between East and West, Routledge, New York, 2000. P 182.

(٢) جب، صلاح الدين، مقالته عن المصادر العربية عن حياة صلاح الدين، ص٦٩.

(٣) ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع، (ت ٦٣٢ هــ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط١، تحقيق أحمد إيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٥٥ وما يليها.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٧ وما يليها.

(٥) جب، صلاح الدين، مقالته عن المصادر العربية عن حياة صلاح الدين، ص٧٠.

(٦) المرجع نفسه، ص٧١.

اشتغل ابن أبي طيء بالكتابة والتأليف لينفق على معيشته، ويبدو أنه كان لديه اطلاع واسع في مجالات عدة؛ كالشعر والبلاغة والفقه على المذهب الإمامي وأصول الفقه والقراءات والتاريخ. [١] وأما مؤلفاته فقد سجل ابن حجر أسماء ستة كتب له هي: "معادن الذهب في تاريخ حلب"، و"سلك النظام في أخبار الشام"، و"الحاوي في رجال الإمامية"، و"فضائل الأئمة"، و"خلاصة الخلاص في آداب الخواص"، و"شرح بهجة البلاغة". [٢] وأضاف حاجي خليفة كتباً أخرى منها: "تاريخ مصر"، [٣] و"مختارات تاريخ المغرب"، [٤] و"حوادث الزمان"، [٥] و"أخبار الشعراء السبعة"، [٦] ولعل المقصود أخبار الشعراء الشيعة.

حصل ابن أبي طيء على جزء من مادته من والده، بوصفه شاهد عيان على بعض الأحداث، خصوصاً زمن نور الدين. وقد اعتبره ابن حجر غير جدير بالثقة في رواية الحديث معتمداً على ملاحظات لياقوت؛ بأن ابن أبي طيء كان يسطو على مؤلفات غيره، فيعيد صياغتها، ويتكسب منها. [٧] ويُذكر أن ابن أبي طيء كان متحاملاً على نور الدين الذي نفى والده من حلب. ومع ذلك فإن استعانة مؤرخين مثل أبي شامة وابن الفرات بمادته وبشكل واسع تجعلنا نشعر بشيء من الثقة إزاءه في مجال التاريخ، لا سيما فيما يتعلق بأحداث عصره.

٧ ــ **سبط بن الجوزي**: يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م)، كان على صلة بالأيوبيين، فعمل في خدمتهم حتى أصبح العالم المفضل في قصر المعظَّم عيسى (ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) في دمشق، وخلال ذلك تخلى عن المذهب الحنبلي وأصبح من أتباع

---

(١) ابن حجر، لسان الميزان، ٧ أجزاء، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧١م، ج٦، ص٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٦٣ ــ ٢٦٤.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٣٠٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٦٩٣.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧.

(٧) ابن حجر، لسان الميزان، ج٦، ص٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

المذهب الحنفي الذي يدعمه المعظم بقوة. وأكثر مؤلفاته تداولاً كتاب "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان"، وهو في التاريخ العالمي؛ يبدأ مع بدء الخليقة وينتهي في سنة وفاته. (١) وتتجلى مقدرته العلميه في القسم المتعلق بتاريخ ما قبل الإسلام. (٢) وقد تحدث في قسم من الكتاب عن الزنكيين والأيوبيين، إذ اعتمد في مادة هذا القسم على كتابات المؤرخين في عصره مثل ابن القلانسي وابن عساكر والعماد الأصفهاني الكاتب وابن شد، بالإضافة إلى جده أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)، الذي اعتمد عليه بصورة أساسية في تاريخ العراق وبلاد فارس، كما اعتمد على شهادات معاصريه. ولم يقتبس سبط بن الجوزي من الوثائق بشكل كبير، مع أنه استخدم كتابات العماد الأصفهاني الكاتب. ويمكن القول إن سبط بن الجوزي كان مهتماً بسيَر العلماء أكثر من التاريخ السياسي، لذلك يمكننا أن نجد في كتابه مزيجاً من من روايات السير على نحو تاريخي صرف، وفي هذا يكون قد تبع جده أبا الفرج بن الجوزي. (٣)

٨ ــ **أبو شامة**: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م)، وهو كغيره من معاصريه كتب في موضوعات متنوعة؛ في النحو والحديث والعقيدة وأصول الفقه والقراءات والتاريخ، (٤) وأهم مؤلفاته في التاريخ: كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" و"الذيل على الروضتين". (٥) ويُفهم من الكتبي أن أبا شامة اختصر "تاريخ دمشق" لابن عساكر مرتين، وأشار إلى أن له كتاباً عن الفاطميين هو "كشف حال بني عبيد". (٦) ولم

---

(١) سبط بن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، (ت٦٥٤ هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٠ ــ ١٩٥١م ؛ اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (٧٢٦ هـ)، ذيل مرآة الزمان، ط١، ٤ أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٤م، ج١، ص ٣٩ ــ ٤٣ ؛ انظر أيضاً: ملاحظات إحسان عباس عن كتاب "مرآة الزمان" في مقدمة تحقيقه للمجلد الأول من كتاب مرآة الزمان، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م، ص٣٦ ــ ٣٧.

(٢) روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، ص٢٠١.

(٣) Hilmy.Some notes on Arabic Historiography …. P 92.

(٤) الكتبي، محمد بن شاكر، (ت ٧٦٤ هـ)، فوات الوفيات والذيل عليها، ٥ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ج٢، ص٢٧٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٠.

(٥) الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص٢٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٠.

يتبقَ من هذه الكتب سوى الروضتين والذيل. وهناك كتاب واحد من مختصريْه عن تاريخ دمشق، يبدو أنه ما يزال مخطوطاً. (١) ويبدو أن هذين المختصريْن هما أول مصنفات أبي شامة التاريخية، وقد أضاف إليهما المواد المفيدة من أعمال أخرى، وهذه الأعمال استخدمها حين بدأ بكتابة الروضتين، وكان يقتبس منها حرفياً. ولم يكتفِ أبو شامة برواية واحدة في كل موضوع، بل دعمها بمقتبسات أخرى من المصادر المتوافرة لديه. (٢) أما دوافعه في الكتابة التاريخية فتلخصت في أمرين: تشجيع الملوك، من خلال اطلاعهم على نهج سابقيهم، على ممارسة أعمال تحقق الخير للناس، (٣) وتذكير نفسه بأقربائه وأصدقائه الذين ماتوا، وليحضر نفسه لملاقاة مصيرها المحتوم. (٤)

اختار أبو شامة مصادره بعناية، واعتمد في ذلك على مبدأين: الأول أن يكون مصدره معاصراً للأحداث، وهذا ينطبق على معظم مصادره، والثاني أن يكون قريباً منها جغرافياً. وكان ابن القلانسي أول المؤرخين الذين استعان أبو شامة بهم، بينما كان ابن شداد آخرهم. وكان ابن الأثير وابن أبي طيء من مصادره التي استخدمها وفق المبدأ الثاني؛ فاعتمد على ابن الأثير في تاريخ الموصل، (٥) وعلى ابن أبي طيء في تاريخ حلب، (٦) وعلى ابن القلانسي في تاريخ دمشق. (٧) وفي كتابه الذيل على الروضتين الذي غطى أحداثاً معاصرة، استخدم ملاحظاته المباشرة كشاهد عيان، كما اعتمد على سبط بن الجوزي، وعلى بعض أساتذته وأصدقائه. (٨)

---

(١) Hilmy.Some notes on Arabic Historiography … .P 92.

(٢) انظر مثلاً قصة وفاة عماد الدين زنكي والأحداث التي تلتها: كتاب الروضتين ، ط٢، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ق١، ص١٠٧ وما يليها، ص١٢٤ وما يليها.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ق١، ص٥.

(٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٥.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج١، ق١، ص١٠٧ وما يليها، ١٢٤، ١٥٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ق١، ص١٢٣، ١٢٤، ٢٥٠.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ق١، ص١٣٣ وما يليها، ١٨١، ٢٠٧.

(٨) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٩، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٧، ٤٩، ٥٣، ٥٧، ١٠٢، ١٠٤، ١١١ ــ ١١٣، ١١٤ ــ ١١٥.

واحتوى الكتاب مجموعة من الأحداث السياسية والتراجم، وكان تركيزه أكثر على دمـــشق ومـــا حولهـــا.

ومجمل القول إن دراسة أبي شامة لمصادره بعناية وإعادة إنتاجها بـــشكل مختـــصر، وبدقـــة ومهارة عاليتين، أكسبت أعماله أهمية كبيرة، ويمكن الاعتماد عليها في دراسة تـــاريخ القرنيـــــن السادس والسابع. فقد زود كتاب الروضتين مثلاً بالعديد من الروايات المعاصـــرة والموثوقـــــة، وبعضها من النادر أن نجدها في مكان آخر؛ كروايات القاضي الفاضل. كما أن العدد الكبير مـــن الوثائق الرسمية التي دوّنها جاءت بنصها، الأمر الذي جعلها تستحق الاهتمام. [١]

وهكذا فبالرغم من أن الدراسات التاريخية لم تحظ بالاهتمام ذاته الذي حظيت بـــه دراســـات القرآن والحديث والفقه، إلا أن مؤرخي القرنين السادس والسابع الهجريَيْن / الثاني عشر والثالـــث عشر الميلاديَيْن استطاعوا أن يوجدوا مسوغات دينية لاهتمامهم بالتاريخ؛ فهو يساعد علـــى فهـــم الشريعة، والاطلاع على ظروف نشأة الأحكام الفقهية. كما أن القرآن شجع المسلمين على معرفـــة أخبار الأمم السابقة ومصائرها. أضف إلى ذلك أن بعض المؤرخين شـــغلوا مناصـــب رســـمية، وساهموا في كتابة التاريخ من خلال الوثائق التي اطلعوا عليها وأضافوها إلى أعمالهم التاريخيـــة، ومنحت هذه الأعمال تفاصيل إضافيه. ولا يمكن إغفال دور مشاهدات المؤرخين واشتراكهم فـــي الأحداث في إضفاء الثقة على أعمالهم. [٢]

وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام، هي أن عدداً من المـــؤرخين تلقـــوا تـــشجيعاً رســـمياً مـــن المؤسسات الحاكمة لتأليف كتبهم، وهذا ما توحي به بعض مؤلفات ابن الأثير والعماد الأصـــفهاني الكاتب وابن شداد. ويبدو أن كتابة السير الشخصية للسلاطين نالت اهتماماً كبيراً في هذه الفترة.

****

---

(١) Hilmy, Some notes on Arabic Historiography … . P 93 – 94.

(٢) انظر ملاحظات برنارد لويس عن المدارس التاريخية في العهود الإسلامية المختلفة، في مقدمة كتاب Historians of The Middle east, P 1-19.

الفصل الثاني

خُطة ابن الأثير ونواحي اهتمامه

أولاً: خُطــة ابن الأثيــر

١ــ عناية ابن الأثير بالوحدة الموضوعية

٢ــ مادة " الكامل في التاريخ "

أولى ابن الأثير عنايته بالتاريخ العالمي، فوضع كتابه " الكامل في التاريخ "، ليكون جامعاً " لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما " وليأتي فيه " بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا "، [١] أي سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م). و لا بد من التأكيد على أن كتابيّ "الكامل" و"الباهر" هما اللذان أكسبا ابن الأثير الشهرة كمؤرخ. [٢]

من المفيد مناقشة تسمية "الكامل" قبل التعرف إلى خطة ابن الأثير. قال ابن الأثير في فاتحة الكتاب إنه سماه " اسماً يناسب معناه، وهو: الكامل في التاريخ "، [٣] ولم يشِر إلى اسم آخر في ثنايا الكتاب، لكنْ ثمة اسم أشار ابن الأثير إليه في كتاب "الباهر"، هو "المستقصى في التاريخ"، [٤] وهذا الاسم لم يذكره ابن الأثير نهائياً في "الكامل"، كما أنه لم يشِر إلى اسم "الكامل" في كتاب "الباهر". لذا فمن المستبعد أن يكون الاسمان لكتابين مختلفين، فكل من ترجموا لابن الأثير نسبوا تاريخاً عالمياً واحداً إليه، هو "الكامل"، كما أن المضمون الذي يعبر الإسمان عنه متشابه، وهو يشير إلى الهدف الذي أراد ابن الأثير تحقيقه من تأليفه الكتاب؛ والمتمثل في الاستقصاء في جمع الأخبار وتقديم تاريخ كامل وشامل. أضف إلى ذلك أن جميع الإحالات إلى "المستقصى" التي قام بها ابن الأثير في "الباهر"، وردت في "الكامل" مفصّلة ضمن الموضوع الذي أحال القاريءَ إليه. [٥] لذا يمكن القول بأن "الكامل" هو نفسه "المستقصى" ولا يمكن الفصل بينهما. ولعل ابن الأثير حين أشار إلى اسم "المستقصى في التاريخ" أراد به صفة للكامل وليس اسماً آخر له أو اسماً لكتاب آخر. وربما كان يفكر أول الأمر بتسمية الكتاب بالمستقصى ثم انتهى إلى تفضيل اسم "الكامل".

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢.

(٢) Hammad, Latin and Muslim Historiography, P 117.

(٣) ابن الأثير، الكامل ، ج١، ص٦.

(٤) ابن الأثير، الباهر، ص١٥٧، ١٧٧، ١٩٤.

(٥) للمقارنة انظر: الباهر، ص١٥٧، ١٧٧، ١٩٤ ؛ والكامل، ج٨، ص٢٤ وما يليها، ج١١، ص٤٣١، ج١٢، ص١٢١ ــ ١٢٣، ١٤٠ ــ ١٤٥، ١٤٨، ١٥٥ ــ ١٥٦، ١٦٠ ــ ١٦٣.

١ ــ عناية ابن الأثير بالوحدة الموضوعية:

مزج ابن الأثير في تاريخه بين الكتابة على السنين "نظام الحوليات"، والكتابة حسب الموضوعات، وجعل من الترتيب الزمني للأحداث إطاراً تشكلت داخله أطر أصغر اعتمدت على أساس موضوعي، سعياً منه إلى تحقيق الوحدة الموضوعية في إطار التسلسل الزمني، فوضع الحوادث ضمن سياق متصل، ليرسم صورة متكاملة عنها ليتمكن القارىء من الإحاطة بها.

وقد لاحظ ابن الأثير أن كتب التاريخ التي اطلع عليها التزمت طريقة الحوليات بشكل صارم، فجاءت الحادثة الواحدة مقطعة على عدة سنين، " لا يُحصل منها على غرض، ولا تُفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعتُ أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرتُ كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض ". (١)

وتتجلى عناية ابن الأثير بالوحدة الموضوعية في جزء كبير من مادته، ومن الأمثلة على ذلك: جمعُه أخبار الفتوحات التي حدثت زمن عثمان إلى أخبار الفتوحات التي حدثت زمن أبي بكر وعمر. (٢) وإيراده خبر ولاية زهير بن قيس على إفريقيا ضمن أحداث سنة (٦٢ هـ / ٦٨٢ م)، مع أنه أشار إلى أن ولاية زهير ومقتله كانت سنة (٦٩ هـ / ٦٨٨ م)، وإنما ذكره ههنا ليكون خبر كسيلة ومقتله متصلاً، ويبرر ابن الأثير ذلك بقوله: " إن الحادثة واحدة وإذا تفرقت لم تُعلم حقيقتها ". (٣) ثم خبر استيلاء عبدالرحمن بن حبيب على إفريقيا سنة (١٢٧هـ / ٧٤٥ م) والحوادث المرتبطة به، وقد استغرق ذلك أكثر من عشرين سنة؛ وضعها ابن الأثير في سياق متصل، ولم يغفل ذكر سنة وقوع كل حادثة ضمن هذا السياق. (٤) ووضع خبر قيام الدولة الفاطمية بإفريقيا ضمن أحداث سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م)، وذكر معه جملة من الحوادث المرتبطة به والتي وقعت قبل هذه السنة وبعدها. (٥) وأشار إلى خبر إعادة القرامطة الحجرَ الأسود إلى مكانه بعد خبر اقتلاعهم له سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩ م) مباشرة،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤ ؛ انظر أيضاً: عاشور، بحوث ودراسات، ص٤٠٣ ــ ٤٠٤ ؛ و Hammad, Latin and Muslim Historiography, p118.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٠، ٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١٠٨ ــ ١١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣١١ وما يليها.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤ وما يليها.

ولم ينتظر إلى سنة (٣٣٩هـ / ٩٥٠ م)، وهي السنة التي أعادوا فيها الحجر. [(١)] كما جمع أخبار دخول العرب إلى إفريقيا وصراعهم مع البربر هناك في سياق واحد، علماً بأنها امتدت زمنياً في الفترة بين (٤٤٢هـ / ١٠٥٠ م) و(٤٥٣هـ / ١٠٦١ م)، وقال في آخرها:
" وكان ينبغي أن يأتي كل شيء من ذلك في السنة التي حدث فيها، وإنما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته، فإنه إذا انقطع وتخللته الحوادث في السنين لم يُفهم ". [(٢)] وأشار في بداية كلامه عن السلاجقة إلى أنه سيورد أخبارهم " مجموعة لترد سياقاً واحداً ". [(٣)]

وأورد خبر استيلاء الفرنج على دمياط سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩ م) ثم عودتها إلى المسلمين سنة (٦١٨هـ / ١٢٢١ م) ووضع الحوادث ذات الصلة، والتي استغرقت أربع سنوات؛ وضعَها متتابعة في موضع واحد ضمن سياق متصل أيضاً. [(٤)]

وثمة أحداث متناثرة وقعت في سنوات عدة جمعها ابن الأثير في خبر واحد بسبب قلتها، أو قِصر حياة الدول المرتبطة بها؛ مثل أخبار دولة الغز العراقيين التي وصفها بأنها " كانت سحابة صيف تقشعت عن قريب ". [(٥)] وخبر عصيان أهل سجستان على أميرهم خلف ابن أحمد الساماني الذي استغرق سنوات قليلة. [(٦)] وأخبار ولاية كل من محمد بن أحمد بن الأغلب وسلفيه زيادة الله وأحمد ابني أبي العباس محمد بن الأغلب على إفريقيا؛ جمعها ابن الأثير أيضاً متتابعة لقلة أخبار كل منهم. [(٧)]

٢ ــ مادة " الكامل في التاريخ "

قدّم ابن الأثير مادة تاريخية متوازنة زمنياً وجغرافياً؛ فمن الناحية الزمنية بحَث في بدء الخليقة، وأخبار الأنبياء، والأمم القديمة، ليصل إلى ظهور الإسلام والتطورات التي ارتبطت بنشأة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٠٧ ــ ٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٧٠.
(٣) المصدر نفسه ، ج٩، ص٤٧٣.
(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٢٠ وما يليها.
(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٩١.
(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٦٣ ــ ٥٦٥.
(٧) المصدر نفسه، ج٦، ص٥١٩ ــ ٥٢١.

الأمة، وتعاقب الدول الإسلامية حتى عصره، ثم الغزو الخارجي الذي تعرض له العالم الإسلامي. ومن الناحية الجغرافية، حرص ابن الأثير على أن يغطي كل مناطق العالم المعروف لديه في ذلك الوقت، والذي كان الإسلام، بطبيعة الحال، محوره، فحاول أن يقدّم مادة تاريخية تجمع بين المغرب الإسلامي ومشرقه. (١)

بدأ ابن الأثير تاريخه بمناقشة الروايات التي تناولت الوقت الذي بدأ المسلمون فيه باستعمال التاريخ الهجري، (٢) في التفاتة منه إلى أهمية هذه المسألة لتكون فاتحة كتابه الذي اعتمد فيه سنيَّ الهجرة إطاراً زمنياً له، باستثناء فترات ما قبل ظهور الإسلام؛ إذ رتبها حسب الموضوعات.

وتناول بعد ذلك موضوع الزمان وابتداء الخلق، (٣) لكي يمهّد لتاريخ الأنبياء والتاريخ الإسلامي، وكان هذا الأمر تقليداً متّبعاً في جميع مؤلفات هذا النوع من التاريخ قبل ابن الأثير وبعده. (٤) وقد تحدث عن تعريفات الزمان، مسلّماً بمقولة إن الزمان ما هو إلا " ساعات الليل والنهار "، (٥) ثم تناول قصص الأنبياء، (٦) وهو أمر أساسي في سياق التمهيد للحديث عن ظهور خاتمة الرسالات.

وكان تاريخ بني إسرائيل حاضراً عند ابن الأثير، (٧) خصوصاً عند حديثه عن أخبار

---

(١) Hammad, Latin and Muslim Historiography, p 119.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٠ ــ ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٣ وما يليها.

(٤) انظر مثلاً: الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤ ــ ٦، ١٠ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، بلا ت ، ج١، ص٩ وما يليها ؛ وابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧ هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، ١٨ جزءاً، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م، ج١، ص١٢٠ وما يليها ؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٨ وما يليها.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٣.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٦٢ ــ ٦٣، ٦٧ وما يليها، ٩٤ وما يليها، ١٢٨ وما يليها، ١٣٧ وما يليها، ١٥٧ ــ ١٥٩، ١٦٩ وما يليها، ٢١٢ ــ٢١٦، ٢٢٣ وما يليها، ٣٠٧ وما يليها.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٧ وما يليها، ٢٥١ وما يليها.

الأنبياء، وهذا أمر متوقع؛ لأن عدداً كبيراً من الأنبياء أرسل إلى بني إسرائيل، كما أن أخبار بني إسرائيل وأحوالهم وعلاقاتهم بأنبيائهم، شغلت مساحة كبيرة في القرآن، وهذا انعكس على نظرة ابن الأثير إلى تاريخهم فمنحه اهتمامه.

وقد تداخلت مع تاريخ بني إسرائيل أخبار الفرس والروم وطبقات ملوكهم، إذ تناولها بالتفصيل، فاحتلت جزءاً كبيراً من مادته عن التاريخ القديم؛ [١] فالفرس والروم يمثلان الخصمين السياسيين والحضاريين للأمة الجديدة، لذا أولاهما ابن الأثير عنايته.

ثم أشار سريعاً إلى أخبار ملوك اليمن، [٢] ورصد أخبار الإسكندر وخلفائه، [٣] ليكمل بها مادته الخاصة بالتاريخ القديم، قبل أن يدخل في مناقشة أخبار العرب قبل الإسلام.

بدأ ابن الأثير حديثه عن العرب قبل الإسلام بأخبار هجرة بعض القبائل إلى العراق ونزولها الحيرة، وتحدث عن علاقات العرب مع الفرس. [٤] ثم تناول النزاع اليهودي النصراني على اليمن، والمتمثل في قصة الأخدود، ثم غزو الحبشة له. [٥]

ويُسجَّل لابن الأثير اهتمامه بأيام العرب في الجاهلية، إذ أفرد لها جزءاً كبيراً من مادته عن العرب قبل الإسلام. وأشار إلى أنه سيذكر الأيام المشهورة التي اشتملت على جموع كثيرة وجرى فيها قتال شديد، ولن يعرج على الغارات التي اقتصرت على أعداد قليلة. [٦] فهو، كما يبدو، لا يريد أن يشتت ذهن القارئ بالأخبار الصغيرة، التي لم تترك أثراً يُذكر في مجرى الأحداث.

وأضاف إلى حديثه عن أيام العرب تفاصيل عن خصالهم ومشاغلهم الحياتية وآرائهم السياسية والاجتماعية. ولعله أراد بذلك مجابهة حكايات الفرس عن أصول ملوك فارس وخصائصهم. [٧]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠٧ ـــ ٢٠٩، ٢٤٥ ـــ ٢٥٠، ٢٥٨ ـــ ٢٦٠، ٢٧٣ ـــ ٢٧٥، ٢٧٨ ـــ ٢٨١، ٢٩٣ ـــ ٢٩٧، ٣٢٢ وما يليها، ٣٧٧ وما يليها ؛ انظر أيضاً: زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ٤ أجزاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٦ ـــ ٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٢ وما يليها.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٠ ـــ ٣٤٢، ٤١٠ ـــ ٤٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٥ وما يليها.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٥٠٢ وما يليها.

(٧) فرحان، محمد جلوب (١٩٨٢م)، منهجية ابن الأثير في كتاب (الكامل في التاريخ)، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ص٣٦٤.

وتحدث ابن الأثير عن سيرة الرسول ﷺ، فرصد موضوعاتها الرئيسة؛ كالنسب والعشيرة والنشأة والنبوة والهجرة، وأعطى نسبه اهتماماً خاصاً فعرَضه بالتفصيل. [١] وناقش المحطات الرئيسة في حياته قبل البعثة؛ كزواجه من خديجة، [٢] وحلف الفضول. [٣] وهذا أمر متوقع؛ فالرسول ﷺ صاحب خاتمة الرسالات، والإرادة الإلهية اختارته ليتحمل مسؤولية نشر الرسالة الجديدة إلى البشرية، لذا منح ابن الأثير ظروف نشأته وحياته اهتمامه.

وانتقل ابن الأثير إلى الفترة المكية فبحث في العلاقة بين المسلمين والمشركين، [٤] ووصف معاناة المسلمين الأوائل في مكة، وتحدث عن الهجرة إلى الحبشة، [٥] وعرض ِ الرسول ﷺ نفسه على القبائل، وبيعتي العقبة الأولى والثانية، والهجرة إلى يثرب. [٦] وهذه موضوعات نالت عناية ابن الأثير، لأنها شكلت التحولات الرئيسة في حياة الرسول ﷺ ومسار الدعوة قبل الهجرة، وذلك في سياق تكوين الأمة الجديدة.

وبدأ في عرض مادته بعد الهجرة باستخدام الترتيب الزمني بالكتابة على السنين، وقد صرح بذلك حين قال إنه سيذكر " التواريخ الإسلامية على سياقة سني الهجرة ". [٧] وركز اهتمامه في الفترة المدنية على الغزوات والسرايا، وعلاقات المسلمين بكل من المشركين واليهود.[٨]

ويمكن القول إن ابن الأثير بنى مادته الخاصة بالسيرة ليشكل محوراً أراده، وهو "تكوين الأمة الإسلامية". بل إن جُلَّ الحوادث التي سبقت ظهور الإسلام، كقصص الأنبياء وأخبار العرب،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥ وما يليها.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩ ــ ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤١ ــ٤٢ ؛ وعن حياة الرسولﷺ قبل البعثة، وفي الفترة المكية انظر:

Watt, W, Montgomery, Muhammad at Mecca, Oxford University Press, London, 1968, P 30-59, 86-99, 100-136.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ٦٦ وما يليها.

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ص٧٦ وما يليها.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٤ وما يليها.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٥٠١.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٣ وما يليها ؛ وعن المواجهات بين الرسول ﷺ وأعدائه من قريش واليهود انظر:

Watt, W, Montgomery, Muhammad at Medina, Oxford University Press, London, 1968, P 17-39, 52-65, 65-77.

صاغها ابن الأثير ليمهد بها للرسالة الجديدة، التي تعد امتداداً للرسالات السماوية وخاتمة لها. كما أن البيئة العربية هي البيئة التي ظهرت فيها هذه الرسالة.

وناقش ابن الأثير باهتمام الأحداث الكبرى في فترة الراشدين؛ كـــالردة، [١]والفتوحـــات، [٢] وقصة الشورى، [٣] ومقتل عثمان ووقعتي الجمل وصفين. [٤] وهذا منتظر لأهمية هذه الأحـــداث ولأثرها الكبير في الانقسام الإقليمي بين العراق والشام. [٥]

وفي الفترة الأموية تناول بالتفصيل الإجراءات الإدارية للدولة كتعيين الولاة وعزلهم. [٦] كمـــا تناول الحملات العسكرية التي أرسلتها الدولة إلى مناطق كالهند والسند وجبـــال الغَـــور والتـــرك والقسطنطينيـــة. [٧] وتنـــاول بالتفصيـــل قصـــة البيعـــة ليزيـــــد بـــــن معاويـــــة بولايـــــة العهـــد. [٨] وأولـــى حركـــات الخـــوارج [٩] والشيعـــة عنايته، [١٠] وكذلك ثورتي الحسين [١١]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٤٢ وما يليها.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٤ وما يليها، ج٣، ص٥ وما يليها.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٥ وما يليها.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥٠وما يليها.

(٥) أبوهدهود، طارق محمود (٢٠٠٥م)، اتجاهات القبائل العربية في التطـــورات التاريخيـــة بيـــن عامـــي ٣٥ ــ٤٠هــ، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمان، ع٢٠١، ص١٦٦ ــ ١٦٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤١٣ ــ ٤١٧، ٤٤٧ ــ ٤٥١، ٥١٢ ــ ٥١٣، ٥٢١ ــ ٥٢٢، ج٤، ص١٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣٧، ٤٤٦، ٤٥٥ ــ ٤٥٦، ٤٥٨ ــ ٤٥٩، ٤٩٧،

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٠٣ وما يليها.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠٩ ــ ٤١٣، ٤١٧ ــ ٤١٨، ٤٢٠ ــ ٤٢١، ٤٢٥ وما يليها، ٥١٦ ــ ٥٢٠، ج٤، ص١٩٤ وما يليها، ٢٨١ ــ ٢٨٧، ٣٤٢ ــ ٣٤٥، ٤١٩ وما يليها، ج٥، ص٤٥ ــ ٤٨، ٢٠٩ ــ ٢١٢. ويُلاحظ أن ابن الأثير ذكر الخوارج أول مرة في سنة (٣٦ هــ) أي بعد وقعة الجمل مباشرة وقبل صفين، إذ اعتبر أن جماعة ممن خرجوا على علي بعد الجمل ونزلوا سجستان من الخوارج، وهم بزعامة حسكة بن عتاب الحبطي، وعمران بن الفضيل البرجمي، الكامل، ج٣، ص٢٦٤ ؛ ويرى سليم النعيمي أن الخوارج بدأوا بالظهور في أيام عثمان، النعيمي، سليم (١٩٦٧م)، ظهور الخوارج، مجلة المجمع العلمي، العراقي، بغداد، مج (١٥)، ص١٠ ــ ٣٨.

(١٠) المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٧٢ وما يليها، ج٤، ص ١٩ وما يليها، ٣٧ وما يليها،١٥٨ ــ ١٦٥، ١٦٨ وما يليها، ٢١١ وما يليها، ج٥، ص٢٢٩ ــ ٢٣٦، ٢٤٢ ــ ٢٤٧، ٢٧١ ــ ٢٧٢.

(١١) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦ وما يليها.

وعبدالله بن الزبير، [١] وأخبار الفتوحات في بلاد ما وراء النهر، [٢] وفتوحات المغرب والأندلس، [٣] وكذلك أخبار الثغور. [٤] وتحدث أيضاً عن اضطراب البيت الأموي، [٥] واختتم هذه الفترة بأخبار الدعوة العباسية وانقضاء الدولة الأموية. [٦]

وعندما انتقل ابن الأثير إلى العصر العباسي أولى عنايته للتدابير التي قام بها أبو العباس وأبو جعفر المنصور لتثبيت الدولة والتخلص من خصومهما. [٧] ثم تحدث عن الثورات في المشرق كثورة المقنع (١٥٩ هـ / ٧٧٦ م ــ ١٦٣ هـ / ٧٨٠ م)، [٨] وحركة بابك الخرمي (٢٠١ هـ / ٨١٧ م ــ ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م). [٩] كما اعتنى بثورات العلويين، كثورة محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم سنة (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م). [١٠] وبحث في الحوادث المهمة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٣ ــ ١٢٤، ٢٠٦ ــ ٢٠٧، ٣٤٨ وما يليها.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٥٣ ــ ٤٥٦، ٥٣٥ ــ ٥٣٩، ٥٤٢ ــ ٥٤٥، ٥٤٩ ــ ٥٥٤، ٥٧٠ ــ ٥٧٦، ٥٨٣، ج٥، ص٥ ــ ٨، ٢٩ ــ ٣٦، ٩٢ ــ ٩٧، ١٥١ ــ ١٥٤، ١٦٢ ــ ١٧١، ٢٣٦ ــ ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١٠٥ ــ ١١٠، ٣٦٩ ــ ٣٧٢، ٥٣٩ ــ ٥٤٠، ٥٥٦ وما يليها، ٥٧٦، ج٥، ص١٣٦، ١٧٤ ــ ١٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٥، ٥٤٧ ــ ٥٤٨، ٥٨٢، ٥٩١، ج٥، ٢٧ ــ ٢٨، ١٤٠، ٢٤٠، ٢٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٨٠ وما يليها.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٣ ــ ٥٤، ١٤٣ ــ ١٤٤، ١٨٩ ــ ١٩٠، ٢٥٤ ــ ٢٥٨، ٣٤٧ ــ ٣٤٨، ٣٥٦ ــ ٣٦٣، ٣٦٦ ــ ٣٧٠، ٣٧٨ ــ ٣٨٢، ٣٨٥ ــ ٣٨٨، ٣٩٥ وما يليها ؛ وانظر عن الدعوة العباسية: مجهول، أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١م، ص٢١٨ وما يليها ؛ والدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٧ وما يليها ؛ والدوري (١٩٥٧م)، ضوء جديد على الدعوة العباسية، مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة بغداد، مطبعة الرابطة، بغداد، ع٢، ص٦٩ وما يليها ؛ وأمين، حسين (١٩٧٩م)، الدعوة العباسية، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع١٠، ص٩ ــ ٢١.

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٠٨ وما يليها، ٤٦٤ وما يليها.

(٨) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٨ ــ ٣٩، ٥١ ــ ٥٢.

(٩) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٢٨، ٤١٢ ــ ٤١٣، ٤٤٧ ــ ٤٥١، ٤٥٦ وما يليها.

(١٠) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٢٩ وما يليها، ٥٦٠ وما يليها، ج٦، ص٩٠ ــ ٩٤، ١٢٥ ــ ١٢٦.

في العصر العباسي الأول؛ كإيقاع الرشيد بالبرامكــة، [١] والخلاف بــين الأمــين والمــأمون، [٢] ومحنة خلــق القــرآن. [٣]

ومنح ابن الأثير أخبار الأندلس في هذه الفترة اهتمامه، فذكر بالتفصيل خبر هــروب عبــد الرحمن بن معاوية من العباسيين ودخوله الأندلس وإحيائه الدولة الأموية هناك، [٤] وأشــار إلــى الفتن التي اشتعلت في الأندلس بين البربر والعرب وبين المضرية واليمانيــة، والثــورات التــي قامت ضد الحكم الأموي. [٥] وتوسع في أخبار المواجهات العسكرية بين المسلمين والإسبان الذين سماهم الفرنج. [٦]

واستعرض في الفترة التالية أخبار غزوات المسلمين في جزيرة صــقلية وفتحِهــا، وبعــض الحوادث التي وقعت فيها، كفتح مدينة قصريانــّة التي يوجد فيها قصر الملك الصقلي، وفتح مدينة نوطس وطبَرمين ومَسّيني ورمَطة.[٧] وأشار كذلك إلى حوادث الفتن التي وقعــت بــين أهلهــا وبعض أمرائهم، [٨] ثم علاقات أهلها بكل من العباسيين والفاطميين. [٩]
وتحدث ابن الأثير عن الفتن الداخلية، [١٠] والثورات التي أثرت بصورة كبيرة علــى المجتمع

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٧٥ ــ ١٨٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٢٢ ــ ٢٢٥، ٢٢٧ ــ ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٥٩ ــ ٢٦١، ٢٦٦ ــ ٢٦٩، ٢٧١ وما يليها.
(٣) المصدر نفسه،ج٦، ص٤٢٣ ــ ٤٢٧.
(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٨٩ ــ ٤٩٦.
(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٩ ــ ١٠، ٧٨ ــ ٧٩، ١١٦ ــ ١١٨، ١٩٩ ــ ٢٠٥، ٢٩٨ ــ ٣٠٠، ٣١٨ ــ ٣١٩، ج٧، ص٢٧١ ــ ٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه، ج٦، ١٢٣ ــ ١٢٤،١٤٩ ــ ١٥٠، ٢٣٦ ــ ٢٣٧، ٥٠٧ ــ ٥٠٨، ج٧، ص١٦ ــ ١٨، ٧٣ ــ ٧٤، ١٦٢ ــ ١٦٣.
(٧) المصدر نفسه، ج٧، ص٥ ــ ٧، ٦٠ ــ ٦٤، ١٠٦ ــ ١٠٩، ج٨، ٥٥٦ ــ ٥٥٨.
(٨) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٧ ــ ٣٣٩.
(٩) المصدر نفسه، ج٨، ص٧١ ــ ٧٣.
(١٠) المصدر نفسه، ج٧، ص١٢١ ــ ١٢٣، ١٦٩ ــ ١٧١، ١٨١ ــ ١٨٣، ٢٦٩ ــ ٢٧١، ج٨، ٥٦٣ ــ ٥٦٤، ٦٣٤ ــ٦٣٧، ج٩، ص٤١ ــ ٤٢، ٤٩ ــ ٥٠، ٣٣٢ ــ ٣٣٣، ٤١٨ ــ ٤٢١، ٥٧٥ ــ ٥٧٨.

الإسلامي؛ كثورة الزنج، [١] وحركات القرامطة. [٢]

وانفرد ابن الأثير بتقديم تفاصيل وافية عن الدولة الفاطمية؛ نشأتها في إفريقيا، وتوسعها باتجاه المغرب وصقلية ومصر والشام، ثم تراجع نفوذها وانهيارها سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م). [٣]

ورسم صورة واضحة عن أوضاع الخلافة العباسية، فتحدث عن تراجع هيبة الخلفاء، وهيمنة القادة الأتراك على الخلافة منذ خلافة المقتدر سنة (٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) وحتى مجيء البويهيين سنة (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م)، [٤] ثم تناول أوضاعها في الفترة البويهية في إشارات قليلة، [٥] إذ ازدادت انحداراً عما كانت عليه في الفترة السابقة، فزاد ضعف الخلفاء، "ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة ... بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير، إنما كان له كاتب يدبر إقطاعه وإخراجاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد". [٦] ولعل هذا الأمر هو السبب في

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠٥ ــ ٢١٥، ٢٤١ ــ ٢٤٧، ٢٥٢ ــ ٢٥٦، ٢٩٢ ــ ٢٩٥، ٣١٢ ــ ٣١٥، ٣٣٨ وما يليها، ٣٧٤ وما يليها، ٣٩٩ ــ ٤٠٦ ؛ وعن ثورة الزنج انظر: الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٦٣ وما يليها ؛ وناجي، عبد الجبار (١٩٧٨م)، القيمة العلمية لمادة تاريخ الطبري عن ثورة الزنج، مجلة المورد، مج ٧، ع ٢، ص٤٠ وما يليها.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٩٣ ــ ٤٩٥، ٥٢٣ ــ ٥٢٦، ٥٤١ ــ ٥٤٦، ٥٤٨ ــ ٥٥١، ج٨، ١٤٣ ــ ١٤٤، ١٧٠ ــ ١٧٥، ١٨٦ ــ ١٨٧، ٢٠٧ ــ ٢٠٨، ٣٥١ ــ ٣٥٢، ٤٨٦، ٦١٤ ــ ٦١٦ ؛ وعن حركات القرامطة بالتفصيل انظر: دي خويه، ميكال يان، القرامطة، نشأتهم ودولتهم وعلاقتهم بالفاطميين، ط١، ترجمة وتحقيق حسني أبو زينة، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨م، ص٣٩ وما يليها، و٦٩ وما يليها، ١١٥ وما يليها، ١٤٧ وما يليها ؛ ولونغ، و، لفيرد ماد، الفاطميون وقرامطة البحرين، منشور ضمن كتاب: الإسماعيليون في العصر الوسيط، تاريخهم وفكرهم، تحرير فرهاد دفتري، ترجمة سيف الدين القصير، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٩م، ص٣٥ وما يليها ؛ والدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٩٧ وما يليها.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص٢٤ وما يليها، ، ١١٣ ــ ١١٤، ٤٢٢ وما يليها، ٦٣٨ ــ ٦٤٣، ج٩، ص٦٣٥ ــ ٦٣٦، ج١٠، ص٢٣٥ ــ ٢٣٦، ٦٦٤ ــ ٦٦٥، ج١١، ص٢٩٠ ــ ٢٩١، ٣٦٨ ــ ٣٧١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٩٥ ــ ١٠٠، ١١٧، ١٣٩، ١٤١ وما يليها، ١٩٥ ــ ١٩٦، ٢٢٩ ــ ٢٣٣، ج٨، ص١٤ ــ ١٩، ٢٠٠ ــ ٢٠٧، ٢٤١ ــ ٢٤٦، ٢٧٩ ــ ٢٨٤، ٤١٨ ــ ٤٢٢ ؛ انظر أيضاً: الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص١٤٤ وما يليها.

(٥) ابن الأثير، الكامل،، ج٨، ص٤٥٠ ــ ٤٥٣، ٦٣٧.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٥٢ ؛ وانظر: الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص١٨٢وما يليها.

قلة أخبار الخلفاء عند ابن الأثير في هذه الفترة؛ إذ تضاءل دورهم في توجيه السياسة العامة.

وتحدث بعد ذلك عن خلافات البيت البويهي، [١] إلى أن وصل إلى الفترة السلجوقية، فتحـدث عن ابتداء دولة السلاجقة، ولخص أخبار العائلة السلجوقية في بداية الأمر بشكل متتابع، ثم رتبهـا على السنين؛ فبدأ بأحوال تقاق وابنه سلجوق جد طغرلبك، وتناول توسع السلاجقة في خراسـان، ودخولهم بغداد سنة (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)، ثم تحدث عن تأسيس السلطنة وعلاقتها بالخلافة، ثـم تفككهـا.[٢]

وأولى ابن الأثير عناية خاصة لأخبار الغزو الخارجي لدار الإسلام، ممثلاً بغـزو الفرنجـة والتتر، وجهاد المسلمين لهم، وهذا منتظر لأن هذا الموضوع كان شغل المسلمين الشاغل في تلك الفترة، كما أن ابن الأثير عاصر هذه الحوادث، بل وشارك في بعضها، وقد عـدَّ غـزو التتـر للمشرق الإسلامي أعظم كارثة حلـّت بالإنسانية. [٣]

ويلفت النظر أن ابن الأثير انفـرد بفكـرة الربط بين غزو الفرنج في المشرق الإسلامـي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٨٣ ــ ٥٨٤، ٦٤٨ ــ ٦٥٤، ٦٧١ ــ ٦٧٣، ٦٨٩ ــ ٦٩١.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٧٣ ــ ٤٨٤، ٥٠٤ ــ ٥١١، ٦٠٩ ــ ٦١٤، ٦٢٦ ــ ٦٣١، ٦٣٩ ــ ٦٥٠، ج١٠، ص٥ ــ ٩، ٢٥ ــ ٢٩، ٣١ ــ ٤١، ١٧١ ــ ١٧٦، ٢٠٢ ــ ٢١٦، ٢٣٢ ــ ٢٣٥، ٢٤٤ ــ ٢٤٨ ؛ وعن السياسات السلجوقية في العراق والعلاقة بين السلاجقة والخلفاء العباسيين انظر: المشهداني، محمد جاسم حمادي (١٩٨٤م)، نهاية النفوذ السلجوقي في العراق، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٥، ص١٩٣ ــ ٢٠٩ ؛ وبيات، فاضل مهدي (١٩٨١م)، السياسة السلجوقية في العراق، مجلة المؤرخ العربي، ع١٨، ص٩٧ ــ ١٢١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٣٧٥ ــ ٣٧٦ ؛ انظر أيضاً: بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م، ص٣٧٥ ؛ وخليل، عماد الدين (١٩٧٩م)، صفحات مجهولة من تاريخ الغزو التتري، مجلة المؤرخ العربي، ع١١، ص ١٥٥ ــ ٢٠٧.

وهجمات الإسبان، ويسميهم الفرنج، على المسلمين في الأندلس، واستيلاء النورمان على جزيـرة صقليـة سنـة (٤٨٤ هـ / ١٠٩١م)، ومحاولتهم غزو شمال إفريقيـا؛ إذ اعتبرهـا حـركة منظمـة واحدة، وجهتها الكنيسة ضد المسلمين في كل من الشرق والغـرب، فجعـل سنـة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) أي السنة التي استولى فيها الإسبان على مدينة طليطلة في الأندلس بدايـة الغزو الفرنجي لبلاد المسلمين. [1]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٤٢ ــ ١٤٣، وانظر أيضاً: ج١٠، ص٢٧٢ ــ ٢٧٨، ٢٨٢ ــ ٢٨٦، ٤٦٠ ــ ٤٦٩، ٤٧٩ ــ ٤٨٣، ٤٨٥ ــ ٤٩٧، ج١١، ص ١٢٥ ــ ١٣٢، ٥٢٩ وما يليها، ج١٢، ص٥ وما يليها، ٢٧ وما يليها، ٤٤ ــ ٥٦، ٦٣ ــ ٧٥، ٣٢٢ ــ ٣٣١؛ انظر أيضاً:

Hammad. Latin and Muslim historiography. P123 – 124 ;

and Hillenbrand, The Crusades Islamic Perspectives, P 52 ;

وانظر: الجدول الزمني الذي وضعه رايلي سميث وحدد فيه التواريخ الدقيقة لأحداث الفترة الصليبية مرتبة حسب تسلسلها الزمني، حيث راعى فكرة ابن الأثير القائمة على الربط بين الحروب الصليبية في المـشرق والحـروب الصليبية في أوروبا (صقلية وإسبانيا) وشمال إفريقيا،

Riley-Smith, Jonathan, The Atlas of The Crusades, Times Books, London, 1991, P 10-19.

واعتنى ابن الأثير بأخبار عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وجهودهما في الجهاد ضد الفرنج، [١] ويعود ذلك إلى علاقة أسرته بالدولة الأتابكية. كما ركز اهتمامه أيضاً على أعمال صلاح الدين في تثبيت دولته، ودوره في جهاد الفرنج. [٢]

واختتم ابن الأثير كتابه بالحديث عن خروج التتر إلى بلاد الإسلام، وأشار إلى أنه كان في بداية الأمر " معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارها لذكرها... فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين...؟ " [٣]. لكنه رأى أن ترك الحديث عن هذا الموضوع لن يجدي نفعاً، فبدأ بخلاصة عن تحركاتهم في بلاد تركستان وبلاد ماوراء النهر، وعبورهم إلى خراسان والري وهمذان وبلاد الجبل حتى حدود العراق، ثم عبورهم إلى أذربيجان والمناطق المجاورة لها، ومسير طائفة أخرى منهم إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان، وتحدث عن أعمال القتل والنهب والتخريب التي مارسوها في المناطق التي سيطروا عليها. وبعد هذه الخلاصة بدأ بالتفاصيل، فجمع الجزء الأكبر منها في سياق متصل، [٤] وفرق بعضها الآخر على السنين. [٥]

ولم يغفل ابن الأثير في خطته تدوين أخبار الأسر الحاكمة التي ظهرت في بعض الأقاليم في

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٦٢ ــ ٦٦٤، ج١١، ص٥٠ ــ ٥٣، ٩٨ ــ ١٠٠، ١٣١ ــ ١٣٢، ١٤٤ ــ ١٤٥، ١٦٣ ــ ١٦٤، ٢٩٤ ــ ٢٩٦، ٢٩٨ ــ ٣٠٥، ٣٢٤ ــ ٣٢٨، ٣٣٥ ــ ٣٤١، ٣٥٢ ــ ٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٤١٢ ــ ٤٢٣، ٤٢٧ ــ ٤٣١، ٤٣٦ ــ ٤٣٧، ٤٦٤ ــ ٤٦٧، ٤٧٠ ــ ٤٧٢، ٤٧٨ وما يليها، ٤٩٣ ــ ٤٩٩، ٥٠١ ــ ٥٠٢، ٥٠٦ ــ ٥٠٧، ٥١١ ــ ٥١٤، ٥١٥ ــ ٥١٨، ٥٢٣ ــ ٥٢٥، ٥٢٦ ــ ٥٢٨، ٥٢٩ ــ وما يليها، ج١٢، ص٥ وما يليها، ٢٧ ــ وما يليها، ٤٤ ــ ٤٧، ٨٤ ــ ٨٧.

(٣) يتعين ملاحظة أن ابن الأثير لم يشهد حادثة سقوط بغداد بيد التتر، التي وقعت سنة (٦٥٦ هــ).

(٤) ابن الأثير، الكامل،، ج١٢، ص٣٥٨ وما يليها.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤١٩ ــ ٤٢٠، ٤٧٦ ــ ٤٧٧، ٤٩٥ ــ ٥٠٤ ؛ وعن تاريخ التتر انظر: بارتولد، و، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بلا ت، ص١٨٣ وما يليها ؛ وحمدي، حافظ أحمد، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة، بلا ت، ص١٢٦ وما يليها ؛ وبدر، مصطفى طه، مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر العربي، دمشق، بلا ت، ص١٢ وما يليها.

المشرق ومصر والشام، وقويَ نفوذها في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين؛ كالأسرة الطاهرية (٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م ـ ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م)، التي حكمت ولايات كرمان والري وخراسان وما وراء النهر، لكنها حافظت على ولائها للخلافة. (١) والأسرة السامانية (٢٦١ هـ / ٨٧٤ م ـ ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م)، التي حكمت سمرقند وفرغانة والشاش وبخارى وقسم من الصغد، وقد حافظت هي أيضاً على ولائها للخلافة. (٢) كما دوّن أخبار الأسرة الصفّارية (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ـ ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) التي خرج مؤسسها يعقوب بن الليث الصفار على الخلافة وحاول الاستقلال بحكم خراسان وفارس وأصفهان وسجستان وكرمان والسند. (٣) ثم الأسرة الطولونية (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م ـ ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م)، التي انفصلت لفترة بمصر والشام. (٤)

وتناول ابن الأثير بالتفصيل أخبار الأسرة الخوارزمية التي ظهرت على يد محمد بن أنوشتكين في أواخر القرن الخامس، وتلاشت على يد التتر مطلع القرن السابع. (٥)

وفي تاريخ المغرب والأندلس أولى ابن الأثير أيضاً عنايته بأخبار الأسر الحاكمة التي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٣٩ ـ ٢٤٨، ٢٦٢ ـ ٢٦٥، ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ٢٧١ ـ ٢٧٧، ٢٧٨ ـ ٢٨٨، ٣٦٠ ـ ٣٦٢، ٣٦٣ ـ ٣٧٧، ٣٨٣، ٤١٤ ـ ٤١٥، ج٧، ص١٣ ـ ١٦، ١٨٠ ـ ١٨١، ٢٠١ ـ ٢٠٣ ؛ انظر أيضاً: الدوري، دراسات في العصور العباسية المتاخرة، ص٨٧ ـ ٨٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢، ٤١٤، ٤٥٦، ج٨، ٦٠ ـ ٦١، ٦٩ ـ ٧٠، ٧٧ ـ ٨٠، ١٣٢ ـ ١٣٤، ١٦٦ ـ ١٦٧، ٢٠٨ ـ ٢١٢، ٢٧٨ ـ٢٧٩، ٥٠٨، ج٩، ص١٤٨ ـ ١٤٩، ١٥٦ ـ ١٥٩ ؛ انظر أيضاً: الدوري، دراسات في العصور العباسية المتاخرة، ص٩٢ ـ ٩٤ ؛ وأمين، حسين (١٩٨٠م)، الدولة السامانية، مجلة المؤرخ العربي، ع١٥، ص٧ ـ ٢٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٨٤ ـ ١٨٥، ١٩١ ـ ١٩٥، ٢٤٧، ٢٦١ ـ ٢٦٣، ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ٢٧٦ ـ ٢٧٧، ٣٠٧ ـ ٣٠٨، ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ٤١٦، ٤٢٦، ٥٠٠ ـ ٥٠٣، ٥١٦ ؛ انظر أيضاً: الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٨٨ ـ ٩١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ١٨٧ ـ ١٨٨، ٣١٦ ـ ٣١٨، ٣٢٤ ـ ٣٢٥، ٣٩٣ ـ ٣٩٥، ٤٠٨ ـ ٤٠٩، ٤٢٢ ـ ٤٢٣، ٤٢٩ ـ ٤٣٠، ٥٣٥ ـ ٥٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ٢٦٧ ـ ٢٦٨، ج١١، ص٦٧، ٨٧ ـ ٨٨، ٣٧٧ ـ ٣٨٤، ج١٢، ص١٠٦ ـ ١٠٨، ١٥٦ ـ ١٥٨، ١٦٤ ـ ١٦٧، ١٧٣ ـ ١٧٧، ١٨٥ ـ ١٨٩، ٢٢٦ ـ ٢٣١، ٢٣٨، ٢٦٤ ـ ٢٧١، ٣١٦ ـ ٣٢٠، ٣٦٩ ـ ٣٧٢، ٤٢٥ ـ ٤٢٨، ٤٣٢ ـ ٤٣٧، ٤٥٠ ـ ٤٥٣، ٤٥٩ ـ ٤٦٣، ٤٨٧ ـ ٤٩٨.

ظهرت في المغرب في القرنين الخامس والسادس، ثم عبرت إلى الأندلس، وقامت بدور مهم في التصدي للإسبان، وقد حاولت توحيد المغرب والأندلس وتعطيل حركة الاسترداد الإسبانية لقرون عدة؛ كالمرابطين الذين ظهروا سنة (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)، [١] والموحدين الذين ظهروا سنة (٥١٤ هـ / ١١٢٠ م)، [٢]

وثمة إشارات قليلة إلى نشاط المسلمين العسكري عند نقاط التَّماس مع الشعوب البعيدة؛ كالهنود، [٣] والصينيين، [٤] والروس، [٥] وهي توحي باهتمام ابن الأثير الكبير باستيفاء ما يستطيع الحصول عليه من أخبار العالم الإسلامي. [٦]

وخصص ابن الأثير جزءاً من تاريخه لترجمة الرجال المشهورين، وقدم تفاصيل مهمة عن أعمالهم ومؤلفاتهم والاتجاهات المذهبية والسياسية للعديد منهم، استغرقت جزاً كبيراً من مادته. وقد أدرج هذه التراجم ضمن عنوان " ذكر عدة حوادث "، الذي وضعه في نهاية أخبار كل سنة. وبدأ به بسنة (٢٠ هـ / ٦٤١م). وقدّم معلومات عن رجال الحكم والقادة العسكريين والفقهاء، الذين منحهم اهتمامه. كما اشتملت مادته على معلومات عن الأوضاع المعيشية والاجتماعية والثقافية والأحوال الجوية والكوارث الطبيعية. [٧]

يمكن القول بأن ابن الأثير عرض مادته بشكل مترابط، وكان مهتماً بالسياق التاريخي، كما

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦١٨ ــ ٦٢٣، ج١٠، ص١٥١ ــ ١٥٥، ١٨٧ ــ ١٩٣، ٥٧٠ وما يليها ٦١١ ــ ٦١٣، ج١١، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤، ٥١٩ ــ ٥٢٢، ج١٢، ص١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٦٩ وما يليها، ج١١، ص١١٥، ١٥٠ ــ ١٥١، ١٥٨ ــ ١٦٠، ٢٢٣ ــ ٢٢٤، ٢٤١ ــ ٢٤٧، ٢٩١ ــ ٢٩٢، ٥١٩ ــ ٥٢٢، ج١٢، ص١١٣ ــ ١١٦، ١٤٥ ــ ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٦٨٤ ــ ٦٨٧، ج٩، ص١٨٧، ١٩٢، ٢٤٠، ٢٤٧، ٣٤٢ ــ ٣٤٦، ٥١٨ ــ ٥١٩، ج١١، ص١٧١ ــ ١٧٤، ٥٦١ ــ ٥٦٢، ج١٢، ص٩١ ــ ٩٣، ١٠٥ ــ ١٠٦، ١٢١.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٨٣ ــ ٨٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٤١٢ ــ ٤١٣، ٥٠٨، ج٩، ص٤٣ ــ ٤٤، ج١٠، ص٦٥.

(٦) طليمات، ابن الأثير، ص١٠٥.

(٧) سيتم البحث في هذه الموضوعات ضمن موضوع نواحي اهتمام ابن الأثير.

أنه نجح إلى حد بعيد في تحقيق هدفه الذي رسمه منذ البداية، فقدم تاريخاً موسوعيـــاً توفـــرت فيه معلومات في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري، وقد بـــذل فيـــه جهده في استقصاء مادته.

ويلاحَظ أن ابن الأثير بصورة عامة تابـــع الطبري في الكتابة على السنين إلا أنه حـــاول أن يدمج بينها وبين الكتابة حسب الموضوعات، بهدف الحفاظ على الوحـــدة الموضـــوعية. وتمـــت الإشارة إلى أن الوحدة الموضوعية عند ابن الأثير شكلت إطاراً أصغر داخل الإطار الزمنـــي. (١) ومن خلال هذا الترتيب الزمني للمادة يمكن ملاحظة جملة من المحاور، تتمثل بـــ " الخلافـــة " و" الفتوحات ومعارك الثغور " و" الفتن الداخلية " و" السلطنة " و" الغزو الخارجي لدار الإسلام ".

وفي الحوادث التي جرت في السنة الواحدة يلاحَظ أيضاً أن ابن الأثير رتـّـب الحوادث بمـــا يعكس نظرته الخاصة إلى مدى أهمية بعضها وتأثيره، فأعطى الأولوية لـــبعض الحـــوادث علـــى حساب حوادث أخرى تبدو أكثر أهمية.

فمثلاً: أورد حادثة إيقاع الحكم بن هشام أمير الأندلس بأهل طليطلة فيما عُرف بـــ "وقعـــة الحفـــرة" سنة (١٩١ هـــ / ٨٠٧ م)، (٢) قبل أن يورد غزو الفرنج للمسلمين بالأندلس في الـــسنة ذاتهـــا. (٣) وذكر خبر خلافة المعتمد على الله سنة (٢٥٦هـــ / ٨٧٠ م) بعد خبر خلع المهتـــدي مباشرة، ثم ذكر أخبار الزنج في هذه السنة، في حين أن الطبري منح الأولوية لأخبار الزنـــج. (٤)

لهذا كله لم يلاحَظ تباين في الخطة بين المادة التي اعتمد فيها ابن الأثير بصورة أساسية علـــى الطبري، والمادة التي تلت ذلك، والتي أصبح فيها ابن الأثير مصدراً أساساً لمن جاء بعده، وهـــذا يؤكد فكرة أن ابن الأثير مع أنه اتبع الطبري في خطته العامة، إلا أنه تدخل في مادته، وتـــصرف بها، وفق رؤيته الخاصة التي تميز بها، فجاء كتابه بكل أجزائه معبراً عن وجهـــة واحـــدة، هـــي وجهة مؤلفـــه.

---

(١) انظر ص٥٠ من الدراسة.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٩٩ ــ ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٣٥ ؛ الطبري، تاريخ، ج٩، ص٤٧٠ ــ ٤٧٥.

ثانياً ــ نواحي اهتمام ابن الأثير

١ ــ الفتن الداخلية:

ــ مذهبية

ــ اجتماعية

ــ قبلية

ــ الصراع بين عناصر المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية

٢ ــ النواحي الاقتصادية والاجتماعية:

ــ حركة الأسعار

ــ الأغذية

ــ المواد الاستهلاكية

ــ النقد

ــ الإجراءات الاقتصادية

ــ الحركات الاجتماعية

٣ ــ الكوارث الطبيعية والبشرية:

ــ الزلازل

ــ الأوبئة

ــ السيول والفيضانات

ــ العواصف

ــ الجفاف

ــ حرائق المدن

٤ ــ الظواهر الطبيعية:

- **ــ ظواهر فلكية**
- **ــ أحوال جوية**

٥ ــ المصالح العامة:

- **ــ بناء المساجد والربــــُط**
- **ــ بناء البيمارستانات**
- **ــ إنشاء المدارس**
- **ــ بناء دور العدل**
- **ــ فتح الطرق**
- **ــ شق القنوات**
- **ــ بناء الأسوار**

تنوعت نواحي اهتمام ابن الأثير في تاريخه، ومع أن المادة التي قدمها اتخذت طابع التـــاريخ السياسي والعسكري في خطوطها العامة، [١] إلا أن قسماً منها اشتمل على نواح ثقافية واقتــصادية واجتماعية، واشتمل على معلومات مهمة عن الفتن الداخلية، وعــن بعــض الظــواهر الطبيعيــة والتقاويم والكوارث إضافة إلى المصالح العامة. [٢]

---

(١) تمت الإشارة إلى أن مادة ابن الأثير في " الكامل " انطوت على جملة من المحاور السياسية والعسكرية، تمثلت بالخلافة، والفتوحات ومعارك الثغور، والفتن الداخليــة، وكذا السلطنة، والغزو الخارجي لدار الإسلام، ممثلاً بغزو الفرنجة والتتر. وهذه نواح انطبعت بها أكثر مصادر التاريخ العربي، ولم يختص ابن الأثير بها، لذا لا أرى من المقبول مناقشتها في هذه الدراسة. وثمة ملاحظة أخرى هي أن نواح عدة ستجري مناقشتها في هذه الدراسة لم ينفرد ابن الأثير بالاهتمام بها؛ إذ سبقه إليها مؤرخون مهمون كابن الجوزي، مع اختلاف في درجة الاهتمام وحجم المادة وطريقة المعالجة والتوصيف. للاطلاع على ما كتبه ابن الجوزي، ومقارنته بما كتبه ابن الأثير عن بعض تلك النواحي انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٩٨، ١٠٩، ١١٤، ١١٨، ١٢٦، ٣٢٩، ٣٦١ ــ ٣٦٢، ٣٦٦، ج١٥، ص١٤ ــ ١٥، ٣٢، ٣٣، ٥٨، ١٢٠، ١٧٠، ١٧١، ٢٣٩، ج١٦، ص٨٣، ١٨١، ٢٤٠، ج١٧، ص٤٣، ١٢٠، ١٣٣، ج١٨، ص٢٦، ٣٩، ٦٣.

(٢) أشار فيصل السامر إلى بعض هذه النواحي، وقام برصــد مجموعــة مــن الأمثلــة من كتــاب "الكامــل" على كل ناحية أشار إليها: السامر، فيصل، ابن الأثير، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٣م، ص٩٣ وما يليها.

١ ــ الفتن الداخلية:

اعتنى ابن الأثير بالفتن الداخلية بصورة ملفتة، فشغلت مساحة كبيرة من تاريخه، إذ تكــررت إشاراته إلى حوادث النزاع المذهبي بين السنة والشيعة بشكل خاص، والنزاع بين المذاهب السنية ذاتها. وهي مظهر من مظاهر الحراك الاجتماعي التي كان ابن الأثير معنياً برصــدها، فجــاءت أخباره عن الفتن المذهبية بصورة مفصلة. وقد تناول هذه الفتن من خلال رصده الــسجال الــذي كان يدور بين فقهاء السُنة والشيعة، والمواجهات التي كانت تحدث بين الأسواق وبــين الأحيــاء، والصدامات بين العامة والجند وبين الجند أنفسهم، وكذا الفتن بين أصحاب المهــن. وقــد سُــجلت معظم تلك الحوادث في بغداد.

وعند تتبع إشارات ابن الأثير إلى الفتن المذهبية، تبيّن أن هذه الفتن بدأت تظهر بشكل فعلــي ومتكرر بعد دخول البويهيين الذين اعتنقوا المذهب الزيدي بغداد، الأمر الذي يشير إلــى الــدور الخطير الذي لعبوه في هذا المجال؛ فالأخبار عن الفتن الأولى تؤكد أنها وقعت بتحــريض مــنهم وباشتراكهم. (١)

وأول فتنة مذهبية أشار إليها ابن الأثير، وقعت فــي العاشــر مــن محــرم سنــة (٣٥٢هــ / ٩٦٣ م)، أي يوم عاشوراء، حيث أغلقت الأسواق بأمر من معز الدولــة البــويهي، وأمر الناس أن يمارسوا بعض الطقوس الشيعية علناً؛ فأظهروا النياحة ولطم الوجه على الحــسين ابن علي، وارتدَوا ملابس معينة، وخرجت النساء " منشّرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شــققن ثيابهن ... ولم يكن للسُنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة، ولأن الــسلطان معهــم. " (٢) وفــي السنة التالية، في العاشر من محرم أيضاً، أغلقت الأسواق ببغداد، وفعل الشيعة ما فعلــوه فــي السنة السابقة، " فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة جُرح فيها كثير، ونــُهبت الأموال. " (٣)

---

(١) انظر الخبر الذي أورده ابن الأثير عن عبارات "اللعن" التي كتبها الشيعة على مساجد بغداد، بأمر من معــز الدولة البويهي سنة (٣٥١ هــ)، الكامل، ج٨، ص٥٤٢ ــ ٥٤٣ ؛ انظر أيضاً: الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٢٠٧ ــ ٢٠٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٨.

وعرض ابن الأثير المواجهات بالتفصيل، فوصف مظاهر احتفالات الطرفين، والشعارات التي رُفعت، وأشار إلى دَور فقهاء السُنة والشيعة والمؤسسة الحاكمة والجند في إثارة الفتن أو في تسكينها، كما وصف أعمال التخريب والنهب والحرق والقتل التي كان يقوم بها أتباع الطرفين، وتأثيرها على أوضاع السكان المعيشية والاجتماعية. ويمكن من خلال الأمثلة الآتية تــَبيُن هذه الناحية من اهتمام ابن الأثير:

ــ في فتنة عام (٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م) التي وقعت في رمضان " وقع حريق عظيم في بغداد في سوق الثلاثاء، فاحترق جماعة رجال ونساء، وأما الرحال وغيرها فكثير، ووقع الحريق أيضاً في أربعة مواضع من الجانب الغربي فيها أيضاً. " (١)

ــ وفي فتنة عام (٣٦١ هـ / ٩٧٢ م) " نـُهبت الأموال، وقـُتل الرجال، وأحرقت الدور، وفي جملة ما احترق محلـّة الكرخ، وكانت معدن التجار والشيعة... " (٢)

ــ وفي عام (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) صاح السُنة بذكر أبي بكر وعمر، " وقالوا: هذا يوم معاوية ... وثارت الفتنة، ونـُهبت دور اليهود، لأنهم قيل عنهم أنهم أعانوا أهل الكرخ ... وقـُتل من أهل الكرخ جماعة، وأحرق وخـُرّب في هذه الفتنة سوق العروس، وسوق الصفـّارين، وسوق الأنماط، وسوق الدقـّاقين، وغيرها، واشتد الأمر، فقتل العامة الكلالكي، وكان ينظر في المعونة، وأحرقوه... واقتتل أهل الكرخ، ونهر طابق، والقلائين، وباب البصرة، وفي الجانب الشرقي أهل سوق الثلاثاء، وسوق يحيى، وباب الطاق، والأساكفة، والرهادرة، ودرب سليمان، فقـُطع الجسر ليفرق بين الفريقين ... " (٣)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٦١٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٤١٨ ــ ٤٢٠ ؛ ولتكوين صورة متكاملة عن اهتمام ابن الأثير بالفتن المذهبية، يمكن متابعة إشاراته بالتفصيل في الصفحات الآتية من كتاب الكامل، ؛ ج٨، ص١١٥، ٣٠٧ ــ ٣٠٩، ٦١٩، ج٩، ص١٧٨، ٣٠٥، ٤١٨ ــ ٤٢٠، ٥٧٥ ــ ٥٧٨، ٦٠٨ ــ ٦٠٩، ٦٣٧ ــ ٦٣٨، ج١٠، ص١٠٤ ــ ١٠٥، ١٢٤ ــ ١٢٥، ٤٦٩ ــ ٤٧٠، ٥٢٢ ــ ٥٢٣ ، ج١١، ص٤٦، ٢٥٠، ٣١٩، ج١٢، ص٣٣١.

ـ وفي عام (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) تجددت الفتنة في بغداد بين السُنة والشيعة، واقتحم السُنة مشهد باب التين و فيه ضريح موسى الرضا فنهبوا ما فيه من قناديل ومحاريب وذهب وفضة، ثم " أحرقوا جميع الترب والآزاج، واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجوار، والقبّتان الساج اللتان عليهما ... وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله ... وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه ... وأحرقوا الخان ودور الفقهاء. وتعدّت الفتنة إلى الجانب الشرقي، فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بجّ والأساكفة وغيرهم." [١]

وهكذا كانت الفتن المذهبية عاملاً فعالاً في نشر الفوضى والدمار؛ إذ إنها كبدت أهالي بغداد خسائر جمة في النفوس والأموال، وقد أظهر ابن الأثير مسؤولية البويهيين عنها بالدرجة الأولى، فقد كان لديهم غرض سياسي من تأييد الشيعة ضد أهل السُنة وهو تكوين حزب من الشعب يناصرهم. [٢]

تتبع ابن الأثير أخبار هذه الفتن على مدى أكثر من ثلاثة قرون؛ من القرن الرابع/ العاشر الميلادي، إلى مطلع القرن السابع/ الثالث عشر الميلادي. وهذا ساعد في فهم تطور الدوافع وراء تلك المواجهات بشكل أفضل؛ فالفتن بدأت بدوافع مذهبية، والأساس المذهبي شكل مع مرور السنين إطاراً تكونت داخله دوافع أخرى، بحيث أن الصراع بدأ يعبّر عن نفسه من خلال صدامات داخلية بين المحال والأسواق والأحياء السكنية، فأهل الحي أو السوق، فضلاً عن أن أغلبهم كان من أتباع مذهب محدد، أصبح لديهم مصالحهم الاجتماعية والمعيشية التي توجب عليهم الدفاع عنها، فهذه الفتن، حسب الصورة التي رسمها ابن الأثير، أوجدت نوعاً من الانقسام بين تلك المَحال والأسواق وخصوصاً في بغداد؛ فأصبحنا نقرأ مثلاً عن اشتباكات عنيفة وقعت بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء، [٣] وبين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجا، [٤]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٥٧٧.

(٢) الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٢٠٤، ٢٠٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٠٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٣٩.

وبين أهل باب الأزَج وأهل المأمونية، وبين أهل قـَطـُفتا والقرية، وهمـا مـن أحيـاء الجانـب الغربي من بغداد، وكذا بين أهل سوق السلطـان والجعفريـة. [١] ومع أن هـذا الانقـسام كـان منطلقه مذهبياً، إلا أنه اتخذ منطلقات أخرى فيما بعد، أي أن الناحية المذهبية لم تعد وحدها تهـيمن على هذه الاضطرابات، بل امتزجت بها دوافع اجتماعية ومعيشية وسياسية وثقافية؛ مـن خـلال محاولة أتباع كل مذهب تعميم فكرهم، وفرض تقاليدهم الاحتفالية في المناسبات الخاصة بهم علـى المجتمع. ومن خلال تدخل المؤسسة الحاكمة والجند وحركات العيارين في هـذه الاضـطرابات، وتوظيفها لتصفية الحسابات مـع الخصـوم؛ كالفتنـة التـي وقعت سنة (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) واشترك فيها الجند الذين استغلوا الأحداث فأرادوا تصفية حساباتهم مع الملك جلال الدولة، ونَسب الخليفة فيهـا إلـى الشيعـة "تخريق علامته مع الغَزاة " التي أمر بتجهيزها تلك السنة، واسـتغل العيارون أيضاً الوضع المتدهور، فدخلوا البلد ومارسوا نشاطهم. [٢] وكـذلك المـشاجرات بـين العامة واليهود سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) التي اشترك فيها جند الخليفـة أيـضاً. [٣] كمـا أن عـدداً من الفتن عبـّر عن نفسه بالمواجهات بين الفقهاء والمؤسسة السياسية، مثلما حـدث سـنة (٥٥٦ هـ / ١١٦١ م) بين فقهاء المدرسة الكمالية من جهة، وجند الوزير ابن هبيرة والخليفة من جهة أخرى. [٤]

واهتم ابن الأثير بالفتن بين بعض المذاهب السنية نفسها، فأكثر من أخبار الاشتباكات العنيفـة بين الحنابلة والشافعية "الأشاعرة" في بغداد وغيرها، [٥] وذكر تفاصيل عن السجال المذهبي بـين الطرفين حول مسائل عقائدية؛ كتفسير الآية: " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمـوداً "، وفقهيـة؛

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٢٠٣ ــ ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٤١٨ ــ ٤٢٠، ٥٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٤٧ ــ ٤٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٢٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص١١٥، ٢١٣، ج١٠، ص١٢٤ ــ ١٢٥.

كالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، والقنوت في الفجر. [(١)]

وأما المدن الأخرى في العراق، فتتبع ابن الأثير بدرجة أقل حوادث الفتن المذهبية التي وقعت فيها، ربما لأن حوادث الفتن كانت أقل فعلاً. وهناك إشارة واحدة إلى حادثة وقعت سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) بين العامة في البصرة وهمَذان، قـُتل فيها خلق كثير. [(٢)] وإشارة إلى حادثة في الكوفة سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م). [(٣)] وثمة إشارات قليلة إلى الفتن المذهبية في المشرق؛ كالفتنة التي وقعت في أصبهان بين أهلها وأهل قـُم سنة (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م)، [(٤)] والفتنة التي وقعت في طـُوس سنة (٥١٠ هـ / ١١١٦ م) يوم عاشوراء، في مشهد علي ابن موسى الرضا، وأدت إلى تخريبه وقتل من فيه. [(٥)] والقتال في خراسان بين أهل سَبزوار وأهل خـُسروجـِرد سنة (٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م)، [(٦)] والاشتباك الذي وقع في استراباذ سنة (٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م) بين العلويين والشافعية، وقتل فيه جماعة من الشافعية، وضُرب قاضيها أبو نصر النعيمي ونـُهبت داره. [(٧)] وكذا الفتنة التي وقعت في نيسابور سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦١ م)، وقد وصف ابن الأثير أوضاعها بعد الفتنة، فقال إنها خـُرّبت بالكلية، بما فيها مسجد عـُقيل الذي " كان مَجمعاً لأهل العلم، وفيه خزائن الكتب الموقوفة، وكان من أعظم منافع نيسابور، وخـُرب أيضاً من مدارس الحنفية ثماني مدارس، ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة، وأحرقت خمس خزائن للكتب، ونـُهب سبع خزائن كتب وبيعت

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٧ ــ ٣٠٨، ج٩، ص٤٦٠، ٦١٤، ج١٠، ص١٠٤ ــ ١٠٥، ١٢٤ ــ ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٥١٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ٥٢٢ ــ ٥٢٣.

(٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٧٠.

(٧) المصدر نفسه، ج١١، ص٢٥٠.

بأبخس الأثمان... ". [١]

واعتنى ابن الأثير بالقبائل بصورة عامة، فرصد العلاقات بينها، وعلاقاتها بالحكومات المركزية في المناطق التي استوطنت فيها، فتكررت إشاراته إلى الفتن التي وقعت بين القبائل نفسها، وثورات القبائل ضد الحكومات، في كل من العراق، [٢] ومصر، [٣] وإفريقيا، [٤] والمغرب، [٥] بالإضافة إلى إشاراته المهمة إلى عصيان قبائل البربر المتكررة. [٦]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٢٧١ ــ ٢٧٢.

(٢) انظر مثلاً: الخبر عن ثورة بني خفاجة جنوب العراق سنة (٤٤٦ هــ) ضد سلطة بغداد، وأعمال النهب والفتك التي قاموا بها، الكامل، ج٩، ص٥٩٩ــ ٦٠٠ ؛ والحرب بينهم وبين عـُبادة سنتي (٤٩٩ هــ) و(٥٠٠ هــ)، الكامل، ج١٠، ص٤٠٠ ــ ٤٠٢، ٤٢١ ــ ٤٢٢ ؛ والغارة التي قام بها بنو حَزْن من خفاجة على سواد العراق سنة (٥٦٨ هــ)، الكامل، ج١١، ص٣٩٤. وانظر أيضاً: قيام بني عامر القاطنين قرب الأحساء بقيادة حملة من العرب إلى البصرة سنة (٤٨٣ هــ)، ونهبها وتخريبها، وإحراق أماكن مهمة؛ كدور الكتب والأسواق، الكامل، ج١٠، ص١٨٣ ــ ١٨٤ ؛ ثم خبر دخولهم إليها سنة (٥٨٨ هــ) ووقوع الحرب بينهم وبين أهلها، ونهبهم الأموال والخانات وبعض المحـَال، ثم قتالهم بني خفاجة والمنتفق، الكامل، ج١٢، ص٨٠ ؛ وهجوم العرب بزعامة ربيعة على البصرة سنة (٤٩٩ هــ)، ونهبها وإحراقهم الأسواق والــدور الحِسان، الكامل، ج١٠، ص٤١١.

(٣) انظر مثلاً: خبر عصيان بني قرة على الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة (٤٤٣ هــ) في الجيزة، واشتراك القبائل العربية من طيء وكلب وغيرها إلى جانب الجيش المصري في قتالهم، الكامل، ج٩، ص٥٧٨.

(٤) انظر مثلاً: خبر الحرب بين بني رياح وبني زغبة سنة (٤٦٧ هــ)، الكامل،ج١٠، ص٩٨ ؛ والحرب بين بني حماد والمغاربة من البربر ومعهم عَدي والأثبج من العرب وبين رياح وزُغبة وسُليم من العرب، سنة (٤٥٧ هــ)، الكامل، ج١٠، ص٤٤ ــ ٤٦.

(٥) انظر: خبر عصيان قبائل غـُمارة بزعامة مفتاح بن عمرو على الموحدين سنة (٥٥٩ هــ)، وامتناعهم في الجبال مدة عامين ثم هزيمتهم، وأشار ابن الأثير في نهاية الخبر إلى أن هناك قبائل كثيرة كانت تريد الفتنة، فانتظرت ما يكون من غـُمارة، " فلما قـُتلوا ذلت تلك القبائل وانقادوا للطاعة، ولم يبق متحرك لفتنة ومعصية... "، الكامل، ج١١، ص٣١٢ ــ ٣١٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٤٠، ٣٧٧، ٤٥٠، ٤٩٢ ــ ٤٩٣، ٦١٧ ــ ٦١٨.

ويلاحَظ أيضاً اهتمام ابن الأثير بنشاط بعض القبائل ضد قوافل الحج، فقد تكـررت إشـاراته إلى حوادث قطع الطريق على الحجاج، ويبدو أن هذه التحركات كانت جزءاً من الصراع القـديم المتمثل بغزو البدو لمناطق الحضر، كما أنها جاءت في سياق نشاط القبائل ضد الحكومـات، ولا يخفى أن للأوضاع المعيشية والاجتماعية للقبائل تأثيراً في ذلك، فالقوافل قادمة من بغداد ودمـشق وغيرها من الحواضر الإسلامية، أي من مناطق ذات وضع اجتماعي ومعيـشي مـستقر نـسبياً، قياساً بوضع القبائل القاطنة في البادية، ويبدو أن الحكومات كانت تنظر إليها بإهمال، الأمر الـذي دفع هذه القبائل إلى ممارسة نشاطها ضد الحجاج. [١]

وركز ابن الأثير على أخبار النزاع بين مجموعات أصبحت تتشكل منها مؤسـسة الجـيش والمؤسسة السياسية وتهيمن عليها، منذ القرن الثالث الهجـري؛ كـالأتراك والتركمـان والـديلم والأكراد، وقد اشترك العامة في العديد منها. فتحدث عن أعمال الشغب التـي كـان يقـوم بهـا الفرسان، [٢] والصدامات المتكررة بين تلك المجموعات بسبب تأخر مـستحقاتها مـن الأرزاق أو نقصها، أو صراعها على النفوذ، أو بسبب تسلطها على العامة، فقدم تفاصيل عـن الفتنـة التـي وقعت بين الديلم في بغداد سنـة (٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م)، [٣] والفتنة بين الأتراك والـديلم سنـة (٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م)، والتي قـُتل فيها الكثير من الديلم ونـُهبت أموالهم، [٤] والفتنة الشديدة بين العامة والديلم في الموصل سنـة (٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م)، و" قـُتـل فيهـا مقتلـة عظيمـة،" [٥]

---

(١) انظر مثلاً: خبر خروج العرب على حجاج البصرة ونهبهم سنة (٤٢٣ هـ)، فحج الناس من جميع البلاد إلا من العراق، الكامل، ج٩، ص٤٢٧، والخبر عن حادثة " أخذ العرب الحـُجاج " سنة (٥٤٥ هـ)، الكامل، ج١١، ص١٤٨ ــ ١٤٩، ٢٣٩، وخبر نجاة الحُجاج من قطاع الطرق العرب قرب المدينة سنة (٥٥٣ هـ)، الكامل، ج١١، ص٢٣٩، والخبر عن خروج العرب على حجاج الشام، وقطعهم الطريق عليهم، لكن أمير الحج أرضاهم بمال وثياب، فنجت القافلة، الكامل، ج١٢، ص٤١٨.

(٢) انظر مثلاً: الخبر عن شغب الفرسان ببغداد، ونهبهم قصر الثريا سنة (٣١٥ هـ) احتجاجاً على نقص أرزاقهم، الكامل، ج٨، ص١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٤١ ــ ٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٩ ــ ٥٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٦.

والاشتباكات بين العامة من أهل الكرخ والأتراك، وقد قتل فيها الكثير أيضاً، [1] وجاءت في سياق الصراع المذهبي بين السُنة والشيعة. وكذا الفتنة التي وقعت سنة (٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) نتيجة تسلط الأتراك على العامة في بغداد، إذ " أكثروا من مصادرات الناس، وأخذ الأموال ... " [2] ثم أعمال النهب التي قام بها العرب والأكراد في مدينة سُرّق من خوزستان سنة (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م)، [3] وثورة العامة ورؤساء القرى في مصر سنة (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) ضد أتسِز وأصحابه، بسبب ظلمهم وأخذهم أموالهم، [4] والفتنة الشديدة التي وقعت بين التركمان والأكراد بالجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور وأذربيجان، سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)، " وقـُتل فيها من الخلق ما لا يحصى، ودامت عدة سنين، وتقطعت الطرق، ونـُهبت الأموال... " [5]

ولا شك أن تلك الحوادث تركت أثراً سيئاً في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد التي وقعت فيها، فاشتراك العامة فيها، وإيذاء الناس، وأعمال النهب والتخريب وإحراق المنازل والدروب والأسواق وقطع الطرق، التي قامت بها الأطراف المتحاربة؛ أدت إلى انعدام الأمن واضطراب المجتمع، كما أن اللصوص والعيارين كانوا ينشطون في هذه الأجواء، فارتكبوا المحظورات، ونافسوا العساكر في مصادرة أموال الناس، وهذا يؤدي، إلى اضطراب معيشة الناس، وارتفاع الأسعار، وانعدام الأقوات، كما حدث مثلاً في حوادث بغداد سنة (٤١٧هـ / ١٠٢٦ م)، [6] وسنة (٤٤٦هـ / ١٠٥٤ م). [7]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص٥١٩. ولتكوين صورة متكاملة عن اهتمام ابن الأثير بالفتن بين هذه المجموعات انظر: الكامل، ج٩، ص٦٣ ــ ٦٤، ٣٠٦ــ ٣٠٨، ٣٦١ ــ ٣٦٢، ٤٨٩ ــ ٤٩١، ٥٩٧ ــ ٥٩٨، ٦١١ ــ ٦١٤، ج١٠، ١٦٤ ــ ١٦٥، ٣٣٧ ــ ٣٣٨، ج١١، ص١٣٢ ــ ١٣٤، ٥١٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٥٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٩٧ ــ ٥٩٨.

٢ ـ النواحي الاقتصادية والاجتماعية:

اعتنى ابن الأثير بالأوضاع الاقتصادية بشكل ملفت، فإشاراته عن معيشة الناس وغلاء الأسعار جاءت مكثفة، [١] إذ أولى هذه الناحية عنايته، فأعطى تفاصيل مهمة عن طبيعة المواد الغذائية المتداولة، وأسعارها، ووحدات الوزن المستخدمة، وأنواع المهن الشائعة، وبعض الإجراءات الاقتصادية. [٢]

ويلاحَظ أن أكثر المادة التي جمعها ابن الأثير عن هذه الناحية تركزت في بغداد عموماً، وهذا منتظر؛ لأن بغداد كانت مركز الخلافة، فهي الحاضرة الأهم، لذا حازت على اهتمام ابن الأثير، ومن الواضح أن مصادر معلوماته عنها كانت أوفر، ومع ذلك ضمّن مادته معلومات عن النواحي الاقتصادية في معظم البلدان الإسلامية، فثمة إشارات إلى مكة والشام وبلاد الجزيرة ومصر واليمن وإفريقيا والمغرب وحتى خراسان والمشرق. [٣] ويمكن من خلال تتبع إشارات ابن الأثير في " الكامل " رسم صورة متكاملة عن هذه الناحية من اهتمامه:

أولاً: كونت حركة الأسعار المحور الأساس الذي دارت حوله أكثر تلك الإشارات، وشغلت جزءاً كبيراً من المادة التي وضعها ابن الأثير تحت عنوان "ذكر عدة حوادث"، فعبارات مثل: "غلا السعر بالعراق" و"غلت الأسعار في بغداد" و"إن السعر تحرك ببغداد" و"اشتد الغلاء بالموصل وديار الجزيرة جميعها" و"وقع الغلاء بمصر واشتد وعظم الأمر" و"اشتد الغلاء بإفريقية ودامت أيامه" و"اشتد الغلاء بخراسان جميعها" و"كان بمكة غلاء شديد" و"كان الغلاء والوباء عامّاً" و"دامت الأسعار تزيد قليلاً وتنقص قليلاً "، [٤] وكذا عبارات مثل "انحل السعر " و"رخصت

---

(١) جرى رصد ما يقارب المائة نص متكامل في تاريخ ابن الأثير حول غلاء الأسعار ونقص الأقوات، بعضها شغل صفحات عدة، وتركزت النصوص منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وحتى عصره.

(٢) وردت أكثر الإشارات في هذا الموضوع في المادة التي تناولت القرون من الثالث إلى السابع الهجرية، ولعل السبب يعود إلى اضطراب النظام السياسي، وتراجع قوة الدولة في ضبط الأمور.

(٣) انظر: ملاحظات آدم متز عن معيشة الناس وحياتهم الاجتماعية في بغداد والحواضر الإسلامية الأخرى في القرن الرابع الهجري، متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، جزآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م، ج٢، ص١٤١ وما يليها.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٨٤، ج٧، ص٩، ٣٣٤، ج٨، ص١١٦ ــ ١١٧، ٣٨١، ٤١٦، ٦٠١، ج٩، ص٧٣، ١٨٥، ٥٤٢، ٦١٤، ج١٠، ص٥٨، ١٧٩، ٤٧٠، ٦٢٤، ج١١، ص٦٦، ١٢٤، ٢٢٨، ج١٢، ص١٧٠، ٤٤٣، ٥٠٤.

الأسعار بالعراق" و"عم الرخص جميع الأصقاع" و"أسفر الغلاء"؛ [١] كلها كانت حاضرة باستمرار في معظم إشاراته عن هذا الموضوع.

ثانياً: قدّم ابن الأثير معلومات تفصيلية تساعد في تبيّن أحوال الناس المعيشية؛ فبالإضافة إلى المعلومات عن تذبذب الأسعار تحدث عن طبيعة المواد الاستهلاكية وأنواع النقد المتداول، والأوزان والمكاييل والمقاييس المستخدمة، وأنواع المهن الشائعة في مختلف الفترات الإسلامية؛ إذ أعطى فكرة عن طبيعة الأغذية المتداولة، من خلال حديثه المستمر عن حركة أسعار الحنطة والشعير، [٢] والخبز، والخبز الخشكوار أو الخشكار (الذي يُخبز بنخالته)، [٣] والدقيق، والدقيق الخشكار (غير المنخول)، [٤] والأرطاب والتمور، [٥] وخرّوب الشوك الذي كانوا يأكلونه في أوقات الغلاء والقحط، [٦] والسميد وهو لب الدقيق، [٧] والذرة، [٨] والباقلاء الخضراء، [٩] والحشيش والتوت اللذيْن اعتمد عليهما أهل السواد عندما حدث الغلاء وانعدمت الأقوات سنة (٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م)، [١٠] وكذلك الدبس، [١١] والأرزّ، [١٢] والسمسم، [١٣] والسّلق والجَزَر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٦٥، ج١٠، ص٢٣، ١٣٢، ١٤٦، ١٧٩، ج١٠، ص٣٠١، ٤٤٣، ج١١، ص١٤٦، ٢٢٨، ج١٢، ص٤٤٣، ٤٨١.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٨٤، ج٨، ص١١٧، ٣٨١، ٣٨٢، ج٩، ص١٠١، ٦٣٦، ج١٠، ص١٣٢، ج١٢، ص٤٤٧، ٤٧٣، ٤٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص٩، ج٨، ص٣٨١، ٣٩١، ٤١٦، ٤٦٥، ج٩، ص٩٤، ج١٠، ص٤٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٤١٦، ج٩، ص١٠١، ج١٠، ص٤٧٠، ٦١٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص١٦٠، ج١٠، ص٢٣، ٤٧٠، ج١٢، ص٤٤٣، ٤٤٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٦٥.

(٧) المصدر نفسه، ج٩، ص٦٣٦.

(٨) المصدر نفسه، ج٩، ص٦٣٦.

(٩) المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٧٠.

(١٠) المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٧٠.

(١١) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٤٣.

(١٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٤٤، ٤٤٧.

(١٣) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٤٤.

والشلجَم والملح، [١] والسكـّر النادر الأسمر والسكـّر الأبلـوج المـصري النقـي، [٢] واللـوز والرمان والخيار والمشمش والإجاص والسفرجل، [٣] وكانت إشاراته قليلة عن اللحوم، [٤] ربمـا لأن تناوُلها كان بين الأغنياء أكثر.

وخلال حديثه عن الأسعار، أبدى ابن الأثير اهتماماً بذكر أشكال النقود المتداولـة وقيمهـا؛ فأشار باستمرار إلى الدرهم، والدرهم الهاروني، والـدرهم الغيـاثي [٥] والـدينار، [٦] والـدينار المغربي، [٧] والدينار القاساني، [٨] والـدينار الإمـامي، [٩] والقيـراط، والقيـراط الـصحيـح الأميـري، [١٠] وحبة الصنجـة. [١١]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٤٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٤٢، ٦٣١، ج١٢، ص٤٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٤٧، ٤٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٨٤، ج٧، ص٩، ج٨، ص٤١٦، ج٩، ص٩٤، ١٠١، ج١٢، ص٤٤٧، ٤٤٨،

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧٧، ٣٨١، ٤١٦، ج٩، ص٥٤٢، ٦٣٦، ج١٠، ١٣٢، ١٥٨، ٦١٧، ج١٢، ص٤٤٢، ٤٤٧، ٤٧٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٩، ص٦١٤.

(٨) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٤٩.

(٩) المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٧٠ ، لم نعثر على معلومات تساعد في التمييز بين تسميات النقود الواردة.

(١٠) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٨١، ٣٩١، ج٩، ص ٥٤٢، ج١٠، ص٢٣، ٦١٧، ج١٢، ص٤٤٢، ٤٤٧، ٤٧٣؛ ويساوي القيراط الواحد في العراق (٠،٢٢٣٢ غم)، وفـي مصـر ومكـة والشـام يسـاوي (٠،١٩٥ غم)، انظر: هِنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص٤٤.

(١١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٤٤٢، ٤٧٣ ؛ حبة الصنجة: الحبة هي وزن حبة الشعير العربية، ويرجح هِنتس أنها وزن عُملة لا وزن بضاعة، وتقدَّر بـ (٠،٠٥ غم) تقريباً، هِنتس، المكاييل والأوزان، ص٢٥ ـ٢٦. والصَنجة جاءت من الكلمة الفارسية "سَنكة"، ومعناها الحَجَر، ويراد بها في الاصطلاح: العِيار، انظر: الكرملي، أنستاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النمّيات، ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣٤، ويبدو أن الصَنجة هي الصفيحة المدوّرة التي تستخدَم معياراً في كيل الحبوب.

كما أبدى اهتماماً بالمكاييل والموازين المستخدمة، فتحدث عن قفيز الحنطة أو الدقيق، [١] ورطل الخبز أو التمر أو السكر أو اللحم، [٢] وكـُرّ الحنطة أو الشعير، [٣] وكارة الدقيق أو السميد، [٤] ومَكـُّوك الحنطة أو الشعير أو الملح أو الأرزّ ، [٥] وغرارة الحنطة. [٦]

ويلاحَظ أن أكثر التفاصيل الواردة في "الكامل"عن الأسعار والأوزان والمكاييل، جاءت عن بغداد والموصل، وهذا متوقع لأن مصادر معلوماته عن بغداد كانت الأوفر، ومعروف أن الموصل هي موطنه.

ثالثاً: حاول ابن الأثير أن يقدم تفسيراً لكل ما يعرضه من معلومات عن تدهور الأحوال المعيشية

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٨٤، ج٨، ص٤١٦ ؛ والقفيز نوعان: القفيز الكبير ويُستعمل في بغداد والكوفة، ويقدَّر بـ (٦٠ لتراً)، والقفيز الصغير ويُستعمل في البصرة وواسط، ويقدَّر بـ (٣٠ لتراً)، هِنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٦ ؛ إلا أن الباحث محمود الجليلي توصّل إلى أن القفيز العراقي يساوي (٧٤،٧٢ لتراً)، الجليلي، محمود، المكاييل والأوزان والنقود العربية، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م، ص١١٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٩، ج٨، ص٣٨١، ٣٩١، ٤١٦، ج٩، ص٩٤، ٦١٤، ٦٣١، ج١٠، ص٢٣، ج١٢، ص٤٤٨، ٤٧٣ ؛ والرطل يساوي (٤٠٦،٢٥ غم) تقريباً، هِنتس، المكاييل والأوزان، ص٣٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٨١، ج١٠، ص١٣٢ ؛ والكـُرّ: مكيال بابلي الأصل، وكـُرّ الحنطة يساوي (٢٩٢٥ كغم)، وكـُرّ الشعير والحمّص والعدس يساوي (٢٤٣٧،٥ كغم)، وكـُرّ الأرز يساوي (٣٦٥٦ كغم)، هِنتس، المكاييل والأوزان، ص٧٠ ؛ وتوصّل الجليلي إلى أن الكـُرّ يساوي (٦٠٠٠ كغم)، الجليلي، المكاييل والأوزان والنقود، ص٩٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٠١، ٦٣٦، ج١٠، ص٤٧٠، ٦١٧ ؛ والكارة: مكيال كان يُستخدَم في العراق بشكل خاص، وتـقدَّر كارة القمح بـ (٩٧،٥ كغم)، أي حوالي (١٢٠ لتراً)، هِنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٤٤٧ ــ ٤٤٨، ٤٧٣ ؛ ويساوي مـَكـُّوك بغداد ومـَكـُّوك بلاد الجزيرة (٧،٥ لتراً)، أما مـَكـُّوك الموصل فيساوي (١٨،٨ لتراً)، هِنتس، المكاييل والأوزان، ص٧٨ ؛ انظر أيضاً: الجليلي، المكاييل والأوزان والنقود، ١١٢ ــ ١١٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٥١ ؛ والغِرارة: مكيال دمشقي للحنطة، وتعني الغِرارة حرفياً: "العِدل من صوف أو شَعر"، ويُقدَّر وزنها بحوالي (٢٠٤،٥ كغم) قمح أو حوالي (٢٦٥ لتراً)، هِنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٤ ؛ انظر أيضاً: الجليلي، المكاييل والأوزان والنقود، ١١٧ ــ ١١٨.

وأن يتناول تداعياتها، ففي أكثر إشاراته عن ارتفاع الأسعار وتناقص الأقوات والاضطرابات الناجمة عنها، اهتم بالبحث عن أسباب حدوثها؛ فقد تكون هذه الأسباب ظروفاً طبيعية، كنقص منسوب مياه النيل، كما حدث في مصر سنة (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م). [١] وفيضان دجلة وغرق الغلات، كما حدث في العراق سنة (٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م). [٢] وانقطاع الأمطار أو تأخرها، أوالفيضانات الناجمة عن غزارتها أحياناً، كما حدث في العراق سنة (٣٢٩ هـ / ٩٤١ م). [٣] وسنة (٣٣٢ هـ / ٩٤٤ م)، [٤] وسنة (٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م)، [٥] وكما حدث في بغداد والموصل والشام وخراسان وغزنة والهند سنة (٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م)،[٦] وكما حدث أيضاً في إفريقيا سنة (٤٣٢ هـ / ١٠٤١ م)، إذ دام الجفاف سنتين تقريباً. [٧] وكذلك البرَد الذي أهلك الزروع في خراسان سنة (٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م). [٨] والجراد الذي هاجم إفريقيا والمغرب سنة (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م). [٩]

وقد تكون ظروفاً سياسية أو أمنية، أو إجراءات قام بها الأمراء أو العمال، كتسلط العمال في الجباية، وتخزينهم الغلال، مثل إجراءات حامد بن العباس ضامن أعمال الخراج في السواد زمن الخليفة المقتدر سنة (٣٠٧هـ / ٩١٩ م). [١٠] وتسلط أبي عبد الله البريدي على الناس في بغداد سنة (٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م)؛ إذ قام بتخزين الغلال، ورفع أسعار الحنطة والشعير وباقي أصناف

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٤١٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٢٦.

(٧) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٩٤.

(٨) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٩١.

(٩) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٥٩.

(١٠) المصدر نفسه، ج٨، ص١١٦ ــ ١١٧.

الحبوب، وقام أصحابه بالسلب والنهب، وكبس دور النـاس. [١] كما فعل معز الدولـة البـويهي بعد استيلائه على بغداد سنة (٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م)؛ حيث " أخذ الأموال من غير وجوهها، وأقطع قواده وأصحابه القرى جميعها التي للسلطان وأصحاب الأملاك، فبطـل لذلك أكثـر الدواويـن، وزالت أيدي العمال ... . " [٢] وكذلك الاضطراب السياسي فـي إفريقيـا والمغـرب سنـة (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م)، [٣] وانقطاع الطرق في العراق سنة (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)؛ خوفاً مـن النهب. [٤]

من ناحية ثانية عـدّ ابن الأثير اضطراب الأحوال المعيشية للنـاس، سـبباً للفـتن وغيـاب الاستقرار السياسي، وازدياد نشاط العيارين، ووقوع الكوارث والأوبئة والمجاعات؛ ففـي أكثـر إشاراته في هذا الموضوع، اهتم بتسجيل حوادث الفتن وثورات العامة، وما يتبعها مـن تخريـب المرافق ونهب الأسواق وحرقها، بوصفها تداعيات طبيعية لتلك الأحوال، كما جرى في فتنة عـام (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م)، حيث " ثار العامـة والخاصـة ... واستغاثوا، وكـسـروا المنابـر ... ونـُهبت عدة من دكاكين الدقاقين... . " [٥]

واهتم ابن الأثير أيضاً بتسجيل أخبار الكوارث الناجمة عن الغلاء والقحط، كالجوع والمـوت والأوبئة والهجرات، مثلما جرى في خراسان سنة (٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م)، إذ " مات من أهلها خلق كثير من الجوع، فعجز الناس عن دفنهم، فكانوا يجمعون الغرباء والفقراء في دار إلى أن يتهيأ لهم تكفينهم ودفنهـم. " [٦] وأحياناً كان يـُدفن الجماعة في قبر واحد، ودون أن يـُغسّلوا، من كثـرة الموت الناتج عن الجوع، كما جرى في العراق سنة (٣٢٩ هـ / ٩٤١ م). [٧]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٨١ ــ ٣٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٥٦ ــ ٤٥٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٥٩.
(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص٦٣١.
(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص١١٦ ــ ١١٧ ، انظر أيضاً: ج٨، ص٣٨١ ــ ٣٨٢، ٤٥٦ ــ ٤٥٧، ج٩،ص٢٠٤.
(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٣١٢.
(٧) المصدر نفسه، ج٨، ص٣١٧ ، انظر أيضاً: ج٨، ص٣٩١، ٤٦٥، ٦٠١، ج٩، ص٣٧، ١٨٥، ٢٢٥، ٣٢٩، ٤٢٦، ٥٤١ ــ ٥٤٢، ٥٥٢، ٦١٤، ٦٣١، ٦٣٦، ج١٠، ص٦١ ــ ٦٢، ٦١٧، ج١١، ص٦٦، ١٢٤، ٢٢٨، ج١٢، ص١٧٠، ٤٤٧ ــ ٤٤٨.

وهكذا ربط ابن الأثير بين الأوضاع السياسية والاجتماعية من جهة، والأحـوال الاقتـصادية من جهة ثانية، وهو بهذا الربط يؤكد أن الاستقرار السياسي والاجتماعي رهين باستقرار معيـشة الناس ورفاههم، فمتى تدهورت أحوالهم الاقتصادية انعكس ذلك سـلباً علـى النظـام الـسياسي والاجتماعي. كما أنه أراد من خلال حديثه المتكرر عن المجاعات والأوبئة الناجمة عن التـدهور الاقتصادي، تحذير كل صاحب قرار من أي إجراءات تعسفية تمس معيشة النـاس، ولاسـيما أن إشاراته عن الإجراءات الاقتصادية للدولة؛ كتخزين المواد ومصادرة أمـوال النـاس وأملاكهـم، وفرض الضرائب والرسوم أو إسقاطها، تكررت في سياق حديثه عن الأحوال الاقتصادية. (١) وقد أبدى ابن الأثير حماساً لكل تدبير يحقق المصلحة للعامة، كإسقاط المكوس والضرائب والإقطاعات القائمة على الجور. (٢)

وفي هذا السياق أيضاً جاء اهتمام ابن الأثير بالناحية الاجتماعية، لذا كان تركيـزه واضـحاً على حركات العيارين واللصوص وقطاع الطرق، الذين انعكس نشاطهم سلباً على أوضاع النـاس المعيشية، (٣) وتداخلت إشاراته عنهم مع أخباره عن الفتن الداخليـة، فالعيـارون واللـصوص أو "الحرامية" كما يسميهم أحياناً، يزداد نشاطهم في أوقات الفتن والاضطراب الـسياسي وضـعف السلطة وفسادها أحيانـاً.

ولعل هذا الأمر هو ما أراد ابن الأثير تسجيله من خلال إشاراته المتكـررة عـنهم؛ ففـي سنـة (٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) "حدثت فتنة بين السنة والشيعة ببغداد، وامتنع الـضبط، وانتـشر العيارون، وتسلـّطوا، وجبَوْا الأسواق، وأخذوا ما كان يأخذه أربـاب الأعمـال... ." (٤) وفـي سنـة (٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م) "قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلـب ... ." (٥)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٨١ ــ ٣٨٢، ٤٥٦ ــ ٤٥٧، ٦٠١، ج٩، ص٤٦، ٦٩، ١٢٧، ٤٠٧، ج١٠، ص١٥٨، ١٥٩، ١٦٨، ٥٤٤ ــ ٥٤٥، ج١٢، ص٤٤١ ــ ٤٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص١٦٤ ــ ١٦٦، ج١٠، ص٢٠٩، ٢١٣، ٥٤٤ ــ ٥٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٩١ ــ ٥٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٨٠.

وفي سنة (٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م) " ثار العيارون ببغداد وسائر محالّها، وأفسدوا ونهبوا وقتلوا، حتى إنه وصل صاحبٌ لأتابك زنكي ومعه كتب، فخرجوا عليه وأخذوها منه، وقتلوه... ." [١]

وفي سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) " زاد أمر العيارين وكثروا، لأمنهم من الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاروت أخي زوجة السلطان، لأنهما كان لهما نصيب في الذي يأخذه العيارون. " [٢]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٩٥ ، انظر أيضاً: ج٩، ص٤١٠، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٤٠، ج١٠، ص٣٠١، ٥٤٥، ج١١، ص٤٥.

٣ ــ الكوارث الطبيعية والبشرية:

تعد "الكوارث" العنوان الأنسب لجزء كبير من مادة ابن الأثير، وشكلت محوراً مهماً من محاور اهتمامه بالحياة العامة، وبكل ما يؤثر في استقرارها. مع ملاحظة مبالغته أحياناً في أعداد ضحايا بعض الكوارث.

ويمكن تقسيم هذه المادة إلى قسمين: القسم الأول: تناول فيه ابن الأثير، بصورة مكثفة، الكوارث الطبيعية والنتائج المأساوية لها، من موت ودمار وهجرات وانهيار اقتصادي. ومنها:
ــ الزلازل: كالزلازل التي وقعت في العراق وبلاد الجبل وقُم ونواحيها سنة (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)، إذ وصفها ابن الأثير بأنها " كثيرة متتابعة، دامت نحو أربعين يوماً تسكن وتعود، فتهدمت الأبنية، وغارت المياه، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير ... ". (١) والزلزلة الشديدة التي حدثت في الدِّينَور سنة (٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م)، وخربت المساكن ومات من أهلها الكثير، " وكان الذين دُفنوا ستة عشر ألفاً سوى من بقي تحت الهدم ولم يشاهَد." (٢) ثم وصفه الدقيق للزلزلة التي حدثت في فلسطين ومصر سنة (٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م)، حيث " خربت الرملة، وطلَع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة، وانشقت الصخرة بالبيت المقدس ... وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه، فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقاً كثيراً. " (٣)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٧ ؛ انظر أيضاً: الخبر عن الزلزلة التي حدثت في خراسان سنة (٤٥٨ هـ)، و" بقيت تتردد أياماً، تصدعت منها الجبال، وأهلكت خلقاً كثيراً، وانخسف منها عدة قرى، وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك. "، المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٢ ؛ وخبر الزلزلة التي وقعت في الجزيرة والشام سنة (٥٠٨ هـ)، فأصاب الدمار جزءاً من الرها، وحرّان، وسميساط، وبالِس، ومات الكثير تحت الهدم. المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٠٨ ؛ وخبر الزلزلة التي وقعت في أذربيجان سنة (٥٣٤ هـ). المصدر نفسه، ج١١، ص٧٧.

ـ **الأوبئــة والأمراض**: كالخبر الذي قدّمه عن كثرة الحمّيات ووجع المفاصل في العــراق ســنة (٣٢٩ هـ / ٩٤١ م). [١] وانتشار مرض أورام الحلق ومرض مرتبط به يسمى (الماشرا) وكثرة الموت بهما، وموت الفجـأة فــي بغداد ونواحيها سنة (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م). [٢] والوبــاء الــذي أصاب بخارى وسمرقند سنة (٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م)، والذي قتل في يوم واحد آلاف الأشــخاص من أعمال بخارى. [٣] وخبر الوباء الذي أصاب بني عنزة الذين كانوا يــسكنون عــشرين قريــة بيــن الحجاز واليمن سنــة (٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)، وأودى بحيــاة سكــان ثمانــي عــشرة قريــة منهــا. [٤]

ـ **العواصــف المدمرة**: كالريح الشديدة التي هاجت في الموصل سنة (٣١٩ هـ / ٩٣١ م)، وقد وصفها ابن الأثير بأن " فيها حمرة شديدة، ثم اسودّت، حتى لا يعرف الإنــسان صــاحبه، وظــن الناس أن القيامة قد قامت ... ".[٥] والريح السوداء التي هبت على العــراق والموصـــل سنـــة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)، وصاحَبها البرق والرعد، " وسقط على الأرض رمل أحمر وتراب كثير، وكانت النيران تضطرم في أطراف السماء ... فألقت النخيل والأشجار، وسقط معها صواعق فــي كثير من البلاد، حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت ... ". [٦]

ـ **السيول الجارفة الناجمة عن الأمطــار الغزيــرة**: كخبر السيول التي وصفها بالعظيمة، نتيجــة الأمطار الغزيرة في الأندلس سنة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)، " فخربت أكثر الأسوار بمدائــن ثغــر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص ٥٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص ٦٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص١٧٢ ؛ انظر أيضاً: خبر الوباء الذي أصاب البصرة والبطائح من شدة الحر، سنة (٣٧٨ هـ)، المصدر نفسه، ج٩، ص٦٠ ؛ والخبر عن انتشار مرض الجـُدَري في كثير من البلدان، لا سيما في العراق، " ومات به من الصبيان ما لا يحصى، وتبعه وباء كثير، وموت عظيم. " سنة (٤٩٨ هـ)، المصدر نفسه، ج١٠، ص٣٩٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٣٦،

(٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٤٥.

الأندلس، وخربت قنطرة سرقسطة ...". [١] والسيل الذي ضرب تكريت سنة (٣١٩ هـ / ٩٣١ م)، وأغرق أربعمائة دار ودكان وخلقاً كثيراً، " ودُفن المسلمون والنصارى مجتمعين لا يُعرف بعضهم من بعض. " [٢]

ـ **الفيضانات الناجمة عن ارتفاع منسوب مياه الأنهار**: كالتفاصيل المهمة التي أوردها عن غرق الجانب الشرقي من بغداد، وجزء من الجانب الغربي منها سنة (٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م)، بسبب ارتفاع منسوب مياه دجلة، إذ " انفتح القورج عند المسنّاة المُعزية، وجاء في الليل سيل عظيم، وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة، وجاء الماء إلى المنازل من فوق، ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقي، وهلك خلق كثير تحت الهدم ... وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد، ومشهد باب التين ... ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي. " [٣] والوصف الدقيق والمطوّل الذي قدمه لكارثة غرق بغداد سنة (٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م)، حيث " كثرت الزيادة في دجلة ... وأقبل المد إلى البلد، فامتلأت الصحاري وخندق البلد، وأفسد الماء السور ففتح فيه فتحة ... ودبّ الماء تحت الأرض إلى أماكن فوقعت وأخذ الناس يعبرون إلى الجانب الغربي، فبلغت المعبرة عدّة دنانير، ولم يكن يُقدر عليها ... ". [٤]

ـ **انتشار الجفاف**: كالجفاف الذي وقع في العراق سنة (٥٣٤ هـ / ١١٤٠ م)، حيث انقطع الغيث " ولم يجئ غير مرة واحدة في آذار، ثم انقطع ووقع الغلاء وعُدمت الأقوات. " [٥] والجفاف الذي أصاب سائر مدن الشام والجزيرة والعراق وديار بكر والموصل وبلاد الجبل وخلاط سنة(٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) حيث " انقطعت الأمطار بالكلية ... واشتد الغلاء، وكان عاماً في سائر البلاد ... واستسقى الناس في أقطار الأرض فلم يُسقوا، وتعذرت الأقوات وأكلت الناس الميتة وما ناسبها ... ". [٦]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٣٥ ــ ٢٣٦.
(٣) المصدر نفسه، ج١٠، ص٩٠ ــ ٩١.
(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٢٤٨.
(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص٧٧.
(٦) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥١ ــ ٤٥٢.

وكذلك الجفاف الذي أصاب هذه البلاد سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م)، إذ " قلـّت الأمطار ... فلم يجئ منها شيء على شباط، ثم إنها كانت تجيء في الأوقات المتفرقة مجيئاً قريباً لا يحصل منه الرّي للزرع ... ". [١]

ـ **الجراد**: كالخبر الذي أورده عن ظهور الجراد الكثير في سواد العراق وفي الأهواز والموصل والجزيرة والشام سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م)، حيث " أقام أياماً وأثـّر في الغلات آثاراً قبيحة ... ". [٢] وخبر الجراد الذي هاجم العراق والجزيرة وديار بكر والشام سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م)، وأهلك المحاصيل الغلات والخـُضَر. [٣]

وتناول ابن الأثير في القسم الثاني الكوارث ذات العوامل البشرية ونجَم معظمها عن الفتن والثورات، وقد أولاها ابن الأثير عناية خاصة، لتأثيرها على الناس اقتصادياً واجتماعياً، وركز في معظمها على حوادث الحريق التي تعرضت لها محالّ بغداد وأسواقها؛ كخبر احتراق سوق الأساكفة في الموصل سنة (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م)، إثر الفتنة التي وقعت بين أصحاب الطعام والأساكفة. [٤] وخبر حريق الكرخ سنة (٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م) بسبب الفتنة المذهبية؛ إذ " كان عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف إنسان، وثلاثمائة دكان، وكثير من الدور، وثلاثة وثلاثين مسجداً، ومن الأموال ما لا يحصى. " [٥] وبالرغم من أن هذا الوصف ينطوي على مبالغة في حجم الخسائر وأعداد الضحايا، إلا أن الخبر يبقى نموذجاً لاهتمام ابن الأثير بالنتائج المأساوية للفتن. ثم الخبر عن احتراق جامع دمشق سنة (٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م)، بسبب الحرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة، " وأتى الحريق على الجامع، فدثرت محاسنه، وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة. " [٦]

وقد اشتملت مادته عن الكوارث على معلومات عن أغلب البلدان الإسلامية، مع التركيز على

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤١٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص١٢١.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٦٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٩.

نواحي العراق ،[١] فأشار إلى حوادث وقعت في كل من: فارس وخراسان والمشرق عمومــاً، [٢] والجزيرة الفراتية والشام، [٣] ومــصر، [٤] وبدرجــة أقــل إفريقيــا والأنــدلس، [٥] والحجــاز والشـــراة. [٦]

وهكذا حاول ابن الأثير، من خلال المادة المكثفة التي قدّمها عن الكوارث، أن يعطي تصوراً شاملاً عن هذه الناحية من اهتمامه، وهو يكاد يكون في مقدمة مَن التفت إليها بهذه الدرجــة مــن التكثيف. وقد جاء تركيزه على الكوارث في سياق اهتمامه بحياة الناس واستقرار المجتمع.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦، ٣٧٨، ٤١٦، ٥٢٠، ج٩، ص٦٠، ٤٣٩، ج١٠، ص١٠٠ ــ ١٠١، ١٤٥، ج١١، ص٥٤، ٣٥٤ ج١٢، ص١٧٠ ــ ١٧١، ٤١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٠٤، ٥١٢، ٥١٨، ج٩، ص٢٠٨، ٤١١، ٥١٣، ٥٩١، ٦٣٧، ج١٠، ص٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٣٨، ج١٠، ص٣٠، ٥٧، ٢٠٠، ٥٠٨، ج١١، ص٧١، ٢١٨، ٣٥٤ ــ ٣٥٥، ج١٢، ص ٤١٨، ٤٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٣٨، ج١٠، ص٥٧، ٤٨٤، ٥٩٦، ج١١، ص٩٢، ج١٢، ص١٧٠، ١٩٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٠٨، ج٨، ص٦٦، ٦٩٣ ــ ٦٩٤.

(٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٩٤، ج١٢، ص١٧٢.

٤ ــ الظواهر الطبيعية:

شكلت الظواهر الطبيعية ناحية أساسية من نواحي اهتمام ابن الأثير في تاريخه، [١] وهــو لا يكاد يؤرخ لسنة إلا ويشير إلى حادثة أو أكثر متصلة بظواهر الطبيعة. وقد تنوعت مادته في هــذا المجال؛ فتناول حوادث ذات صلة بأحوال المُناخ، [٢] وفيضانات الأنهار، [٣] والظواهر الفلكية التي ركز عليها بشكل واضح، لأنها أثارت اهتمام الناس، وأحياناً خوفهم. [٤]

ويلاحَظ أن موضوعيّ الفلك والمُناخ شغــَلا جــُل المادة التي تم رصدها في هــذه الناحيــة، كما أنها تداخلت مع اهتمام ابن الأثير بالكوارث الطبيعية وارتبطت بها.

وفي جميع إشارات ابن الأثير عن الحوادث المتصلة بالنجوم والكواكب والأجرام الــسماوية الأخرى، أظهر اطلاعاً واسعاً في علم الفلك، وهو أمر ملفت، وتؤكده التفاصيل التي قــدّمها فــي ثنايا إشاراته إلى هذا الموضوع، [٥] وهو أيضاً يؤكد ما ذهبت إليه هذه الدراسة من ســعة ثقافتــه وتنوعها. [٦]

---

(١) جرى رصد أكثر من تسعين نصاً من كتاب "الكامل" تناول فيه ابن الأثير هذه الناحية.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٤ ــ ٥٥، ٢١٤ ــ ٢١٥، ج٩، ص٦٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٦٣، ٣٢٢، ٤٣٩، ٤٥١، ٤٦٦، ٥٦٠، ج١٠، ص٤٨٤، ٦٥٣، ج١١، ص٢٨٠، ٤٠٩، ٤٦٠ ــ ٤٦١، ج١٢، ١٢٣، ٤٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ٦٩٤،ج٩، ص٢٢٦، ج١٠، ص١١٦، ٦٠٥، ج١٢، ص٣٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص١٦٠، ٢١٤، ٣٢٨، ٣٩١، ٤٧٦، ٤٩١، ٦٦٢، ج٩، ص١٥٥، ٣٥٦، ٤٣٩، ٤٥١، ٥٧٩، ٦٣٢، ج١٠، ص١٢، ١٩، ٥١ ــ ٥٢، ٢٥٩ ــ ٢٦٠، ج١١، ص١٠٣، ج١٢، ص١٠٤.

(٥) انظر مثلاً: الخبر عن ظهور كوكب سنة (٣٣٠ هــ)، "بذنــَب عظيم في أول برج القوس، وآخر برج العقرب بين الغرب والشمال، وكان رأسه في المغرب وذنَبه في المشرق ... وسار في القوس والجدي ثم اضمحل."، الكامل، ج٨، ص٣٩١ ، والخبر عن طلوع كوكب كبير سنة (٣٩٦ هــ)، شبهه ابن الأثير بالزهــَرة، طلع " عن يسْرة قبلة العراق، له شعاع على الأرض كشعاع القمر ... "، الكامل، ج٩، ص١٩٠ ، والخبر عن اجتماع ستة كواكب في برج الحوت سنة (٤٨٩ هــ)، " وهي الشمس، والقمر، والمشتري، والزهــَرة، والمريخ، وعُطارد ... "، وتوقعات المنجمين في شأنها، الكامل، ج١٠، ص٢٥٩ ــ ٢٦٠.

(٦) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة، ص٨ ــ ١٠.

جاءت أخبار ابن الأثير عن الحوادث المتصلة بالأحوال الجوية كثيرة ومكثفة، واهتم في جزء منها بالحوادث الغريبة؛ كهطول الأمطار بغزارة في شهر آب، [(١)] وسقوط الثلوج بكثافة في مناطق مثل بغداد وواسط والكوفة، [(٢)] وسقوط البرَد الذي يشبه الحجارة الكبيرة في بعض المناطق، كالعراق وإفريقيا، [(٣)] وانتشار الظلام بسبب الرياح السوداء أو السحاب الأسود. [(٤)] وجاء اهتمامه بالأحوال الجوية أيضاً في سياق اهتمامه بحياة الناس وكل ما يؤثر فيها.

ويمكن من خلال الأمثلة الآتية تكوين صورة متكاملة عن هذه الناحية من اهتمامه:

ـ في سنة (٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) " تتابعت الأمطار، وكثرت البروق والرعود، والبرَد الكبار، وسالت منه الأودية، وامتلأت الأنهار والآبار ببلاد الجبل، وخربت المساكن، وامتلأت الأقناء طيناً وحجارة، وانقطعت الطرق. " [(٥)]

ـ وفي سنة (٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م) " وقع ثلج كثير ببغداد وواسط والكوفة، والبطائح إلى عبّادان، وكان ببغداد نحو ذراع، وبقي في الطرق نحو عشرين يوماً. " [(٦)]

ـ وفي سنة (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) " نشأت سحابة بإفريقيا ... شديدة البرق والرعد، فأمطرت حجارة كثيرة ما رأى الناس أكبر منها فهلك كل من أصابه شيء منها. " [(٧)]

ـ وفي سنة (٥٠٤ هـ / ١١١٠ م) " هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا، وأخذت بأنفاس الناس، ولم يقدر أحد أن يفتح عينيه، ومن فتحهما لا يبصر يده، ونزل على الناس رمل، ويئس الناس من الحياة، وأيقنوا بالهلاك ... ". [(٨)]

ـ وفي سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) " توالت الأمطار في ديار بكر والجزيرة والموصل، فدامت

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٧٩، ج١٢، ص٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٤ ـ ٥٥، ج٩، ص٢٠٨، ٤٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٦٠، ٣٢٢، ٣٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٠٥، ٥٦٠، ج١٠، ص٤٨٤، ٦٥٣، ج١١، ص٥٤، ٤٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٢٢.

(٨) المصدر نفسه ، ج١٠، ص٤٨٤.

أربعين يوماً ما رأينا الشمس فيها غير مرتين، كل مرة مقدار لحظة، وخربت المساكن وغيرهـا، وكثر الهدم، ومات تحته كثير من الناس. "[١]

أضف إلى ذلك أن نظرة ابن الأثير إلى هذه الحوادث وغيرها، جاءت انعكاساً لنظرتـه إلـى حركة التاريخ، التي يعدها خاضعة للمشيئة الإلهية،[٢] كما أن السياق الذي جاءت هذه الحـوادث ضمنه، وهي في معظمها كارثية، يُشعر بأن ابن الأثير يرى فيها عقاباً إلهياً على فـساد النـاس، لذلك نجده يذكر تضرع الناس وعودتهم إلى الله إثر كل حادثة.

٥ ــ المصالح العامة:

أبدى ابن الأثير اهتمامه بما يمكن تسميته بــ "المصالح العامة"، وحاول أن يستوفي معلوماته عنها، ويظهر أن المعلومات التي توفرت لديه عن هذه الناحية محدودة، لذا جاءت إشـارته إليهـا أقل من إشاراته إلى نواحي اهتمامه السابقة، ومع ذلك فهذه الإشارات تؤكد سعة أفق هذا المؤرخ؛ إذ كان معنياً برصد كل ما يتصل بهذا الموضوع، فعني بتسجيل أخبار بناء المساجـد والربُط،[٣]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٠٩ ؛ انظر أيضاً الأمثلة الآتية:
في سنة (٣١٤ هـ) " جمدت دجلة عند الموصل، من بلد إلى الحديثة، حتى عبر عليها الـدواب لشدة البرْد. "، المصدر نفسه، ج٨، ص١٦٧. وفي سنة (٣١٧ هـ) " هبت ريح شديدة، وحملت رملاً أحمر شديد الحمرة، فعمّ جانبي بغداد، وامتلأت منه البيوت والدروب، يشبه رمل طريق مكة. "، المصدر نفسه ، ج٨، ص٢١٤ ــ ٢١٥. وفي سنة (٣٦٧ هـ) " ظهر بإفريقية في السماء حمرة بين المشرق والشمال، مثل لهب النار، فخرج الناس يدعون الله تعالى، ويتضرعون إليه ... "، المصدر نفسه، ج٨، ص٦٩٣ . وفـي سنـة (٣٩٧ هـ) " هبّ على الحُجاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الأرض، ولم يـرَ النـاس بعضهـم بعضاً "، المصدر نفسه، ج٩، ص٢٠٥. وفـي سنة (٥٥٦ هـ) " كثرت الأمطار في أكثر البلاد، ولا سيما خراسان، فإن الأمطار توالت فيها من العشرين من المحرم إلى منتصف صفر لم تنقطع، ولا رأى الناس فيها شمساً. "، الكامل، ج١١، ص٢٨٠.

(٢) انظر الفصل الرابع والخاص بمنهج ابن الأثير ص١٩٠ ــ ١٩٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٩، ج١٠، ص٢١٣، ج١١، ص٤٠٤، ٤٦١، ج١٢، ص٤٢، ١٠٤.

وبناء البيمارستانات ورعايتها، [(١)] وإنشاء المكتبات، [(٢)] وبناء المحال الجديدة، [(٣)] وفتح الطرق وصيانتها، [(٤)] وبناء الأسوار، [(٥)] والمراصد الفلكية، [(٦)] وذكر الاجراءات المتعلقة بالتقاويم، [(٧)] وبناء دور العدل، [(٨)] ومسح الأراضي، [(٩)] وإصلاح الأنهر والقنوات، [(١٠)] وكذا الإجراءات المتعلقة بدور الضرب. [(١١)] ويمكن ملاحظة الأمثلة الآتية:

ـ في سنة (٣٧١ هـ / ٩٨١ م) " فـُتح المارستان العضدي، غربي بغداد، ونـُقل إليه جميع ما يحتاج إليه من الأدوية. " [(١٢)]

ـ في سنة (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) بنى الوزير مؤيد الملك " مارستاناً بواسط، وأكثر فيه من الأدوية، والأشربة، ورتـّب له الخـُزان والأطباء، ووقف عليه الوقوف الكثيرة ... ". [(١٣)]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١١٥، ج٩، ص١٦، ٣٢٩، ج١٠، ص٥٨، ج١١، ص٤٠٤، ٤٤١،

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٥، ٦٠٥، ج١١، ص٨٠، ٣٦٦، ٤٠٤، ٤٤٠، ج١٢، ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٣٠ ؛ انظر: دراسة يعقوب ليسز عن نمو مدينة بغداد، وتعليقاته على ما كتبه الخطيب البغدادي عن خطط المدينة: ليسز، يعقوب، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة صالح أحمد العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤م ؛ وما كتبه جورج مقدسي عن محال بغداد وأسواقها في كتابه: خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ترجمة صالح أحمد العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤م.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٢٦، ج١٠، ص٢٥١، ٦١٦ ـ ٦١٧، ج١١، ص٤٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص٦٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ج١٠، ص٩٨.

(٨) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٦٦، ٤٠٤.

(٩) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٥٦.

(١٠) المصدر نفسه، ج٩، ص٢١٩ ، ج١٠، ص١٢، ٢١٣.

(١١) المصدر نفسه، ج١٠، ص٦٠ ـ ٦١.

(١٢) المصدر نفسه، الكامل، ج٩، ص١٦.

(١٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٢٩.

ــ في سنة (٤٦٠ هــ / ١٠٦٨ م) تسلـّم أبو منصور بن عبد الملـك بـن يوسـف المارسـتان العضدي، " وكان قد دثر واستولى عليه الخراب، فجدّ في عمارته، وجعل فيه ثمانيـة وعـشرين طبيباً، وثلاثة من الخُزّان ... واشترى له الأملاك النفيسة، بعد أن كان ليس بـه طبيـب ولا دواء. " (١)

ــ في سنة (٤٣٦ هــ / ١٠٤٤ م) " أمر الملك أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز، فبُني وأحكم بناؤه، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع، وعرضه ثمانية أذرع، وله أحد عشر باباً ... " (٢)

ــ في سنة (٤٥٢ هــ / ١٠٦٠ م) " سدّ بنو ورّام بثق النّهروانات، وشرع العميد أبو الفـتح فـي عمارة بثوق الكرخ. " (٣)

ــ وفي خبر وفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥ هــ / ١٠٩٢ م)، تحدث ابن الأثير بالتفصيل عـن انجازاته المتعلقة بالمصالح العامة، فذكر أنه " عمر الطرق، والقناطر، والربُط التي في المفـاوز، وحفر الأنهار الخراب، وعمر الجامع ببغداد، وعمل المصانع بطريق مكة، وبنى البلد بأصـبهان، وبنى منارة القرون بالسُبيعي بطريق مكة، وبنى مثلها بما وراء النهر ... " (٤)

ــ وفي خبر وفاة الخليفة المقتدي بأمر الله سنة (٤٨٧ هــ / ١٠٩٤ م) تحدث ابـن الأثيـر عـن فضائله، ومنها أن عدة محال بـُنيت في بغداد في أيامه، منها: " البـصَلية، والقطيعـة، والحلبـة، والمقتدية، والأجمة ودرب القيار، وخربة ابن جَرَدة، وخربة الهرّاس، والخاتونيّتين. " (٥)

ــ وفي سنة (٥٦٥هــ / ١١٧٠ م) حين كان والد ابن الأثير يتولى جزيرة ابن عمر جاء كتـاب من الديوان بالموصل، " يأمرون بمساحة جميع بساتين العقيمة، ... ولها بساتين كثيـرة بعـضها يُمسح فيؤخذ منه على كل جريب شيء معلوم، وبعضها عليه خـراج، وبعضهـا مطلـق مـن

---

(١) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢١٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٣٠.

الجميـــع .... " [١]

ـ وفي سنة (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) " كان الرصد بالدار السلطانية، شرقي بغداد، تولاه البديـــع الإصطرلابـــي ... " [٢]

ـ وتحدث باهتمام عن المصالح التي رعاها نور الدين إبان حكمه، وقد استخدم كلمة "مصالح" في هذا الخبر، فأشار إلى بنائه دار العدل في بلاده، وأسوار مدن الشـــام وقلاعهـــا، " وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية، وبنى الجامع النوري بالموصل، ونبى البيمارســـتانات والخانـــات فـــي الطرق، وبنى الخانكاهات للصوفية في جميع البلاد، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة ... " [٣]

وهكذا، رسم ابن الأثير صورة مقرّبة عن واقع الخدمات التي كانت الدولة توفرهـــا للنـــاس، والنواحي التنظيمية المتصلة بها، وكذا المؤسسات العلمية والثقافية التي نالت عنايتها أيضاً.

ويمكن القول إن ثمة صلة بين نواحي اهتمام ابن الأثير المختلفة؛ فاهتمامه بالمصالح العامـــة والظواهر الطبيعية والكوارث جاء في سياق اهتمامه بكل ما يؤثر في حيـــاة العامـــة واســـتقرار المجتمع من حوادث أو ظواهر. فالفتن بكل دوافعها، وارتفاع الأســـعار وانعكاســـاته المعيـــشية، والحركات الاجتماعية، والأزمات السياسية؛ كونت موضوعات أثـــّرت في حياة العامة، وانعكست على استقرار المجتمع، وهذا الاستقرار شكل الهاجس الذي يمكننا تلمسه لدى ابن الأثير في ثنايـــا تاريخه.

****

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص٦٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٠٤.

الفصل الثالث

مصادر ابن الأثيـــر

ـ تمهيـد

أولاً: أهمية تاريخ الطبري بالنسبة لابن الأثير

ثانياً: مصادر ابن الأثير تبعاً للفترات التي تناولها في كتابه

١ ـ الزمان وابتداء الخلق

٢ ـ تاريخ الأنبياء وشعوبهم

٣ ـ تاريخ الفرس والروم

٤ ـ العرب قبل الإسلام

٥ ـ السيرة النبوية

٦ ـ تاريخ صدر الإسلام

ـ عصر الخلفاء الراشدين

ـ عصر الخلفاء الأمويين

٧ ـ التاريخ العباسي

٨ ـ فترة الحروب الصليبية

ثالثاً: ملاحظات على مصادر ابن الأثير

تمهيـد

استمد ابن الأثير مادته من المصادر التي وصل إليها، وهي متنوعة، فقد أفاد مـن المـصادر الشفوية وشهود العيان. واعتمد أيضاً على مشاهداته واتصالاته الشخصية. وأفاد بصورة واسـعة من المصادر المكتوبة؛ سواء كانت كتباً أو رسائل شخصية أو وثائق رسمية. وقد جـاء اعتمـاده على مصادره بدرجات متفاوتة، تبعاً لحجم كل منها وقيمة معلوماته.

وستتم دراسة مصادر ابن الأثير تبعاً للفترات التي تناولها، وسيتداخل ذلك مع البحـث فـي قـيمة كل منها تبعاً لموضوعات الكتاب، ويلي ذلك محاولة لتـبَيّن نظرة ابن الأثير إلى مصادره، وكيف تعامل معها.

أهمية تاريخ الطبري بالنسبة لابن الأثير:

بنى ابن الأثير مادته عن الفترات التي تشمل بدء الخليقة، وتاريخ الفرس، والعرب قبل الإسلام، والتاريخ الإسلامي إلى مطلع القرن الرابع الهجري، معتمداً بصورة أساسية على "تاريخ الرسل والملوك" لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م). ففي إشارته الأولى إلى مصادره في مقدمة "الكامل" نوّه بأنه حين بدأ بجمع مادته بدأ بتاريخ الطبري، ووصفه بأنه " الكتاب المعوَّل عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه ... ." (١)

وتبدو ثقة ابن الأثير بالطبري جلية، وتحديداً في مادته عن الموضوعات الخطيرة؛ كالفتنة الكبرى. (٢) وقد اتَّهم غيرَ الطبري من المؤرخين ممن تناولوا الفتنة بأنهم في بعض وقائعها " حشوا تاريخهم بمقتضى أهوائهم. " (٣)

ومع ذلك أشار صراحة إلى أن ثمة نقصاً في مادة الطبري، لذا رجع إلى مؤلفات أخرى، وأخذ منها معلومات أكمل بها مادة الطبري في تأريخه للفترات التي غطاها الطبري، لكنه لم يحدد كل هذه المصادر: " فلما فرغتُ منه أخذتُ غيره من التواريخ المشهورة فطالعتُها وأضفتُ منها إلى ما نقلتُه من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعتُ كل شيء منها موضعه..." (٤)

وهذه الإضافات إلى مادة الطبري تؤكدها إشارات ابن الأثير المتكررة إلى المصادر التي أخذ عنها معلوماته، وتؤكدها مقارنة بعض المعلومات الواردة عنده بما ورد عند الطبري، فمثلاً: أضاف إلى خبر الطبري عن ملوك الروم في الفترة بين رفع المسيح وظهور الإسلام مادة جيدة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣ ؛ وعن تاريخ الطبري انظر: التونسي، محمد خليفة، تاريخ الأمم والملوك، موسوعة تراث الإنسانية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، بلا ت، مج١، ص٧٤٥ وما يليها ؛ ويمكن الرجوع إلى أبحاث جواد علي عن مصادر الطبري في تاريخه لتبيُّن أهميته بالنسبة لابن الأثير ولغيره من المؤرخين المتأخرين كابن كثير وابن خلدون، علي، جواد (١٩٥٠م)، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج١، ج١، ص١٤٣ ــ ٢٣١؛ ومج٣ (١٩٥٤م)، ج١، ص١٦ ــ ٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣، ج٣، ص٢٠٥ وما يليها، ٢٦٣، ٢٧٦ وما يليها.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣. سيجري التعرف إلى هذه المصادر تباعاً في هذا الفصل.

عن الحوادث التي وقعت أيامهم؛ إذ " سطـــّرها غيره من العلماء بالتاريخ ... ." [١]

وأضاف مادة مهمة عن أيام العرب قبل الإسلام، لم يذكر الطبري منها سوى يـــوم ذي قـــار وجذيمة الأبرش والزبـــّاء وطسم وجَديس، ويرى ابن الأثير أن الطبري ما ذكرها إلا لأن ملوكـــاً اشتركوا فيهـــا. [٢] كما أضاف معلومات لم يشِرِ إليها الطبري عن فتح مـــدن الـــساحل الـــشامي، طرابلس وبيروت وجبيل وصيدا، سنة (١٣ هـــ / ٦٣٤م)، [٣] إذ نقلها عن البلاذري. [٤]

وذكـــَر رواية عن صلة الهرمزان بأبي لؤلؤة المجوسي وعلاقتهما بقتل عمر بن الخطـــاب، وموقف عبيد الله بن عمر منهما، لم ترد في تاريخ الطبري. [٥] وعند مقارنة المادة التي كتبهـــــا ابن الأثير عن أخبار عبد الملك بن مروان بما كتبه الطبري، تبيَّن أن ابن الأثير أضاف معلومات لم يذكرها الطبري. [٦] وكذلك المعلومات التي أوردها عن نسب الحَجاج وسيرتـــه. [٧] كمـــا أن

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج١، ص٣٢٣ وما يليها ؛ انظر: الطبري، تاريخ، ج١، ص٦٠٦ ـــ ٦٠٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٠٢ وما يليها ؛ انظر: الطبري، تاريخ، ج١، ص٦١٧ وما يليها، ج٢، ص١٩٣ وما يليها. يظهر أن ابن الأثير اعتمد في أيام العرب على مؤلفات هشام بن محمد بن السائب الكلبي، انظر أسماء مؤلفاته في هذا الموضوع والتي ذكرها النديم في الفهرست: النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحاق، (ت ٣٨٠ هـــ)، الفهرست، مجلدان، تحقيق شعبان خليفة ووليد العوزة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م، مج١، ص١٧١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣١.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت٢٧٩هـــ)، فتوح البلدان، عناية رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م، ص١٣٣ ـــ ١٣٤ ؛ انظر أيضاً: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٤م، مادة ابن الأثير، كتبها عمر عبد السلام تدمري، مجلد١، ص٢٧٩ ؛ وتدمري، عمر عبد السلام (١٩٨٢م)، الحضور التاريخي لمدينة طرابلس الشام من خلال (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ص٣٠١ وما يليها.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٢٠ ـــ ٥٢٢ ؛ انظر: الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤١٨ ـــ ٤٢٢.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٨٤ ـــ ٥٨٧.

حوادث سنة (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) الواردة عند ابن الأثير كخروج حسان بن مجالد في نواحي الموصل، واستعمال الخليفة المنصور خالدَ بن برمك على الموصل، وولاية الأغلب بن سالم إفريقيا لا نراها في تاريخ الطبري. (١) وقدم ابن الأثير أيضاً تفاصيل عن الدعوة العباسية لا ترد في تاريخ الطبري أيضاً. (٢) وكذا أخبار خروج الفضل الخارجي بنواحي نَصيبين سنة (١٧٦ هـ / ٧٩٢ م)، (٣) والفتنة التي وقعت بالموصل بتدبير "العطاف بن سفيان الأزدي" سنة (١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)، (٤) واستعمال الرشيد عليَّ بنَ عيسى بن ماهان على خراسان، سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)، (٥) وخبر الفداء بين المسلمين والروم سنة (١٨١ هـ / ٧٩٧ م)، الذي عُدَّ "أول فداء كان أيام بني العباس"؛ (٦) هذه كلها أخبار لم ترد في تاريخ الطبري. أضف إلى ذلك أن الطبري لم يهتم بأخبار إفريقيا والمغرب والأندلس وصقلية، بينما توسع ابن الأثير فيها. (٧)

وثمة معلومات تبدو أقل أهمية، لكنها تشير إلى حرص ابن الأثير على استيفاء مادته من مصادر أخرى غير الطبري، منها: خبر مقتل معن بن زائدة الشيباني، (٨) وخبر خروج الصحصح الخارجي في الجزيرة زمن الرشيد، (٩) ومقتل روْح بن صالح الهمْداني، من قادة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٨٤ وما يليها.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١١٤ ــ ١١٥، ١٩٦ ــ ١٩٧، ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٣٣ ــ ١٣٤.

(٤) المصدر نفسه،ج٦، ص١٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص١٥٠ ــ ١٥٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص١٥٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٣١١ ــ ٣١٩، ٣٣٧ ــ ٣٣٩، ٣٧٥ ــ ٣٧٦، ٦٠٥ ــ ٦٠٦، ج٦، ١١٠ ــ ١١٢، ١١٣ ــ ١١٤، ١٢٣ ــ ١٢٤، ج٨، ص٧١ ــ ٧٤.

(٨) المصدر نفسه، ج٥، ص٦٠٦ــ ٦٠٧.

(٩) المصدر نفسه، ج٦، ص١١٢.

الموصل، والعامل على صدقات بني تغلب من قِبل الرشيد، سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، [١] وعزل الرشيد إسحاقَ بن محمد عن الموصل، واستعماله سعيدَ بن سَلْم الباهلي عليها سنة (١٧٢ هـ / ٧٨٨ م). [٢] وكذا خبر خروج حصين الخارجي بخراسان سنة (١٧٥ هـ / ٧٩١ م)، [٣] وخبر موت الليث بن سعد الفقيه بمصر، ومحمد بن إسحاق أبو العنْبَس الشاعر، والمسيّب بن زهير الضبّي الذي كان رئيساً لشرطة المنصور والمهدي ووالياً على خراسان من قِبل المهدي؛ [٤] كلها أخبار لم يشِر إليها الطبري.

وفي السياق ذاته توسع ابن الأثير في أخبار وردت مختصرة عند الطبري، الأمر الذي يشير إلى أنه أخذها من مصادر أخرى غير الطبري، وأعطاها أهمية أكثر من الطبري؛ كخبر الفتنة التي وقعت بين المضرية واليمانية في دمشق سنة (١٧٦ هـ / ٧٩٢ م). [٥]

إذن لا يمكن قبول الفكرة الشائعة بأن ابن الأثير اعتمد كلياً على الطبري في مادته عن موضوعات بدء الخليقة والزمن القديم والتاريخ الإسلامي حتى بداية القرن الرابع الهجري. [٦]

وتتضح الصورة بشكل أفضل بأخذ فترة تاريخية محددة ومحاولة تبيُّن الطريقة التي تعامل فيها ابن الأثير مع مادة الطبري عن هذه الفترة. ويمكن أن تكون سنة (٦٤ هـ / ٦٨٣ م) نموذجاً جيداً في هذا المجال؛ لأنها تتميز بكثافة الحوادث وتسارعها، كاضطراب البيت الأموي بعد وفاة يزيد بن معاوية، وحصار عبد الله بن الزبير الأول بمكة، وحرق الكعبة، والبيعة لابن الزبير في الحجاز ولمعاوية بن يزيد ثم لمروان بن الحكَم في الشام، ووقعة مرج راهط، وتشكُّل حركة التوابين، وظهور المختار بن أبي عبيد. ثم استمرار ثورات الخوارج وظهور الفتن في خراسان.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٧ ــ ١٣٣.

(٦) انظر: روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، ص١٥٣.

١ـــ قــدّم ابن الأثير قصة متسلسلة لكل حادثة تناولها في هذه السنة، مــن خــلال دمجــه عــدة روايات تناولت الحادثة، أو اعتماده الرواية "الأتــم" ثم إكمالها بمعلومات مــن روايــات أخــرى. والهدف هو الحفاظ على وحدة الخبر بتقديمه متصلاً دون تقطيع. ففي خبر مسير مسلم بن عقبــة في جند الشام من المدينة إلى مكة لحصار ابن الزبير، ثم حصار الحصين بن نمير لابن الزبيــر، واحتراق الكعبة؛ دمج ابن الأثير ثلاث روايات نقلها الطبري عن هشام بن محمد الكلبي عن أبــي مخنف، وهشام عن عوانة بن الحكــَم، ثم الواقدي. (١) وفي خبر وفاة يزيد بن معاوية وعمْره دمَج ثلاث روايات نقلها الطبري عن عمر بن شبّة، وأحمد بن ثابت، وهشام بن محمد الكلبي. (٢) كمــا دمَج أكثر من عشر روايات أوردها الطبري عن بيعة أهل خراسان سلمَ بن زياد وفتنة عبد الله بن خازم. (٣) وفي خبر المفاوضات التي جرت بين الحصين بن نمير وعبد الله بــن الزبيــر، أثنــاء حصار مكة، اعتمد ابن الأثير الرواية التي نقلها الطبري عن هشام بن محمد بن الــسائب الكلبــي عن عوانة وأكملها برواية أخذها الطبري عن إسحاق بن أبي إسرائيل. (٤) واعتمد رواية هشام بن محمد الكلبي عن عوانة في خبر بيعة مروان بن الحكــَم في الشام، وموقعة مرج راهط، ثم أكملها بروايات أخرى عن الواقدي. (٥) كما اعتمد رواية هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف في خبــر ظهور التوابيــن. (٦)

٢ـــ استبعد ابن الأثير الإسناد في كل الروايات التي اعتمد فيها على الطبري في حوادث هــذه السنة، حفاظاً على السياق المتصل للخبر. فالإسناد من شأنه أن يقطــّع أوصال الخبــر ويُــضعف تماسكه.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٣ ــ ١٢٤. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٦ ــ ٤٩٩.
(٢) ابن الأثير الكامل، ج٤، ص١٢٥. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٩.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٥٤ ــ ١٥٨. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٥ ــ ٥٥١.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٩ ــ ١٣٠. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٠١ ــ ٥٠٣.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٥ ــ ١٥٤. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٠ ــ ٥٤٤.
(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٥٨ ــ ١٦٥. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٥٢ ــ ٥٦٣.

٣ـــ اختصر ابن الأثير مادة الطبري، ففي تاريخ الطبري شغـلت المادة التي قدّمها عــن هــذه السنة (٨٦) صفحة، بينما شغلت المادة عند ابن الأثير (٥١) صفحة، وهذا له دلالته. (١) ويمكــن أن تعطي الأمثلة الآتية فكرة عن عناية ابن الأثير بالاختصار: حادثة حــرق الكعبة، واختــصار ابن الأثير روايتيْ ابن الكلبي والواقدي عنها. (٢) وخبر وفاة يزيــد بــن معاويــة وعــدد أولاده، واختصاره روايات كل من عمر بن شبّة وأحمد بن ثابت وابن الكلبي. (٣) ثم خبر قدوم المختــار ابن أبي عبيد إلى الكوفة الذي اعتمد الطبري فيه على رواية ابن الكلبي عن أبي مخنــف، حيــث اختصر ابن الأثير جزءاً كبيراً من التفاصيل التي أوردها الطبري؛ منها تفاصيل خبر اعتقال عبيد الله بن زياد المختارَ بعد ظهوره في الكوفة، وتدَخّل عبد الله بن عمر بن الخطاب لدى يزيد لإخلاء سبيله. (٤) وكذا اللقاء الأول بين المختار وابن الزبير في مكة. (٥)

٤ـــ حَذف ابن الأثير رواية أبي عبيدة معمَر بن المثنى التي أوردها الطبري ضمن حوادث ســنة (٦٤ هــ)، والتي تناولت ندم يزيد بن معاوية على قتل الحسين بن علي وما قاله في ذلك. واكتفى بإيرادها ضمن حوادث سنة (٦١ هــ). (٦) كما حَذف النصوص الطويلة للمراسلات التي جــرت بين سليمان بن صُرَد الخزاعي في الكوفة وكل من سعد بن حذيفة بن اليمان في المدائن والمثنــّى ابن مُخــَرِّبة العبْدي في البصرة، من أجل حشد الشيعة للطلب بدم الحسين، وقد أورد الطبري هذه المراسلات كاملة. (٧)

٥ـــ أضاف ابن الأثير معلومات لم ترد في تاريخ الطبري، كالتفاصيل التي أوردها عن سيرة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٣ ــ ١٧٤. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٦ ــ ٥٨٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٤. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٨ ــ ٤٩٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٥. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٩ ــ ٥٠٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٦٨ ــ ١٦٩. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٦٩ ــ ٥٧١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٧٠. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٧٣ ــ ٥٧٤ ؛ انظر عن حركة المختار بالتفصيل: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، ١٣ جزءاً، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج٦، ص٣٧٥ وما يليها.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٨٧. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٠٦.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٦١ ــ ١٦٢. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٥٥ ــ ٥٥٨.

يزيد بن معاوية، [١] وخطبة معاوية الثاني التي أعلن فيها تخليه عن الخلافة، ثم خبر موته مسموماً. [٢] وكذا خبر مسير مروان بن الحكَم إلى مصر وأخذه البيعة من أهلها بعد أن بايعه أهل الشام، ثم رجوعه إلى دمشق. [٣] ثم الرواية التي تشير إلى إرسال ابن الزبير المختارَ إلى الكوفة ليحشد له الشيعة هناك: " فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه وأحبّوه، فنقلوه إلى وسط الكوفة وأتاه منهم بشر كثير ...". [٤]

٦ــ تدَخَّل ابن الأثير في المادة التاريخية التي اعتمد فيها على الطبري، فصوَّب ورجّح بعض الأخبار على غيرها، كما في خبر حرق الكعبة، إذ رجّح رواية هشام بن محمد الكلبي بأن الكعبة احترقت بعد أن رماها جند الشام بالمجانيق، على رواية الواقدي بأنها احترقت من نار كان أصحاب ابن الزبير يوقدونها حولها. وجاء ترجيح ابن الأثير رواية هشام بن محمد الكلبي " لأن البخاري قد ذكر في صحيحه أن ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرّضهم على أهل الشام. " [٥] وكذلك رجّح الرواية التي ذكرها الطبري دون إسناد في تحديد تاريخ وفاة يزيد بن معاوية وعمْره على روايات أخرى للزهري وأحمد بن ثابت وهشام بن محمد الكلبي. [٦]

٧ــ استبعد ابن الأثير قسماً كبيراً من المقاطع الشِعرية التي وردت عند الطبري في هذه السنة، وذلك انسجاماً مع نظرته إلى الشِعر والتي تختلف عن نظرة الطبري إليه. فالطبري حاول استخدام الشِعر كمصدر للمعلومات، في حين اهتم ابن الأثير بالناحية الجمالية للشِعر فقط. وللإستدلال جرى رصد (٢٣) مقطعاً شِعرياً وردت في مادة الطبري عن هذه السنة، بينما أورد ابن الأثير منها (١٥) مقطعاً. [٧]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٦ ــ ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٤. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٨ ــ ٤٩٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٥. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٩.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٣ وما يليها. / الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٦ وما يليها.

وأخيراً: يـُلاحظ أن ابن الأثير التزم نهج الطبري في ترتيب بعض مصادره، بحيث وردت عنده حسب ترتيبها عند الطبري، وأشار إلى بعض المصادر الواردة لدى الطبري بتصـّرف وأحياناً بصيَغ مشابهة للتي استخدمها الطبري. (١) ومع ذلك لا يمكن الجزم بأن ابن الأثير لم يرجع إلى تلك المصادر مباشَرة، لا سيما وأن المؤلفات التاريخية غدت متوفرة في عصره، لذا لا يمكن القول إن مؤرخاً محققاً كابن الأثير لم يطـّلع عليها، كما أن تعابير مثل "قال ابن إسحاق" و"قال ابن الكلبي" و"زعم أهل التوراة"، تؤكد رجوعه إلى هذه المصادر مباشرة.

---

(١) للمقارنة انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥١ ؛ الطبري، تاريخ، ج١، ص١٥٨. / الكامل، ج١، ص٥٤، ٥٥ ؛ الطبري، ج١، ص١٦٣، ١٦٤. / الكامل، ج١، ص٥٧ ؛ الطبري، ج١، ص١٦٦، ١٦٨. / الكامل، ج١، ص٦٠ ؛ الطبري، ج١، ص١٧٠. / الكامل، ج٢، ص١٠ ؛ الطبري، ج٢، ص٢٤٦. / الكامل، ج٢، ص١٦ ؛ الطبري، ج٢، ص٢٥٢. / الكامل، ج٢، ص٤٠ ؛ الطبري، ج٢، ص٢٨٢./ الكامل، ج٣، ص٤٢٥ ؛ الطبري، ج٥، ص١٨١. / الكامل، ج٤، ص٣٤١ ؛ الطبري، ج٦، ص١٦٧.

ثالثا: مصادر ابن الأثير تبعاً للفترات التي تناولها في "الكامل":

١ــ الزمان وابتداء الخلق:

كثف ابن الأثير إشاراته إلى مصادره في هذا الموضوع، فنقل ما ورد في القرآن الكريم عن مسائل مثل: ما خُلق بعد القلم، [١] وتوزيع الخلق على الأيام الستة التي خلق الله فيها الكون، وأعطى رأيه في ذلك، [٢] وكذا خلْق آدم، والأسماء التي علمه الله إياها، وقصته مع إبليس، ثم هبوطه إلى الأرض، [٣] والنزاع بين قابيل وهابيل. [٤]

وشكل الحديث النبوي مصدراً أساسياً لهذا الموضوع، وهذا منتظر؛ لأن الأحاديث النبوية اشتملت على معلومات وتفاصيل أوسع مما ورد في القرآن، وجاء استخدامه لنصوص الحديث وأقوال الصحابة متداخلاً مع استخدامه لآيات القرآن ومفسِّراً لها، فاستعان بهما في موضوعات خلق القلم وما خُلق بعده، [٥] وخلق الليل والنهار، [٦] وأخبار إبليس والأحداث التي جرت في

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ١٧.

(٢) سورة مريم، الآية ٦٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٧ وما يليها.

(٤) سورة المائدة، الآيات ٢٧ ــ ٣٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٣ ــ ٤٤.

(٥) أبادي، شمس الحق العظيم، عون المعبود على سنن أبي داود، تحقيق رائد أبو علفة، دار بيت الأفكار الدولية، عمان، بلا ت، كتاب السنة، باب القدر، حديث رقم (٤٧٠٠) ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٦ ــ ١٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل ، ص٢٠ ــ ٢١.

ملكه، [١] وخلق آدم وذريته، [٢] والأسماء التي تعلمها، [٣] وإسكانه الجنة وإخراجه منها، والموضع الذي هبط فيه على الأرض، [٤] وكذا عدد الأنبياء والرسل، [٥] والخبر عن وفاة آدم وعمره، [٦] وذكَر حديثاً مهماً عن لغة آدم وشيث ونوح وإدريس وهي السريانية. [٧] واعتمد على أقوال ابن عباس في بعض الأخبار عن أبناء آدم. [٨]

ورصد ابن الأثير أقوال أهل الكتاب في تقدير ما مضى من السنين منذ خلق آدم حتى الهجرة، وشكك في بعضها بتعبير "زعم اليهود ..."، [٩] وأخذ منهم بعض أخبار "شيث بن آدم" وابنه "أنوش"، والأحداث التي تلت عهدهما. [١٠] ويتصل بذلك إشاراته إلى ما ورد في التوراة عن أعمار أحفاد آدم. [١١]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٤ ــ ٢٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦ هــ)، صحيح البخاري، ط٢، تحقيق مصطفى البنا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ١٩٩٣م، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، حديث رقم (٥٨٧٣) ؛ أبادي، عون المعبود، كتاب السنة، باب القدر، حديث رقم (٤٦٩٣)، (٤٧٠٣) ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٧ــ ٢٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٠ ــ ٣١.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢ ــ ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٥٠ ــ ٥٣.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٤٤ ، ٤٥، ٥٤ ــ ٥٥.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص١٤.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٥٤، ٥٧.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٥٥، ٦٠.

وأشار ابن الأثير إلى أقوال المجوس والفرس في موضوعات مثل: تقدير المـدة بـين ملـك "جيومرث" إلى وقت الهجرة، [١] والصلة بين آدم وجيومرث؛ إذ يعتبره أكثرهم آدمَ نفسَه، وبعضهم يعتبره "ابن آدم لصلبه من حواء". [٢] وأورد أقوال الفرس في أولاد جيومرث وأحفاده، وكذا فـي أقاليم الأرض السبعة، وأصل سكان إقليم بابل، [٣] وأقوالهم في بعض ملـوكهم، وأول مـن ملـك الأقاليم السبعة، وظهور الكتابة الفارسية، وديانة الصابئة. [٤] وشكك في أقوال الفرس بتعابير مثـل "يزعمون ..." [٥] و"زعم أكثر علماء الفرس ..." [٦] و"زعمت الفـرس ...". [٧]

وثمة إشارة واحدة إلى وهب بن منبه، وكانت في موضوع " جميع الزمان مـن أولـه إلـى آخره"، فنقل عنه قوله إن الزمان ستة آلاف سنة. [٨]

واستخدم روايات ابن إسحاق في موضوع " ابتداء الخلق وما كان أوله "، فذكر رواية عنه أن " أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة، فجعل الظلمة ليلاً اسود، وجعـل النـور نهـاراً أبـيض مضيئـاً. " لكنه شكك في صحة الرواية لأن ابن إسحاق لم يسند قوله إلى أحد. [٩] ونقـل عنـه رواية أخرى أن ابتداء الخلق كان يوم السبت، [١٠] كما نقل عنه رواية عن خلق حواء وزواجهـا من آدم، [١١] ورواية عن موت آدم وتكفينه ودفنه، [١٢] ورواية أخرى عن أحوال قابيل بعد قتله

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٤ـ ١٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٨.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٦١.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٥.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٦١.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص١٣.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص١٦.
(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص١٨.
(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢ ـ ٣٣.
(١٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥١.

أخاه وأحوال أولاده وأحفاده وانقطاع نسلهم، وأن أنساب الناس كلهم تعود إلى شيث بن آدم. [١] ثم رواية عن ولادة إدريس النبي. [٢] واعتماد ابن الأثير على ابن إسحاق أمر متوقَّع، فقد عـُرف من بين كتب ابن إسحاق كتاب "المبتدأ"، ولعله كتاب مستقل، أو هو متصل بكتاب "المبعث والمغازي" ويشكلان كتاباً واحداً. [٣]

وأورد ابن الأثير لهشام بن الكلبي ثلاثة أخبار؛ الأول في موضوع "أول من ملك الأرض"، وهو عند هشام بن محمد الكلبي " أوشهنق بن عابر بن شالخ بن أفرخشد بن سام بن نوح "، وذكر هشام أن الفرس تزعم أن أوشهنق كان بعد آدم بمائتي سنة، وهو يرى أنه كان بعد نوح بمائتي سنة، وأن الفرس لا يعرفون ما كان قبل نوح. إلا أن ابن الأثير رفض كلام ابن الكلبي الذي بدأه بتعبير "زعم"، لأن أوشهنق مشهور عند الفرس، وأن " كل قوم أعلم بأنسابهم وأيامهم من غيرهم ". [٤] والثاني قوله إن أوشهنق أول من بنى البناء واستخرج المعادن وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد، وأنه هو من بنى مدينة بابل في العراق، ومدينة السوس في خوزستان، وأن ملكه استمر أربعين سنة. [٥] والخبر الثالث قوله إن أول ملوك الأرض من بابل "طهمورث"، وإن ملكه استمر أربعين سنة، وإنه أول من كتب بالفارسية، وإن الصوم عُرف في عهده. [٦]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٦ ــ ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥٩.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ج١، ص١٦٢ ؛ انظر أيضاً: ملاحظات عبد العزيز الدوري حول هذا الموضوع في بحثه: دراسة في السيرة ومؤلفها ابن إسحاق، المقدّم إلى دورة مجمع اللغة العربية في بغداد، ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م، ص١٠ وما يليها.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٨ ــ ٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٥٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٦١ ؛ ويمكن تتبع أخبار هشام عن بدء الخليقة والفرس في مؤلفاته المعنية بهذين الموضوعين، وقد ذكرها ابن النديم، في الفهرست، ج١، ص١٦٩، ومنها: "كتاب حديث آدم وولده" و"كتاب عاد الأولى والآخرة" و"كتاب ملوك الطوائف" و"كتاب الأوائل" و"كتاب خبر الضحاك" و"كتاب الكهان" و"كتاب أخذ كسرى رهن العرب".

٢ ــ تاريخ الأنبياء وشعوبهم:

شكـّل القرآن الكريم المصدر الأساس لابن الأثير في هذا الموضوع، وهذا منتظر لغزارة المادة التي تناولت قصص الأنبياء في القرآن، وإن جاء بعضها مجملاً. وقد جرى رصد أكثر من ثمانين نصاً قرآنياً في "الكامل" عن تاريخ الأنبياء وعلاقتهم بشعوبهم، بدأها ابن الأثير بآيات استند إليها في الأحداث التي وقعت زمن نوح وصوّب بها أخبار السابقين عن ديانة قوم نوح، فذكر الآية التي تؤكد وثنيتهم، وتذكر أسماء آلهتهم "وَد وسُواع ويغوث ويعوق ونَسر"، [١] ثم ذكر الآيات عن صناعة الفـُلك، [٢] وقصة الطوفان. [٣]

وذكـَر الآيات التي تناولت قصتيْ عاد وثمود، وموقفهما من هود وصالح، وأخذ منها تفاصيل قليلة عن طبيعة خلق قوم عاد وصفة الريح التي أهلكتهم، [٤] ومعلومات عن النقاش بين ثمود ونبيهم صالح، وقصة الناقة التي عقروها، والصاعقة التي أهلكتهم. [٥]

وأشار إلى الآيات التي تحدثت عن تأملات إبراهيم في الكون، وقصته مع الأصنام، وحواره مع قومه بشأنها، وقصته مع النار. [٦] ثم خبر نزوله مكة وبنائه البيت الحرام، [٧] ثم قصة الذبيح إسماعيل. [٨] وأورد الآيات عن أعمال قوم لوط، وحوار لوط معهم، وقصة هلاكهم. [٩]

---

(١) سورة نوح، الآية ٢٣، ٢٤ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦٧.

(٢) سورة هود، الآية ٣٧، ٣٨، ٣٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦٩.

(٣) سورة القمر، الآية ١١، ١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٧١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٦٩، سورة هود، الآية ٦٢، سورة الأحقاف، الآية ٢٤، ٢٥، سورة الحاقة، الآية ٦، ٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٨٥ ــ ٨٩.

(٥) سورة هود، الآية، ٦٢، ٦٥، ٦٧، سورة الشعراء، الآية ١٥٥ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٨٩ ــ ٩٣.

(٦) سورة البقرة، الآية، ٢٥٨، سورة الأنعام، الآية، ٧٧، ٧٨، سورة الأنبياء، الآية ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٦٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٩٥ ــ ٩٩.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٢٧، سورة إبراهيم، الآية ٣٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٠٣، ١٠٦.

(٨) سورة الصافات، الآية ١٠٢، ١٠٤ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١١٢.

(٩) سورة هود الآيات ٧٠ ــ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨١، سورة الحجر، الآية٦٥، ٧٠، سورة العنكبوت الآية ٢٨، ٢٩، ٣٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١١٨ ــ ١٢١.

وتناول ابن الأثير قصة يوسف بالتفصيل، مستعيناً بما ورد في القرآن في إعطاء صورة عن أوضاع مصر السياسية والمعيشية في عصره. (١) ثم أورد الآيات التي تحدثت عن شعيب وقصته مع أهل مدين ونقاشه معهم حول عبادتهم وتصرفاتهم المالية، ثم كيفية هلاكهم. (٢)

واستند ابن الأثير أيضاً إلى ما ورد في القرآن من تفاصيل عن قصة موسى، وأكملها بمعلومات أخذها من الحديث النبوي وأقوال ابن عباس وآراء أهل الكتاب. فقدم معلومات عن سياسة فرعون في بني إسرائيل والأقباط بمصر قبل ظهور موسى، وتتبع حياة موسى: نشأته ونبوته، والمواجهة مع فرعون، ثم خروجه من مصر مع بني إسرائيل ونجاتهم، وهلاك فرعون، وقصة بني إسرائيل مع السامري. (٣)

ورجع إلى القرآن في حديثه عن تِيه بني إسرائيل، والمواجهة بينهم وبين القوم الجبارين في أريحا. فنقل عنه موقف بني إسرائيل من قتال الجبارين، وحوار موسى معهم. وأشار إلى طبيعة حياتهم ونوعية طعامهم في التيه. (٤) ونقل عنه أيضاً خبر ظهور طالوت، والنقاش الذي دار بين بني إسرائيل ونبيّهم حول أحقية طالوت بالملك، ثم إقرارهم بملكه وخروجهم معه لقتال جالوت كارهين. (٥) وفي حديثه عن سليمان أخذ ابن الأثير عن القرآن قصته مع ملكة سبأ. (٦)

وافتتح ابن الأثير حديثه عن النبي "شعيا" والملك "حزقيا"، ومسير الملك البابلي "سنحاريب"

---

(١) سورة يوسف، الآيات ٨، ٩، ١١ ــ ١٤، ١٥، ١٧ ــ ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٨ ــ ٣٢، ٣٦ ــ ٣٩، ٤١ ــ ٤٥، ٤٧ ــ ٥٥، ٦٤ ــ ٦٩، ٧٨ ــ ٨٥، ٩١ ــ ٩٨ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٣٧ وما يليها.

(٢) سورة هود، الآية، ٨٤، ٨٧، سورة الشعراء، الآية ١٨٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٥٧ ــ ١٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٠٦ ــ ١٠٧، ١١٥، ١٢٦، سورة الكهف، الآيات ٧٠ ــ ٨٢، سورة طــه، الآيات ١٢، ١٧ــ ١٨، ٢٧ ــ ٢٨، ٤٤، ٦١، ٦٩، ٧١، سورة الشعراء، الآيات ١٨ ــ ٢١، ٣٦ ــ ٣٧، ٤٤، ٤٧ ــ ٤٨، سورة النمل، الآية ١٠، ١٢، سورة القصص، الآيات ٤، ٧، ٩، ١١ ــ ١٣، ١٥ ــ ٣٥ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٦٠ ــ ١٦٣، ١٧١ وما يليها.

(٤) سورة البقرة، الآية ٦٠ ــ ٦١، سورة المائدة، الآيات ٢١ ــ ٢٦ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٩٥ ــ ١٩٧.

(٥) سورة البقرة، الآيات ٢٤٦ ــ ٢٤٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢١٨ ــ ٢١٩.

(٦) سورة النمل، الآيات ٢١، ٢٣، ٢٩ ــ ٣٣، ٣٥، ٣٨ ــ ٤٠، ٤٢، ٤٤ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٣٤ ــ ٢٣٧.

إلى بني إسرائيل، وحصاره بيت المقدس، ثم غزوة "بخت نصر" لهم وتخريبه بيتَ المقدس وسبيه بني إسرائيل إلى بابل؛ بالآيات (٤ ــ ٨) من سورة الإسراء، التي تتحدث عن إفساد بني إسرائيل مرتين وعلوّهم الكبير في الأرض ... الآيات. (١) وأكمل معلوماته عن هذا الموضوع بأخبار أهل الكتاب. (٢) وذكر الآيات مرة أخرى في حديثه عن ذبح القائد البابلي "نبوزاذان" لبني إسرائيل في بيت المقدس بعد قتلهم يحيى. (٣)

ورجع إلى آيات القرآن في حديثه عن "ذي القرنين"، وعن تدابيره في مواجهة "يأجوج ومأجوج"، ويرى ابن الأثير أنهم نوع من الترك، وأن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني ذاته. (٤)

وركَّز في حديثه عن مريم وزكريا ويحيى على ما ورد في القرآن، فأشار إلى ولادة مريم ويحيى وتسميته ونبوته. (٥) واعتمد على القرآن أيضاً في حديثه المفصّل عن حمل مريم وولادة عيسى ونبوته ومعجزاته، وموقف بني إسرائيل منهما. (٦) وكان اعتماده على القرآن أقل في حديثه عن أصحاب الكهف. (٧) وكذلك في حديثه عن "يونس بن متى". (٨) وعن الحواريين الثلاثة الذين أرسلهم عيسى إلى أنطاكية أيام الملك "أنطيخس". (٩)

وأفاد ابن الأثير في تاريخ الأنبياء من نصوص الحديث النبوي وأقوال الصحابة، وخصوصاً عبدالله بن عباس، وقد تداخل ذلك مع إفادته من القرآن الكريم، فاستخدم الحديث وأقوال الصحابة مكمِّلاً ومفسِّراً لما ورد في القرآن، فنقل عن ابن عباس خبر ولادة نوح وإرساله إلى قومه وعمره آنذاك، وصنعه الفُلك وعمره عندما صنعها، وعدد من كان في السفينة عند الطوفان، والوقت

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٥ ــ ٢٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٥.

(٤) سورة الكهف الآيات ٩٢ ــ ٩٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٨٦ ــ ٢٨٧.

(٥) سورة آل عمران، الآيات ٣٦، ٣٨ ــ ٤١ ؛ ابن الأثير، الكامل،، ج١، ص٢٩٨ ــ ٣٠١.

(٦) سورة المائدة، الآية ١١٢، ١١٤، سورة مريم، الآيات ١٧ ــ ٢١، ٢٣ ــ ٣١ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٠٨ ــ ٣١٢، ٣١٦.

(٧) سورة الكهف، الآية ٩، ١٩، ٢٥ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٢٨، ٣٥٥، ٣٥٧.

(٨) سورة الأنبياء، الآية ٨٧، سورة الصافات، الآية ١٤١، ١٤٣ ــ ١٤٧، سورة القلم، الآية ٤٨، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٦١ ــ ٣٦٣.

(٩) سورة يس، الآية ١٤، ١٨ ــ ٢٢، ٢٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٦٥ ــ ٣٦٦.

الذي استغرقه، ووصف أحوال السفينة بمن فيها، والزمن الذي مكثه نوح بعد الطوفان.[١]

ونقل ابن الأثير عن الحديث النبوي بأن ذرية نوح هم سام وحام ويافث، [٢] ونقل عن عبدالله ابن عمر أن الذي أشار على "النمرود" بحرق إبراهيم رجل من الأكراد، ويعتبرهم ابن عمر أعراب فارس، [٣] ونقل حديثاً يشير إلى أن جبرائيل هو الذي علّم إبراهيم كيف يؤدي مناسك الحج، وذلك بعد أن انتهى من عمارة المسجد الحرام. [٤] وذكر حديثين مختلفين عن قصة الذبح، أحدهما يشير إلى أن الذبيح هو إسحاق، والآخر أنه إسماعيل، لكنه يشكك بعبارة: " لو كان فيهما صحيح لم نعدهُ إلى غيره ". [٥] ثم نقل آراء الصحابة فيمن يكون الذبيح إسحاق أم إسماعيل، [٦] وكذا أقوال ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابنه الحسن في أوصاف الكبش الذي أنزله الله على إبراهيم فداءً لابنه. [٧] ونقل ابن الأثير عن ابن عباس روايتين فيهما توصيف لـِ "الكلمات" التي وردت في الآية: " وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمَّهُن ". [٨] ثم ذكر حديثاً مهماً يتناول الموضوعات التي وردت في "صحف إبراهيم". [٩]

وأخذ عن الحديث أخبار شعيب وحُسن مراجعته قومَه، وهم أهل مدين، فنقل عنه وصفاً لطبيعة بلادهم، وتصرفاتهم في بخسهم الناسَ في المكاييل والموازين "وإفساد أموالهم"، وكذلك مستوى معيشتهم. [١٠] وأخذ عن ابن عباس تفسير آية "عذاب يوم الظُّلة" الذي أهلكهم.[١١]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦٣، ٧٠، ٧٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٧٨ ؛ المباركفوري، محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار بيت الأفكار الدولية، عمان، بلا ت، كتاب المناقب، حديث كتاب تفسير القرآن، حديث رقم (٣٢٣٠) ؛

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٨ ؛ انظر أيضاً: الألباني، محمد ناصر، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ط١، ١٥ جزءاً، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٢م، ج١، حديث رقم (٣٣١، ٣٣٢).

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٠٩ ــ ١١١ ؛ انظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط٧، ٣ أجزاء، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢هـ ــ١٩٨١م، ج٣، ص١٨٦ــ ١٨٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١١٢ ــ ١١٣.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص١١٣ ــ ١١٤.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٤.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٧.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٨.

وأخذ ابن الأثير عن الحديث تفاصيل أكمل بها ما ورد في القرآن عن لقاء موسى بالخضر. [١] وأخذ عن القصص الذي روي عن ابن عباس معلومات عن انتشار بني إسرائيل في مصر قبل موسى، وخضوعهم للفراعنة، ثم ظهور فرعون موسى واسمه، وسياسته معهم، ورؤياه في زوال ملكه. [٢] ثم ذكر حديثاً وصَفَه بالصحيح دون أن يذكر سنده عن خبر موت موسى في التِيه. [٣] وأشار إلى تأكيد ابن عباس أن عدد أصحاب الكهف سبعة وثامنهم كلبهم. [٤] وأشار أيضاً إلى رأي ابن عباس في توقيت رسالة يونس. [٥]

وقدّم آراء أهل الكتاب في تاريخ الأنبياء وناقشها، فنقل عن اليهود إشارتين عن قصة الطوفان، [٦] وإشارة عن ذرية نوح بعد الطوفان، يبدو أنه نقلها عن هشام بن الكلبي. [٧] وإشارة أخرى إلى أن اليهود "يزعمون أنه لا ذِكر لعاد وهود وثمود وصالح في التوراة". [٨] وفي جميع إشاراته ذكرهم باسم "أهل التوراة"، وفي أكثرها بدا متشككاً لاستخدامه عبارة "زعم أهل التوراة".

ونقل عدة إشارات عن النصارى في موضوع ولادة المسيح وحياته ونبوته، منها أن ولادته جاءت بعد ثلاثمائة وثلاث وستين سنة من سيطرة الإسكندر على بابل، وأن ولادة يحيى جاءت قبل مولد المسيح بستة أشهر، وأن مريم حملت بعيسى وهي ابنة ثلاث عشرة سنة، وقد عاش عيسى اثنتين وثلاثين سنة وأياماً، وعاشت مريم بعده ست سنوات، وأن مدة حمل أم يحيى به تسعة أشهر، وأن يحيى قـُتل قبل أن يُرفع المسيح، وأن الرسالة نزلت على المسيح وعمره ثلاثون. [٩] وهنا أيضاً بدا متشككاً حين استخدم تعبير "زعموا".

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الأنبياء، باب "حديث الخضر مع موسى"، حديث رقم (٣٢٢٠)، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٦١ ــ ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٩ ــ ١٧٠.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب "من أحب الدفن في الأرض المقدسة"، حديث رقم (٤٣٦) ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٣.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٧٢، ٧٣.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٨١.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٩٣.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٧، ٣٠٩.

ونقل عن المجوس إشارتين لخّص بهما موقفهم من قصة الطوفان؛ الأولى توحي بأن أكثرهم لا يعرفون الطوفان وأنهم " يقولون لم يزل المُلك فينا من عهد جيومرث، وهو آدم ... ". والثانية أن بعضهم يقر به، وأنه حدث في إقليم بابل وحوله، وأن أولاد جيومرث سكنوا بالمشرق فلم يصل الطوفان إليهم. لكن ابن الأثير انتقد آراء المجوس معتمداً على ما ورد في القرآن من أن ذرية نوح "هم الباقون". (١) وفي حديثه عن "بيوراسب" أو "الضحّاك" كما يسميه العرب نقل عن المجوس حكايات وصفها بأنها "من أكاذيب الفرس الباردة". ولم يحدد ابن الأثير فيما إذا كان قد نقلها عن كتب للمجوس، أو هي حكايات دارجة على الألسن؛ منها أن "أفريدون بن أثغِيان" سلط على الضحاك قوماً من الجن فأسروه، أو أن سليمان بن داود حبسه في جبل "دُنباوَند" في الشام، فأخذ يجر حبسه إلى أن وصل خراسان، فأرسل سليمان إليه الجن فأوثقوه، وأن الضحّاك هذا لا يموت. (٢) ويتصل بذلك ما نقله عن الفرس من أن أفريدون قتل الضحاك يوم النيروز فاتخذوه عيداً، وذكر تفاصيل عن ملك الضحاك وسياسته. (٣) ثم ذكر آراء نسّابة الفرس في شخصية أفريدون، إذ يعتبره بعضهم نوحاً وبعضهم ذا القرنين، ونسبه بعضهم إلى "جمشيد الملك". ونقل ابن الأثير عنهم تفاصيل عن ألقاب آبائه، وعن أعمال أفريدون؛ إذ كان " أول من ذلّل الفيلة وامتطاها، ونتَج البغال، واتخذ الإوز والحمام، وعمل الترياق، ورد المظالم، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان ... ". (٤) وفي السياق ذاته نقل ابن الأثير إشارة واحدة عن مصادر يمنية دون تحديد، هي أن أهل اليمن يدّعون أن الضحاك منهم، وأنه أول الفراعنة، وأنه كان ملكَ مصر عندما ذهب إبراهيم إليها. (٥)

وفي خبر ولادة المسيح نقل عن المجوس أنه وُلد بعد خمس وستين سنة من سيطرة الإسكندر على أرض بابل. (٦) وفي أكثر الأخبار التي نقلها عن الفرس والمجوس تَشكك فاستخدم تعابير مثل "زعم بعض نسابة الفرس ..." و"بعض المجوس تزعم ... ".

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٧٦ ــ ٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٧٤.

وأخذ من قصص وهب بن منبه إشارة واحدة، كانت عـن إحـدى معجـزات المـسيح فـي طفولتـه. [(١)]

وأخذ عن ابن إسحاق عدة روايات، منها رواية مفصّلة عن بطش قوم نوح به، وتماديهم في الخطيئة، وصنعه الفـُلك والمواد التي استخدمها ومواصفات الفـُلك وأبعاده. [(٢)] وأخذ عنه رواية مطوّلة عن ذرية نوح وأسماء الشعوب التي خرجت منها، [(٣)] وإشارة إلى سعة ملك النمرود وذي القرنين وسليمان. [(٤)] وأخذ معلومات تفصيلية عن قصة الذبح، [(٥)] وعن حادثة القتل التي قام بهـا الملك البابلي "جودرس" في بني إسرائيل بعد ذبحهم يحيى، [(٦)] وإشارة إلى عدد أهل الكهف. فـابن إسحاق يرى أنهم ثمانية، وأنهم من الروم وكانوا يعبدون الأوثان قبل اهتدائهم إلى النصرانية. [(٧)]

وأخذ ابن الأثير ثلاث روايات في تاريخ الأنبياء عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وهي ذات طابع قصصي؛ الأولى أسندها إلى أبي صالح عن ابن عباس تذكـُر ولادة نـوح مـن أبيـه "لـَمـَك" وعمره حين أنجبه، ونبوة نوح وعمره حينها، ثم صنعه الفـُلك وعمره آنذاك، والمـدة التي مكثها بعد الطوفان. [(٨)] والثانية تتناول حكم الضحاك وسياسته في رعيته، واسم القرية التـي نزلها، وهي عند ابن الكلبي "بُرس" على طريق الكوفة، وأن إبـراهيم ظهـر فـي زمانـه، وأن الضحاك هو النمرود ذاته. [(٩)] وجاءت الرواية الثالثة في سياق حديث ابن الأثير عن ذرية نـوح، إذ تناولت نسب شعوب عدة كالسند والهند، وجرهم، وحضرموت، والبربر، والتـرك، والخـزر، والقبط. [(١٠)]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٨ ــ ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٧٨ ــ ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٩٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١١١.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٣ ــ ٣٠٥.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٥.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٦٣.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٧٤.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٨٠ ــ ٨١.

٣ ــ تاريخ الفرس والروم:

استفاد ابن الأثير في مادته عن تاريخ الفرس مما ورد عن المجوس وعن الفــرس أنفــسهم، فاعتمد آراءهم في نسبهم الذي يعود إلى أولاد "أفريدون بن أثغيان"، [(١)] ونقل عنهم تفاصــيل عــن ملوكهم، وانتقد بعضها لأنه أقرب إلى الحكاية، فعَــدّه "من أكاذيب الفرس البـــاردة"، [(٢)] ونقــل عن المجوس معلومات عن "زرادشت"، وقصة انتشار المجوسية، في خراســان وفارس. [(٣)]

واستفاد أيضاً من عناية هشام بن الكلبي بتاريخ الفرس، فنقل عنه عدة أخبار، بدأها بخبر عن ملوك الفرس "مِنوجــهر وطوج وسَلْــم" ومدة حكم كل مــنهم، وتــدابير مِنوجـــِهر العــسكرية والإدارية. [(٤)] وأخذ عنه أسماء الملوك الذين حكموا سواد العراق بعد الإسكندر؛ مــنهم "بلاقــس سلبقس" و"أنطيخس" الذي بنى أنطاكية، إذ حكموا سواد الكوفة أربعاً وخمسين سنة، ومدوا نفــوذهم إلى الأهواز وفارس. [(٥)] وكذلك أخذ عنه بعض أخبار ملوك الطوائف، كخبر حربهم الحاسمة مــع الروم في زمن ملك بابل "بلاش أبو أردوان" وانتصارهم عليهم، الأمر الذي دفع الروم إلــى بنــاء القسطنطينية. [(٦)]

وثمة مصادر لم يُفصح ابن الأثير عن أسمائها، لكنه أشار إليها بعبارات مثل: "وقــال غيــر هشام" في حديثه عن أخبار حرب منوجهر مع الترك، [(٧)] و"قال بعض العلماء بأخبار المتقــدمين" في حديثه عن سطوة الملك "كيكاووس"، [(٨)] و"قال غيره (أي هشام) من أهل العلــم بأخبار فارس" في حديثه المفصّل عن أسماء ملوك الطوائف من "الأشغانيين" الذين سيطروا علــى بلاد فـــارس بعد الإسكندر، ومدة حكم كل منهم والحوادث الهامة التي وقعت فـــي زمنهـــم. [(٩)] وعبــارة:

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٦٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٦ ــ ٢٤٧، ٤٠١.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٩.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٥.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٤.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٥.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٥.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٧.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٥ ــ ٢٩٧.

"من أهل العلم من يقول" في حديثه عن حكم "يزدجرد بن بهرام". [(١)] وهذا يشير إلى أنـــه اســـتفاد أحياناً من أكثر من مصدر للخبر الواحد.

واستعان بمصادر أخرى دون تحديد، لاستخدامه كلمة "قيل" التي تكررت كثيـــراً؛ كمـــا فـــي حديثه عن أصل زرادشت، وموضوعات الكتاب الذي صنفه، وجولاته بـــين أذربيجـــان وفـــارس والهند والصين والترك وفرغانة. [(٢)] وفي حديثه عن المدن التي بناها الملك الفارســـي "أردشـــير بهمن بن إسفنديار" في العراق، كمدينة "أياوان أردشير" فـــي الـــزاب الأعلـــى و"الأبُلـــــة" فـــي الجنـــوب. [(٣)] وكذلك في حديثه عن الموقعة الحاسمة بين الفرس والروم أيام الملـــك "ســـابور ذي الأكتاف" الذي أسر القيصر واستولى على أمواله ونسائه. [(٤)] ثم في حديثه عـــن جبـــروت الملـــك "هرمز بن أنو شروان". [(٥)]

أما في تاريخ الروم فلم يفصح عن مصادره، إلا أنه أشار إلى ثلاثة كتب هي: "جوامع كتـــاب أفلاطون في السياسة" لابن رشد، [(٦)] لكنه لم يحدد المادة التي أخذها عنه. [(٧)] و"الملـــل والنِحـــل" للشهرستاني الذي نقل إشارة واحدة منه، وهي أن "نسطورس" بطرَق القسطنطينية في زمن الملـــك "تودوس الصغير" ومؤسس المذهب النسطوري عاصَر الخليفة المأمون، لكن ابن الأثير انتقد قـــول الشهرستاني بعبارة: "ولا أعلم له في ذلك موافقاً"؛ [(٨)] على اعتبار أنه انفرد به. والكتاب الثالث هو

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٩٨ ــ ٤٠١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٨ ــ ٢٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٥ ــ ٣٩٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٩ ــ ٤٧٠ ؛ انظر أيضاً: ج١، ص٢٤٥، ٢٧٥، ٢٩٣، ٣٨٠، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤٩٢ ــ ٤٩٤، ٥٠٠. ولتكوين فكرة عن تاريخ الفرس قبل الإسلام انظر: كريستِنِسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، بلا ت.

(٦) يبدو أن هذا الكتاب هو ذاته المنشور باسم "الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون"، ترجمه عن العبرية أحمد شحلان، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٢٧.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٢ ؛ يقول الشهرستاني : إن النسطورية هم "أصحاب نسطور الحكيم، الذي ظهر زمن المأمون، وتصرَّف في الأناجيل بحكم رأيه ..."، الشهرستاني، أبو الفتح محمـــد بـــن عبـــد الكريـــم، (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، جزآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بلا ت، ج١، ص٢٢٤.

لحمزة الأصفهاني، إذ نقــل ابن الأثير عنه عدة إشارات في تعاقب ملوك الــروم، دون أن يحــدد اسم الكتاب، ولعله كتاب "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء". وقد انتــقد الأصــفهاني بعبــارة: "وقــد غلط حمــزة الأصفهاني فيه ..."؛ يقصد الملك البيزنطي "بَسيل الصقلبي" حين قــال لــدى حديثــه عــن الملك البيزنطي "ميخائيل بن توفيل" الذي قتله بَسيل: " ثم انتقل المُلك عن الــروم وصار في الصقلب فقتله بَسيل الصقلبي ظناً منه أن أباه كان صقلبياً. " [١] ولدى مقارنة هذا النص بما ذكره حمزة الأصفهاني اتضح أن ثمة تحريفاً في كلمة "فقتله" عند ابــن الأثيــر، فالأصــفهاني يقول: "ثم انتقل الملك عن أهل هذا البيت وصار في يد الصقلب، فقبله بسيل الصقلبي ...". [٢]

وثمة إشارة نقلها ابن الأثير عن كتاب "المجسطي" لبطليموس لتحديد الزمن الذي عــاش فيــه الملك "أنطنينس بيوس"، ولينفي مقولة إنه من ملوك اليونان. [٣]

وفي تاريخ الروم أيضاً استخدم ابن الأثير عبارات تشير إلى مصادر استعان بها ولم يفــصح عنها، مثل: "ذكــرَ غير واحد من علماء التاريخ" في بداية حديثه عن طبقة الصابئة التــي عــدّها الطبقة الأولى من طبقات ملوك الروم الثلاث. [٤] وثمة مصادر أشار إليها بتعابير مثل: "زعمــوا" في بداية حديثه عن أسماء ملوك الروم بعد رفع المسيح إلــى عهد محمد ﷺ، ومدة حكم كل منهم وبعض الحوادث في زمنهم، [٥] وتعبير "قيل" في حديثه عن نسبة أنطنيــنس بيــوس إلــى الملــك "قلوديوس" لذلك قيل له القلودي، [٦] وفي حديثه عن أسباب تنصر "قــسطنطين" المعــروف بأمــه "هيلاني". [٧]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٣٧ ؛ انظر للمقارنة: الأصفهاني، حمزة بن الحسن، (ت ٣٦٠ هــ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا ت، ص٦٢.

(٢) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ص٦٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٢٦ ــ ٣٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٢ ــ ٣٢٣.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٦.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٩ ــ ٣٣٠.

٤ ـــ العرب قبل الإسلام:

اعتمد ابن الأثير في تاريخ العرب قبل الإسلام على مصادر إسلامية، وركــز أساســاً علــى هشام بن الكلبي، ومحمد بن إسحاق، وأبي عبيدة معمر بن المثنى.

فاعتمد على هشام بن الكلبي كلياً فيما كتبه عن وصول قبائل العرب إلى العــراق ونــزولهم الحيرة، [١] ونقل عنه سيرة "جذيمة الأبرش" وقصتة مع "الزباء بنت عمرو" مفــصّلة. [٢] ونقــل عنه أيضاً تفاصيل عن ملوك الحيرة ومدة حكم كل منهم، وكذا أســماء الملــوك الفــرس الــذين عاصروهم، وأبرز الحوادث التي وقعت في عهدهم. [٣]

ثم أخذ عن هشام قصة المذبحة التي نفذها عامل كسرى علــى البحــرين "أزاد فيــروز بــن جشيش" في رجال من تميم، بسبب نهبهم أموالاً لكسرى مرت ببلادهم. [٤] واعتمد عليه فــي كــل التفاصيل التي أوردها عن وقعة ذي قار. [٥] وفي حديثه عن سيطرة الفرس على اليمن أخذ عنــه أسماء ولاة كسرى على اليمن، وأولهم "المروزان" الذي استطاع إخضاع حِمير وأخــَذ الخــراج منهم، وآخرهم "باذان". [٦] ومن أيام العرب أخذ عنه خبر "يوم الكــُلاب الأول". [٧]

وأخذ عن ابن إسحاق مادة عن موضوعات مهمة، كأخبار التبابعة في اليمن والحوادث التــي جرت في زمنهم؛ إذ تتبع قصة الملك اليمني "تــُبّان أسعد أبو كرب" المعروف باسم "تــُبّع الآخر" مع أهل يثرب وعزمه على غزو مدينتهم، ثم عدوله عن ذلك واعتناقه اليهودية، ثم خروجه إلــى مكة، وأعماله فيها؛ إذ " كسا الكعبة الوصائل والملاء، وكان أول من كساهــا وجعــل لهــا بابــاً

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٤٠ ـــ ٣٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٢ وما يليها.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٠، ٤٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٨ ـــ ٤٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٨٣ وما يليها.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٤٩٢.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٥٤٩ ـــ ٥٥٢.

ومفتاحاً "، ثم ذكر توجهه إلى اليمن ونشره اليهودية فيها. [١] وأن تبّع الآخر هو الذي احتل المشرق من ملوك اليمن، وسُمي بذلك لأنه آخر من سار إلى المشرق، لكن ابن الأثير انتقد ابن إسحاق لعدم دقته في تقدير مدة حكم كل واحد من التبابعة. [٢]

وأخذ عنه قصة قتل "عمرو بن تُبّان" أخاه الملك حسّان، ثم تدهور حكم الحميريين في اليمن. [٣] ونقل عنه أيضاً الظروف التي خرج فيها اللخميون من اليمن إلى الحيرة وتأسيسهم حكم المناذرة فيها. [٤] ثم أخذ عنه خبر سيطرة "ذي نواس" على حكم اليمن بعد قتله الملك "لَخْنِيعة تنوف ". [٥]

ونقل عن ابن إسحاق روايتين فقط عن أيام العرب قبل الإسلام، الأولى عن "يوم جَبَلة"، [٦] والثانية عن حرب الفِجار الأولى. [٧] وأخذ عن وهب بن منبه إشارة واحدة هي حكاية الراهب "فيميون" الذي أدخل النصرانية إلى نجران. [٨]

وأشار إلى رأي ابن شهاب الزهري في عدم مشاركة الرسول ﷺ في حرب الفِجار الثانية؛ فالزهري يرى أن الرسول ﷺ لم يكن مع قريش في هذه الحرب، وأنه "لو كان معهم لم ينهزموا "، لكن ابن الأثير رفض هذا الرأي لأن الرسول ﷺ " كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه ويُقتلون، وإذا كان في جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد. " [٩]

واعتمد على أبي عبيدة في أكثر مادته عن أيام العرب قبل الإسلام، لشهرة أبي عبيدة بعلمه بأيام العرب، فدراساته للأيام أصبحت أساساً للمؤرخين فيما بعد. [١٠] وأبو عبيدة من جيل مبكر (ت٢١١ هـ / ٨٢٦ م) وهو يعد مثلاً جيداً لاعتماد ابن الأثير على المصادر الأولى.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤١٦ ــ ٤١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٠ ــ ٤٢١.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٨ ــ ٤٢٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٥ ــ ٤٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٥٨٦.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٥٨٨ ــ ٥٨٩.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٦ ــ ٤٢٧.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٥٩٢ ــ ٥٩٣.

(١٠) الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٥.

اعتمد ابن الأثير عليه في تصويب بعض الأخطاء التي ناقشها في هذا الموضوع، كالخطأ في خبر غزو "زياد بن هبولة السليحي" "حجرَ بن عمرو الكندي" في "يوم البردان"، لأنهما ليسا في عصر واحد. وكذلك الخطأ في وصف زياد بأنه ملك الشام، فالأصح لدى ابن الأثير أنه تغلّب على مناطق في أطراف الشام. وأفاد من أبي عبيدة في تصحيح نسب الملك زياد بن هبولة، إذ عدّه من ملوك الغساسنة. (١)

ويتضح من تتبع الأيام التي تناولها ابن الأثير اهتمامه برصد الأيام التي اشترك فيها بنو شيبان، وهذا يعكس اهتمامه بتاريخ عشيرته. فنقل عن أبي عبيدة الأيام التي حدثت بين شيبان وتميم، وهي: "يوم نَعْف قُشاوة" و"يوم الغَبيط" و"يوم مبَائض" و"يوم الزُوَيْرَيْن" و"يوم جَدود". (٢) وأخذ عنه خبر اليوم الذي جرى بين طيء وبكر بن وائل، والذي انهزمت فيه طيء وأسر حاتم الطائي. (٣) وكذلك خبر "يوم مُسحُلان" بين بني كلب وبني أبي ربيعة من شيبان، (٤) والحرب بين بني سُلَيم وبني شيبان، (٥) و"يوم أقرُن" بين تميم وعبس، (٦) و"يوم السُّلان" بين بني عامر بن صعصعة والقبائل الحليفة للنعمان بن المنذر، (٧) و"يوم الرّقَم" بين عامر بن صعصعة وغطفان. (٨)

ونقل عن المفضّل الضبّي رواية واحدة كانت عن "يوم بارق" بين شيبان من جهة وتغلب وتميم من جهة أخرى. (٩)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥١٠ ــ ٥١١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥٩٦ وما يليها، ٦١٠ ــ ٦١١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٦ ــ ٦٠٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٨.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٦٣٨ ــ ٦٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٦٣٩ ــ ٦٤١.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٦٤٢ ــ ٦٤٣ ؛ انظر أيضاً: "يوم النباة"، ج١، ص٦٤٦ ــ ٦٤٧، و"يوم الفُرات"، ج١، ص٦٤٧ ــ ٦٤٨، و"يوم طِخفة"، ج١، ص ٦٤٩ ــ ٦٥٠، و"يوم النِّباح وثَيْتل"، ج١، ص٦٥٠ ــ ٦٥١، و"يوم فَلْج"، ج١، ص٦٥٢ ــ ٦٥٣، و"يوم الشَّيِّطيْن"، ج١، ص٦٥٤ ــ ٦٥٥.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٦٤٨.

واستعان ابن الأثير بمصادر لم يصرّح بها، لكنه أشار إليها بتعبير "قيل"، كما في حديثه عن غزو الحبشة لليمن، [١] وفي حديثه عن الحرب بين حُجر بن الحارث الكندي وبني أسد بن خزيمة، وأخبار ابنه امريء القيس. [٢] وكذا في حديثه عن حرب البسوس بين بكر وتغلب، [٣] وفي خبر "يوم أباغ" بين "المنذر بن ماء السماء" و"الحارث بن أبي شمِر جَبَلَة" الغساني، [٤] وخبر "يوم مرج حليمة" بين الغساسنة واللخميين أيضاً، [٥] وخبر "يوم داحس والغبراء" بين عبس وذبيان. [٦] واستخدم كلمة "قيل" في حديثه عن "يوم الفِجار الأول" ليشير إلى أقوال أخرى عن المشتركين في هذا اليوم تختلف عما ذهب إليه ابن إسحاق من أنه بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عَيْلان. [٧]

واستخدم ابن الأثير عبارة: "قال بعض العلماء" لمرة واحدة ليشير إلى رواية أخرى عن "يوم مرج حليمة" غير التي اعتمدها. [٨]

٥ ــ السيرة النبوية:

استفاد ابن الأثير من كتب الحديث لكن دون أن يحدد أسماء الكتب التي أخذ عنها، وركّز بصورة خاصة على أقوال الصحابة، فكانت إشاراته إليها الأكثر من بين مصادره عن السيرة، ونقل معظمها دون إسناد.

واعتمد على الحديث النبوي في موضوعين، الأول: دلائل نبوة محمد ﷺ، [٩] والثاني: حادثة الإسراء والمعراج، فنقل حديثاً مفصَّلاً من عدة روايات عن مجموعة من الصحابة،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٣١ ــ ٤٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥١٤ ــ ٥١٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٥٣٤ ــ ٥٣٥، ٥٣٨ ــ ٥٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٥٤٠ ــ ٥٤١.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٥٤٦ ــ ٥٤٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٥٦٧ وما يليها.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٥٨٩.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٥٤٤ ــ ٥٤٦.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨.

ووصف أسانيدها بأنها صحيحة. [١]

واعتمد على ما ورد في كتب الحديث والتاريخ والمغازي من آراء للصحابة في السيرة، ففي خبر ولادة الرسول ﷺ ذكَر رواية عن عثمان بن أبي العاص تتحدث عن شهادة أمه في هذه الواقعة. [٢] ونقل عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رواية عن حادثة الرضاعة، والحوادث التي جرت مع الرسول في مضارب بني سعد، [٣] وأكملها بتفاصيل أكثر من رواية لشداد بن أوس. [٤] و نقل ابن الأثير رواتين مسنَدتين إلى ابن عباس في حديثه عن عمْر الرسول عندما بُعث وتحديد اليوم الذي نزل فيه الوحي. [٥] ورواية عن جبير بن مطعم تشير إلى أحد دلائل نبوته. [٦] واعتمد على روايتين عن عائشة وعن أبي سلمة في بعض التفاصيل عن ابتداء الوحي. [٧] ونقل عدة روايات عن ابن عباس وجابر بن عبدالله وزيد بن أرقم والعباس بن عبد المطلب وعمرو بن عنبسة وأبي ذر الغفاري في حديثه عن أول من أسلم وأول من صلى. [٨] ونقل عن ابن عباس أيضاً رواية عن إظهار الدعوة، [٩] أكملها بحديث مطوّل لعلي بن أبي طالب تناول الحادثة بالتفصيل. [١٠] وفي حديثه عن الهجرة اعتمد على روايتين لعائشة وأسماء. [١١] ونقل رواية حذيفة بن اليمان عن قصته مع

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥١ ــ ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٠ ــ ٤٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٢ ــ ٤٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧.

(٧) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم (٣) ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٨ ــ ٥٠.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٧، ٥٩.

(٩) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب "وأنذر عشيرتك الأقربين"، حديث رقم (٤٤٩٢) ؛ ابن الأثير، الكامل ، ج٢، ص٦٠ ــ ٦١.

(١٠) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٦٢ ــ ٦٦.

(١١) البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٥) ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٠٣ ــ ١٠٧ ؛ العلي، إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، ط١، دار النفائس، عمان، ١٩٩٥م، ص٩٢.

قريش في غزوة الخندق. [١] واعتمد رواية سلمة بن الأكوع عن غـزوة "ذي قـرَد"، وخـالف الطبري في توقيت هذه الغزوة. [٢] وفي حديثه عن حادثـة الإفـك اعتمـد روايـة عائـشة لـه بالتفصيل.[٣] ونقل رواية علي بن أبي طالب عن صفات الرسول ﷺ الجسمية، [٤] ورواية أنس بن مالك عن بعض صفاته الخـُلقية. [٥] وفي حديثه عن مرض الرسول ﷺ ووفاته أشار إلى روايات كل من مولاه أبي مويهة وعائشة والفضل بن العباس وعبدالله بن مسعود وعبـدالله بـن عبـاس وأسامة بن زيد. [٦]

ويُلاحـَظ أن إشارات ابن الأثير إلى عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري فـي موضـوع السيرة قليلة، إذ نقل عنهما رواية بإسناد جمعي تشير إلى أن أول من أسلم من الصحابة زيد بـن حارثة. [٧] ونقل عن الزهري رواية عن موت عبد الله بن عبد المطلب ودفنـه فـي المدينـة. [٨] ورواية أخرى عن ابتداء الوحي وبدايات الدعوة السرية. [٩]

وأشار ابن الأثير إلى ابن إسحاق في عدة موضوعات في السيرة، فاستعان بـه فـي تحديـد يـوم ولادة الرسول ﷺ والدار التي ولد فيها. [١٠]ونقل عنه عدة روايات عن رؤى آمنه أثنـاء حملها، وتحديد وقت وفاة أبيه عبد الله، ووفاة أمه، ومكان وفاتها، ووفاة جـده، وعمْر محمـد ﷺ

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩ ــ ١٩١.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله "لو لا إذ سمعتموه ..."، حديث رقم، (٤٤٧٣) ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٩٥ ــ ١٩٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٠٥ ؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، كتاب المناقب، حديث رقم (٣٦٣٧).

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٠٦ ؛ النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، (ت٦٧٦ هـ)، شرح صحيح مسلم، دار بيت الأفكار، الدولية، عمان، بلات، كتاب الفضائل، باب "كان أجود الناس"، حديث رقم (٢٣٠٧).

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٨ ــ ٣٢٥.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٩.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٨ ؛ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، (ت ٢١٣ هـ)، السيرة النبوية، ٤ أجزاء، عناية طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م، ج١، ص١٤٦.

أثناء ذلك. [١] واعتمد عليه كلياً في خبر حلف الفضول. [٢] وأخذ عنه خبرين عن أول من أسلم، وأسماء الصحابة الذين شكلوا نواة الجماعة الإسلامية الأولـــى. [٣] وأفاد منه في حديثه عن بعض غزوات الرسول ﷺ، [٤] وفي حديثه المطوّل عن صلح الحديبية والحوادث التي جرت بعده. [٥]

ونقل عن هشام بن الكلبي خبراً يفيد بأن عبد الله والد الرسول ﷺ، تـــوفي وعمْـــر الرســـول ثمانية وعشرون يوماً. [٦] وفي حديثه عن نسب الرسول أخذ عن ابن الكلبي معلومات عن هاشـــم ابن عبد مناف وإخوته وسيادتهم قريشاً وصلاتهم بملوك الدول المحيطة بالجزيرة. [٧] ونقل عنـــه تفاصيل نادرة عن نزول الوحي وتوقيت بدء الرسالة. [٨] وأخذ عنه رواية عن أول من أسلم، وهو عنده علي، وكان عمْره تسع سنين. [٩] وفي حديثه عن أزواج الرسول وسراريه ومواليه نقل ابـــن الأثير مادته بالتفصيل عن ابن الكلبـــي. [١٠]

وأول إشارة أخذها ابن الأثير عن الواقدي في السيرة تناولت ظروف وفـــاة عبـــد الله بـــــن عبـــد المطلب ومكان دفنه، [١١] ونقل عنه خبراً وصفـَــه بالصحيح أن الذي زوّج خديجـــة مـــن

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٥٨ ــ ٤٥٩، ٤٦٦ ــ ٤٦٧ ؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٤٥ ــ ١٤٦، ١٥٥ ــ ١٦٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤١ ــ ٤٢ ؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٢٢ ــ ١٢٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٨، ٥٩ ؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢٢٨ ــ ٢٣٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١١١ ــ ١١٢، ١٣٩ ــ ١٤١ ؛ ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٧٠ وما يليها.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٠٣ وما يليها ؛ ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٠٢ وما يليها. وعن أهمية ابن إسحاق كمصدر أساسي للسيرة والمواد التي استفاد منها، انظر: الدوري، دراسة في سيرة النبـــي ﷺ، ص١٤ وما يليها ؛ و

Watt, W, Montgomery, The materials used by Ibn Ishaq, Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London,1964, P 23-34.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٨.

(١٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٧ وما يليها.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٦.

الرسول عمّها "عمرو بن أسد"، لأن أباها توفي قبل حرب الفِجار، [١] وخبراً عن إسلام خديجة، [٢] وخبراً آخر عن ترتيب إسلام كل من أبي ذر وعمرو بن عَبَسة السُلَمي. [٣] وأشار إلى رأي الواقدي في تحديد السنة التي انطلقت فيها السرايا الأولى. [٤] واعتمد عليه في تحديد السنة التي توفيت فيها زينب بنت الرسول ﷺ، وهي الثامنة. [٥]

واعتمد على أبي عبيدة في شرح ألفاظ حديث علي بن أبي طالب عن صفات الرسول. [٦]

واستخدم ابن الأثير في موضوع السيرة أيضاً تعابير مثل "قيل" و"يقال" و"في قول بعض أهل السيَر" ليشير إلى مصادر لم يصرح بها. [٧]

ومجمل القول إن ابن الأثير حرص على الرجوع إلى المصادر الأولى في السيرة كابن إسحاق والواقدي، ليعطي معلوماته عنها قيمة تاريخية.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١١١.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٥.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٨، ٤٦٧، ج٢، ص٣٨، ٤٠، ٤٤، ٥١، ٥٩، ٨٢، ٨٩، ١١٣، ١٤١، ١٤٨، ١٥٦، ١٧٥، ٢٠٠، ٢٣٩، ٢٧٤، ٣٠٤ ؛

وعن مصادر دراسة السيرة وأشهر مؤرخيها انظر: العدوي، إبراهيم أحمد (١٩٦٧م)، مشاهير مؤرخي سيرة الرسول ﷺ، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مج ١٣، ص١٧١ ــ ١٨٣ ؛ والعمري، أكرم ضياء (١٩٧٠م)، نظرة في مصادر دراسة السيرة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، دار النذير، بغداد، بلا ر ع، ص٤٧٣ ــ ٤٨٩.

٦ـ تاريخ صدر الإسلام:

أفاد ابن الأثير في فترة الخلفاء الراشدين من آراء الصحابة، لكن دون أن يحدد مصادر مكتوبة، فبدأ برواية لابن عباس نقل فيها حديث عمر عن السقيفة، [(١)] ورواية لأبي عمرة الأنصاري فيها تفصيل أكثر عن الموضوع ذاته. [(٢)] ونقل شهادة عبد الله بن الزبير عن وضع أبي سفيان ورجال من قريش ممن أسلموا بعد الفتح في وقعة اليرموك. [(٣)] ورواية لأبي هريرة فيها وصف لحال الناس في عام الرمادة. [(٤)] وعدة روايات للحسن بن علي وأبيه وأبي عثمان النهدي وأسلم مولى عمر وعبدالله بن عباس عن بعض صفات عمر وتدابيره. [(٥)] واعتمد رواية المسور ابن مخرمة في حديثه عن مقتل عمر. [(٦)] ورواية عمر بن ميمون الأودي في حديثه المفصّل عن قصة الشورى. [(٧)] ونقل عن جبير بن نـُفير رواية عن فتح قبرس سنة (٢٨هـ / ٦٤٩ م). [(٨)]

واعتمد على الزهري في تحديد زمن بيعة علي وبني هاشم والزبير لأبي بكر، إذ بقوا ستة أشهر دون أن يبايعوا، حتى ماتت فاطمة فبايعوا. [(٩)]

وأخذ ثلاث روايات عن ابن إسحاق، الأولى تشير إلى أن فتح اليمامة واليمن وبعث المقاتلة إلى الشام كان سنة اثنتي عشرة. [(١٠)] والثانية تناولت بعض التفاصيل عن وقعة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٢٦ ـ ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٨ ـ ٣٣١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤١٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٧ وما يليها.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٩ ـ ٥٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٥ وما يليها.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٩٦ ـ ٩٧.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣١.

(١٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٢.

أجناديــن.[١] والثالثة تشير إلى أن فتح الجزيرة تم سنة تسع عشرة، وأن الذي أرســل الجيــوش لفتحها سعد بن أبي وقاص، لذا عــدّه ابن الأثير من فتوح أهل العراق. [٢]

وأخذ ابن الأثير عن الواقدي رواية واحدة لتحديد سنة فتح الرُها وحرّان والرقة، وهــي ســنة ثماني عشرة، وفي السنة ذاتها فتحت عين الــوردة. [٣] وأخذ رواية عن موسى بن عقبة في عدل عمــر. [٤]

وفي الفترة الأموية لم يصرّح ابن الأثير إلا بمصدرين هما: الواقدي وهشام بن الكلبي، فأشار إلى الواقدي في خبر عن غزوة لبُسر بن أرطأة في بلاد الروم، [٥] وشكك بهذا الخبر حين استخدم تعبير "زعم". وأخذ عنه رواية عن مدة ولاية عقبة بن نافع على إفريقيــا، وتأسيــسه القيــروان، ونزاعه مع أبي المهاجر دينار. [٦] وأخذ عنه أيضاً خبر حروب حسان بن النعمان مع الكاهنة في إفريقيا سنة (٧٤ هــ / ٦٩٣ م). [٧]

ونقل عن ابن الكلبي إشارة ثانوية بعد حديثه عن ثورة "المُستوْرد بن عُلــّفة" الخارجــي ومقتله سنة (٤٣ هــ / ٦٦٣ م) وكانت عن نسبه. [٨]

وصرّح ابن الأثير بأنه اعتمد في حديثه عن فتح الأندلس على مؤرخين من الأندلس، لكنــه لــم يفصح عنهم، بل قال إنه سيذكر خبر فتحها على وجه أتم مما قدمــه الطبــري، مــستعيناً بـــ "تصانيف أهلها إذ هم أعلم ببلادهم"، [٩] وبدأ الخبر بكلمة "قالوا .." في إشارة إلــى أنــه أفــاد مــن مصادر متعددة.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤١٧ ــ ٤١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٦٦ ــ ٤٧٦.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣٦.

(٩) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٥٦ ؛ انظر موضوع فتح الأندلس في "الكامل"، ج٤، ص٥٥٦ وما يليها.

وأما مصادره التي لم يصرّح بها في تاريخ صدر الإسلام فقد أشار إليها بتعبير "قيل" الذي استخدمه بكثافة، خصوصاً في حديثه عن الفتوحات، واستخدم تعابير أخرى بدرجة أقل، مثل: "يقال" و"قال بعضهم" و"في قول بعضهم" و"على قول من يقول" و"روى جماعة" و"في قول أهل السيَر" و"قال بعض العلماء" و"حُكي عن ..". (١)

واستفاد من مشاهداته ليوثق معلوماته الجغرافية؛ ففي حديثه عن أحد حصون طرابلس التي هرب منها الروم عند الفتح، وأسكن معاوية جماعة من اليهود فيه قال: "وهو الذي فيه المينا اليوم". (٢)

---

(١) يمكن تتبع هذه التعابير في المادة المتعلقة بفترة الخلفاء الراشدين في الصفحات الآتية من كتاب الكامل: ج٢، ص٣٢٥، ٣٤١، ٣٨٢، ٣٩٢، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٩٩ ــ ٥٠٢، ٥١١، ٥٢٧، ٥٣٤ ــ ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٤٦، ٥٥٢ ــ ٥٥٤، ٥٦٣، ج٣، ص٥، ١٧، ٢٠ ــ ٢٥، ٣٩، ٤٥، ٩٥، ١٠٧، ١١٩ ــ ١٢٢، ١٣١، ١٤٢، ١٤٧، ١٦١، ١٦٨، ١٧٨ ــ ١٨٣، ١٩٧، ٢١٦، ٢٧٤ ــ ٢٧٥، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٨٦، ٣٩٦.

ويمكن تتبع هذه التعابير في المادة المتعلقة بالفترة الأموية في الصفحات الآتية: ج٣، ص٤٠٦، ٤١٩، ٤٣٧ ــ ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٥١، ٤٦٠، ٤٧٨، ٥٠٣، ج٤، ص٧، ٩، ١٤، ٢٢، ٣٦، ٤٠، ٧٦، ٨٧، ٩٥، ١١٢، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٥، ١٤٦، ١٥٨، ٢٠٠، ٢٢٤، ٢٦٤، ٢٩٦، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٨ ــ ٣٢٩، ٣٤٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٢٨، ٤٣٢ ــ ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٦٧، ٤٨٦، ٥٠٤، ٥١٤ ــ ٥١٥، ٥٢٤، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٤٤، ٥٥٤، ٥٦٧، ٥٧٤، ٥٧٩، ٥٨٥، ج٥، ص١٢، ٣٢، ٥٠، ٦٠، ٦٥، ٧١، ٩٢، ١٠١، ١٠٧، ١٢٠، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣، ١٨٥، ٢٠٩، ٢١٩ ــ ٢٢١، ٢٢٩، ٢٤٧، ٢٥٨، ٢٧٣، ٣٤٦، ٣٦١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣١.

٧ـ التاريخ العباسي:

تنوعت مصادر ابن الأثير في التاريخ العباسي، وقد انعكس ذلك في مادته، وبقي الطبري مصدره الأساس حتى نهاية القرن الثالث، وهو يعد الحلقة الأولى من مصادر ابن الأثير التي شكلت سلسلة متصلة الحلقات حتى عصره. (١)

وفي سياق اهتمامه بالتخصص في اختيار مصادره جاء اعتماده في التاريخ العباسي على مؤرخين كمسكويه الذي تمتع بمؤهلات كبيرة لتأليف التاريخ، كما تميز بقدرته على الحصول على المعلومات من مصادرها الأصلية بحكم علاقته الشخصية برجال الإدارة والحرب في الدولة البويهية. (٢) أشار ابن الأثير إلى مسكويه وإلى مؤلَّفه "تجارب الأمم" في أول إشارة إلى مصادره بعد الطبري، والإشارة تذكر أن مسكويه يرى أن الخليفة المستعين أخو المتوكل لأبيه، (٣) إلا أن ابن الأثير خالف ذلك، فهو يرى أن المستعين هو ولد أخي المتوكل محمد بن المعتصم. (٤) ولكن لدى مطالعة ما كتبه مسكويه عن المستعين تبين أن نسب المستعين عنده لا يختلف عمّا ذهب ابن الأثير إليه، إذ أشار إلى أن المستعين هو أحمد بن محمد بن المعتصم؛ (٥) ولعل ذلك يعود إلى أخطاء النساخ، إلا أنه يؤشر إلى نظرة ابن الأثير إلى مادة مسكويه في الحوادث التي لم يعاصرها وإلى نقده لمصادره بالرغم من عناية مسكويه بتاريخ الخلفاء العباسيين. وكلما اقتربنا من عصر مسكويه تأكدت قيمته كمصدر مهم لابن الأثير في التاريخ العباسي، فعندما نقل عنه خبر وفاة محمد بن جرير الطبري واتهام العامة له بالرفض والإلحاد، نقله دون تردد، (٦) الأمر الذي يعني قيمة تاريخ مسكويه بالنسبة لابن الأثير في

---

(١) طليمات، ابن الأثير الجزري، ص١١٣ ــ ١١٦.

(٢) مرغليوث، د. س، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، دار الثقافة، بيروت، بلا ت، ص١٤٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١١٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص١١٨ ؛ وعند الطبري أيضاً أن المستعين هو أحمد بن محمد بن المعتصم، ج٩، ص٢٥٦.

(٥) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت ٤٢١ هـ)، تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط١، ٨ أجزاء، دار سروش، طهران، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٩٧م، ج٤، ص٣٢١ وما يليها.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٣٤ ؛ انظر الخبر عند مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص١٤٢.

مثـل هـذا الخبر زمنيـاً ومكانياً؛ فالطبري توفـي فـي بغـداد سنـة (٣١٠هـ / ٩٢٢ م)، ومسكويـه أقـام في بغداد في فترة لاحقـة، ولا بد أن مسكويه عاصر تلاميـذ الطبـري أو أن شيوخ مسكويه شهدوا هذه الحادثة، فكان بذلك موثوقا في خبره.

و أشار ابن الأثير في حديثه عن نسب البويهيين إلى خبر لمسكويه بأن البـويهيين يزعمـون أنهم من ولد يزدجُرد بن شهريار آخر الملوك الساسانيين. [١] لكن ابن الأثير يرجِّح ما نقله "ابـن ماكولا" عن نسبهم المتصل بالفرس لأنه أكثر ارتباطا بهذا الموضوع، ويصفه بأنه " الإمام العـالم بهذه الأمور ". [٢] وهذا لا يعني تراجع قيمة تاريخ مسكويه لدى ابن الأثير بقدر ما يعني حـرص ابن الأثير على استيفاء المصادر المتخصصة في موضوعه، فابن ماكولا متخصص بالنسب، كما

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٦٥ ؛ انظر للمقارنة: ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبـة الله، (ت ٤٨٧ هـ تقريباً)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٢م، ج١، ص٣٧٢، مع الأخذ بعين الاعتبار نزعة ابن الأثير إلى التصرف فيما ينقله عن غيره.

أما ابن ماكولا، فهو الأمير أبو نصر سعد الملك، من علماء القرن الخامس الهجري، ولد ببلدة عُكبرا قرب بغداد لأسرة فارسية رفيعة حوالي سنة (٤٢١ هـ)، نشأ أميراً في أسرة لعبت دوراً في السياسة زمن البويهيين، فأبوه وأعمامه وأخواه تولوا الوزارة في بغداد، وتحملوا تبعاتها المأساوية، فأكثرهم مات قتيلاً أو مسجوناً، كعمه الحسن وزير جلال الدولة البويهي الذي قتل سنة (٤٢١ هـ)، وأبيه هبة الله توفي بالسجن سنة (٤٣١ هـ)، تلقى أبو نصر تعليمه في بيت أهله على يد مؤدب، ثم انتقل إلى بغداد وتابع تعليمه فيها بعد أن أصبح والده وزيراً للخليفة القائـم (٤٢٢ ــ ٤٦٧ هـ)، تجنب أبو نصر الاشتغال بالسياسة سوى بعض السفارات التي قام بها للخلفاء في البلدان البعيدة، وآثر الاشتغال بالعلم، فتميز بالنحو والحديث، وزار من أجل ذلك كلاً من مصر والشام وخراسان وبلاد ما وراء النهر، ومات مقتولاً على يد مماليكه من الأتراك، ونهبوا ماله. من مؤلفاته: كتاب "الإكمال" وهو كتاب تراجم، وكتاب "تهذيب مستمر الأوهام ..." وكتاب "الوزراء" وكتاب "مفاخرة القلم والسيف والدينار". انظر ترجمته في ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٢٦، ج١٧، ص٨ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤ م، ص٥٦٩ وما يليها ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٠٩ ــ ١١٠ ؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٧٦ــ ١٧٨.

أن أسرته مقربة من البويهيين، وبمقدورها الاطـّلاع على وثائق لم يتسنَّ لغيرها الاطلاع عليها.

واستعان ابن الأثير بما كتبه الوزير أبو شجاع الروذراوري في مؤلـَّفه "ذيل كتاب تجارب الأمم" (١) عندما تناول الفترة بين (٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م و٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م)، وصرّح بذلك حين ختم مادته التي أخذها عنه بعبارة: "إلى هاهنا آخر ما في ذيل الوزير أبي شجاع". (٢) لقد أخذ عنه تفاصيل عن أوضاع الدولة البويهية، وركز بصورة خاصة على مشاكل البيت البويهي التي استغرقت معظم مادة كتاب الوزير أبي شجاع.

وللمقارنة يمكن تتبع الأمثلة الآتية في الكتابين: خبر وفاة عضد الدولة البويهي سنة (٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م) وملاحظات علماء عصره على سياسته. (٣) وخبر حضور فخر الدولة البويهي إلى جرجان واستقراره في دار الإمارة بعد وفاة مؤيد الدولة سنة (٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م). (٤) وخبر مسير شرف الدولة من الأهواز إلى واسط واستيلائه عليها، واعتقاله أخاه صمصام الدولة ضمن حوادث سنة (٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م). (٥) وخبر الحرب بين القائد بدر حسنويه وعسكر شرف الدولة سنة (٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م). (٦) وخبر اعتقال شرف

---

(١) هو ظهير الدين أبو شجاع محمد بن الحسين الرُوذراوَري، ولد في الأهواز سنة (٤٣٧ هـ)، فقيه وأديب وسياسي، تولى الوزارة للخليفة المقتدي بين سنتي (٤٧٦ و ٤٨٤ هـ)، وتوفي في المدينة المنورة سنة (٤٨٨ هـ)، وكان ذا سمعة طيبة في إدارة وزارته، وأسقط بعض الضرائب، فعمرت العراق في عهده وانتشر الأمن وعمّ الرخص وكان سياسته حكيمة. انظر ترجمته عند ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٢ ــ ٢٧ ؛ وابن خلكان، وفيات، ج٥، ص١٣٤ ــ ١٣٧ ؛ والصفدي، الوافي بالوفيات، ط١، ٢٩ جزءاً، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ ــ ٢٠٠٠م، ج٣، ص٥ ــ ٦ ؛ والزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٠٠ ــ ١٠١ ؛ ومصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ٥ أجزاء، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ج٢، ص١٠٦ ــ ١٠٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٥١.

(٣) أبوشجاع، ظهير الدين محمد بن الحسين، (ت ٤٨٨ هـ)، ذيل كتاب تجارب الأمم، اعتناء هـ . ف . أمدروز، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا ت، ص٣٩، ٧٥ ــ ٧٨. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٨ ــ ٢٢.

(٤) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص ٩٤ ــ ٩٥. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢٦ ــ ٢٧.

(٥) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص١٢٨ ــ ١٣٢. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨ ــ ٤٩.

(٦) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص ١٣٩ ــ ١٤٠. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٢ ــ ٥٣.

الدولة شكرَ الخـادم سنـة (٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) لدَوره في إبعاد شرف الدولة عن بغـداد إلـى كرمان، ووقوفه إلى جانب أخيه صمصام الدولة. [١] وخبر قتل القائد الكردي باذ حاكم ديار بكـر سنة (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) على يد بني ناصر الدولة الحمداني. [٢] وخبر خروج أولاد بختيار بـن معز الدولة من حبسهم في قلعة خرشنة بفارس واستيلائهم عليها، ثم أسرهم وقتل إثنين منهم مـن قِـبل أستاذ هرمز قائد عسكـر صمصـام الدولـة، سنـة (٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م). [٣]

ثم أكمل ابن الأثير جزءاً من معلوماته عن الموضوع ذاته مستعينـاً بتاريـخ هـلال بـن المحسّـن الصابـي، وهو "ذيل تاريخ ثابت بن سنان" الذي احتوى على حوادث السنوات الخمـس التالية (٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م ـ ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م). [٤]

وللمقارنة أيضاً يمكن تتبع الأمثلة الآتية في كل من تاريخ الصابي وكتاب "الكامل": خبر قتـل ابن بختيار بكرْمان واستيلاء بهاء الدولة عليها سـنة (٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م). [٥] وخبـر قتـل المقلـّد بين المسيّب العـقيلي وولاية ابنه قرواش سـنة (٣٩١ هـ / ١٠٠١ م). [٦] وخبـر وفـاة أبـي القاسـم عيسـى بـن علـي الجـراح فـي السنـة نفسهـا. [٧] ثم خبر الحـرب بيـن قـرواش وعسكـر بهاء الدولة سنة (٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م). [٨] وخبـر الفتنـة المذهبيـة ببغـداد سنـة (٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) وقمْـع عميـد الجيـوش بـن أستـاذ هرمـز مثيـري

---

(١) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص١٤٥ ـ ١٤٧. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٧.

(٢) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص١٧٦ ـ ١٧٨. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٧٠ ـ ٧١.

(٣) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٩٦.

(٤) انظر القطعة المنشورة من الكتاب والتي اعتنى بتصحيحها هـ . ف . أمدروز وبعده د . س .مرغليوث، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا ت.

(٥) هلال الصابي، تاريخ، ص١٤ وما يليها. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ١٦٠ ـ ١٦١.

(٦) هلال الصابي، تاريخ، ص٥٤ ـ ٥٦. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٦٤ ـ ١٦٥.

(٧) هلال الصابي، تاريخ، ص٦١ ـ ٦٢. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٦٨.

(٨) هلال الصابي، تاريخ، ص٨١ ـ ٨٢. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧٠ ـ ١٧١.

الفتنة ومنعه مظاهر احتفالات الطرفين. (١)

واعتمد ابن الأثير على تاريخ ثابت بن سنان في حديثه عن الفترة من خلافة المقتدر بالله سنة (٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) إلى نهاية حوادث سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م)، وصرح بذلك حين ختم حوادث السنة بعبارة: " وإلى آخر هذه السنة انتهى تاريخ ثابت بن سنان ... وأوله من خلافة المقتدر بالله سنة خمس وتسعين ومائتين. " (٢)

واستخدم ابن الأثير الذيول والتكملات التي وضعت لتاريخ الطبري، ككتاب " تكملة تاريخ

---

(١) هلال الصابي، تاريخ ص١١٨. / ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧٨.
أما هلال الصابي فهو هلال بن المحسّن بن إبراهيم الصابىء، (ت ٤٤٨ هـ)، مؤرخ وكاتب، سكن بغداد، وتقلد ديوان الإنشاء فيها، بدأ حياته صابئياً ثم أسلم في آخر عمره، وكان أحدَ أساتذة الخطيب البغدادي، الذي كتب عنه ووصفه بالصدوق، ومن كتبه: "تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء" و"غرر البلاغة" و"رسوم دار الخلافة" و"كتاب الكتّاب"، انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، ١٧ جزءاً، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م، ج١٦، ص١١٧ ؛ وابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٣ ؛ وابن خلكان، ج٦، ص١٠١ ـ ١٠٥ ؛ والزركلي، الأعلام، ج٨، ص٩٢ ؛ ومصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص١٠٠ ـ ١٠١ ؛ وعبد الله، يسري عبد الغني، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٤٧.
أما ثابت بن سنان فهو أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، (ت ٣٦٣ هـ)، احترف صناعة الطب كأبيه وكان بارعاً فيها، وكانت تُقرأ عليه كتب بقراط وجالينوس، ولديه اطلاع واسع في الفلسفة والهندسة والرياضيات، واتصل بخدمة الخليفة الراضي بالله (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ)، وعمل طبيباً لدى كل من: المتقي بن المقتدر والمستكفي والمطيع، وعاش في بغداد في أيام معز الدولة بن بويه، وفي سنة (٣١٣ هـ) قلّده الوزير الخاقاني البيمارستان الذي أنشأه ابن الفرات بدرب المفضل. وله من الكتب: كتاب التاريخ الذي غطى فيه الفترة من (٢٩٥ هـ وحتى وفاته)، انظر: القفطي، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، عناية محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦ هـ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ؛ وابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم، (ت ٦٦٨ هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص٣٠٤ ـ ٣٠٧ ؛ وابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣١٤ ـ ٣١٥ ؛ ومصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص٦٦ ـ ٦٧.

الطبري " لمحمد بن عبد الملك الهمذاني [1] الذي بدأه بأخبار سنـــة (٢٩٥ هـــ / ٩٠٨ م) وانتهى بأخبار سنة (٣٦٧ هـــ / ٩٧٨ م)، وسار فيه على نهج الطبري في التأريخ على السنين. [2]

أخذ ابن الأثير عن هذا الكتاب معلومات عن إعدام الحلاج سنة (٣٠٩ هـــــ / ٩٢١ م). [3] ومعلومات عن النزاع بين موظفي الدولة، كالنزاع بين الوزير حامد بن العبـــاس والـــوزير ابـــن الفرات أيـــام الخليفة المقتدر سنة (٣١١ هـــ / ٩٢٣ م). [4] وأخذ عنه بعض أخبـــار القرامطـــة، كخبر إيقاع أبي طاهر بن أبي سعيد الجنابي بقافلـــة حـــج بغداديـــة أثنـــاء عودتهـــا مـــن مكـــة سنـــة (٣١٢ هـــ / ٩٢٤ م). [5] وأخذ عنه أخبار عزل الوزير ابن الفرات وقتله مع ولده بـــأمر من المقتدر في السنة ذاتها. [6] وكذا خبر استيلاء تاج الدولة تتـــش بـــن ألـــب أرســـلان علـــى دمشق سنـــة (٤٧١ هـــ / ١٠٧٨ م). [5]

---

(١) الهمذاني، محمد بن عبد الملك، (٤٦٣ ــ ٥٢١ هـــ)، مؤرخ نشأ في بغداد وتوفي بها، وهو من شيوخ ابن عساكر، من مصنفاته " عنوان السير " و" طبقات الفقهاء " و" أخبار الوزراء " و" ذيل على تاريخ الوزير أبي شجاع " و" تكملة تاريخ الطبري " وهو الجزء الأول من كتابه " الذيل على تاريخ ابن جرير الطبري "، انظر ترجمته عند ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٤٨ ؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٨ ؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٣٤٤، ج٢، ص١١٠٥، ١١٧٥ ؛ والزركلي، ج٦، ص٢٤٨ ــ ٢٤٩ ؛ ومصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص١٠٧.

(٢) ذيول تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠م، ص١٨٧ وما يليها.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٢٨ ــ ١٢٩؛ ذيول تاريخ الطبري، ص٢٢٠ ــ ٢٢١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٣٩ وما يليها ؛ ذيول تاريخ الطبري، ص٢٢٨ وما يليها.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٤٧ ــ ١٤٩ ؛ ذيول تاريخ الطبري، ص٢٤٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٥١.

(٧) المصدر نفسه، ج١٠، ص١١١.

واستخدم كتــاب " صلة تاريخ الطبري " المنسوب لعريب بن سعد القرطبي، [١] والذي بــدأه بحوادث سنـــة (٢٩١ هــ / ٩٠٤ م) وانتهى بأخبار سنة (٣٢٠ هــ / ٩٣٢ م)، وسار فيه علـــى نهج الطبري في التأريخ حسب النظام الحولي. أخذ ابن الأثير عن هذا الكتاب معلومـــات قليلـــة، جزء منها عن أخبار القرامطة. [٢]

واعتمد ابن الأثير على ابن عساكر في مادته عن دمشق، فكتابه "تـــاريخ دمـــشق" بوصـــفه مصدراً متخصصاً في تاريخ دمشق والشام عموماً، يعد موسوعة فـــي علـــم الرجـــال والتـــراجم والأدب، إضافة إلى قيمته في المادة التاريخية والجغرافية التي قدمها عن دمشـــق، كمـــا جمع فيه أكبر عدد من رجال الثقافة والعلم الذين سكنوا دمشق أو مروا بها. [٣]

ورفض ابن الأثير نظرة أبي بكر الصولي التاريخية، فالصولي جعـــل التـــاريخ الإســـلامي محكوماً بقواعد افتراضية فيها نظر؛ إذ يرى أن " كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإســـلام

---

(١) عريب بن سعد أو سعيد القرطبي، (ت ٣٦٩ هــ)، من أهل قرطبة، مولى من أصل نصراني، أسلم آباؤه واستعربوا، وعُرفوا ببني التركي. دخل عريب في خدمة الدولة، فاستعمله الخليفة الناصر على كورة أشونة، واتخذه الحكم المستنصر كاتباً، كما دخل في خدمة الحاجب المنصور. تلقى تعليماً طبياً، ولديـــه معرفـــة بالأدب والشعر واللغة والنحو والتاريخ ، وكان طبيباً ماهراً، " شديد العناية بكتب الأطباء، القدماء والمحدثين "، له مصنفات عدة، منها تاريخه الذي اختصره من تاريخ الطبري، وأضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس، ومنها كتابه في "الأنواء"، وكتابه "في عيون الأدوية"، وله في الطب " كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين "، وقد وضع تقويماً شبيهاً بتقويم الأسقف ربيع بن زيد، نشـــره دوزي في ليدن، سنة ١٨٥٣م. انظر: المراكشي، عبد الملك، (ت٧٠٣ هــ)، كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ج٥، ص١٤١ ــ ١٤٣ ؛ بالِنثيا، آنخل جُنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا ت، ص٢٠٦ ــ ٢٠٧ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٢٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥٣٠ ــ ٥٣٢ ؛ ذيول تاريخ الطبري، ص١١ ــ ١٤.

(٣) انظر إشارة ابن الأثير إلى ابن عساكر في حديثه عن استيلاء تتش على دمشق سنة(٤٧١ هــ)، الكامل، ج١٠، ص١١١ ؛ انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٨٠ جزءاً، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـــ ــ ١٩٩٥م، ج١١، ص٣٥.

لا بد من أن يُخلع، وربما قـُتل. " [١] وغيَّر بعض الحقائق لتخـدم نظرتـه، منهـا أنـه جعـل البيعة لابن الزبير بعد البيعة لعبد الملك ليكون ابن الزبير سادساً، ثم يُخلع ويُقتل. [٢]

واعتمد على كتاب "تاريخ إفريقية والمغرب" للأمير عبد العزيز في حديثه عن نـشأة الدولـة الفاطمية، ونقل عنه بالتفصيل ما كتبه عن ظهور الفاطميين ونسب عبيد الله المهدي الذي شكك في صحته. إلا أن ابن الأثير لم يتبنَّ رأيه؛ إذ يقول في بداية الخبر: " وأنا أذكر ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه في نسبه ... ". [٣] ولعل إفصاح ابن الأثير عن مصدره هنا يعود إلى أهمية مـسالة النسب الفاطمي؛ فقد كانت موضع نقاش مستمر على أعلى المستويات في الخلافة العباسية، فـأراد ابن الأثير أن يساهم في هذا النقاش.

ومع أن ابن الأثير ثبّت صحة نسب الفاطميين مستخدماً امتناع الشريف الرضي مـن كتابـة طعن في نسبهم دليلاً على ذلك، إلا أنه استخدم مصادر شفوية في تبيّن آراء العلويين المختلفة في نسبهم، وهي الإشارة الأولى إلى مصدر شفوي في كتابه، فهو يقول: " وسألتُ أنـا جماعـة مـن أعيان العلويين في نسبه، فلم يرتابوا في صحته، وذهب غيـرهم إلـى أن نـسبه مـدخول لـيس بصحيح، وعدا طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهودياً ... ". [٤]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٦٢ ـ ٦٣.

أما أبو بكر الصولي فهو محمد بن يحيى بن عبد الله، ولد ببغداد ونشأ فيها، أديب وجامع للكتب، وكان قد نادم المكتفي والمقتدر والراضي. وكان ماهراً في لعب الشطرنج، وله من الكتب كتاب "الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء"، ولم يتمه، ومن كتبه الأخرى: كتاب "أدب الكاتب" وكتاب"أخبار القرامطة" وكتاب"الغرر"، توفي سنة (٣٣٥ هـ)، ابن النديم ، الفهرست، ص١٦٧-١٦٨ وعند ابن خلكان انه توفي سنة (٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ)، وفيات، ج٤، ص٣٦٠ ؛ ووافق ياقوت على أن وفاته سنة (٣٣٥ هـ)، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٦، ص٢٦٧٧ ـ ٢٦٧٨؛ الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٣٦ ؛ انظر أيضاً، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص٥١- ٥٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٧ ؛ أما الأمير عبد العزيز فلم أعثر على ترجمة له.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٦.

واعتمد على مصادر شفوية كردية في حديثه عن نسب القائد الكردي "باذ"، وظروف تحوله من راع للغنم إلى زعيم لمجموعات عسكرية غزا بها أرمينية، واستولى على مدينة "أرجيش" الأرمنية، ثم انتقاله إلى ديار بكر واستيلائه على مدينة آمد وميّافارقين. وفي استيلائه على مدينة الموصل سنة (٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م) بدأ الخبر بعبارة: " وقد حدثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميدية ممن يعتني بأخبار باذ أن ... ". (١)

واعتمد ابن الأثير على مصدر شفوي دون أن يفصح عنه في حديثه عن ثورة رؤساء القرى في مصر ضد القائد التركي "أتسز" وعساكره سنة (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)، وتحالفهم مع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لإخراجه من مصر، حيث بدأ الخبر بعبارة: " وحكى لي من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر: أن أتسز لما وصل إلى مصر ... ". (٢)

واستخدم ابن الأثير في التاريخ العباسي مصادر لم يصرّح بها، أشار إليها بتعابير مثل "قيل" و"يحكى عن .." و"حـُكي أن .." و"قال بعضهم .." و".. على ما ذكره مؤرخو مصر" و".. هذا الذي ذكره أصحاب التواريخ من الخراسانيين .." و"ذكر بعض مؤرخي الشام ..". (٣)

ويلاحـَظ أن استخدام ابن الأثير لهذه التعابير أقل في التاريخ العباسي منها في مادته عن الفترات السابقة، ولعل ذلك يعود إلى ثقته بمصادره عن العباسيين، كما أن المؤلفات التاريخية غدت متوفرة وفي متناول الجميع.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٠٤.

(٣) يمكن تتبع هذه التعابير في المادة المتعلقة بالتاريخ العباسي في الصفحات الآتية من كتاب الكامل: ج٥، ص٤٦١، ٤٩٣، ٥٢٠، ٥٨٠، ج٦، ص٢٦ ــ ٣٢،٩١، ١٢٨، ٢١٦ ــ ٢٢٠، ٢٨٨، ٣٠٤، ٥٢٧، ج٧، ص٥٦، ١١٥، ٣٣٥، ٤٠٨، ج٨، ص١٢، ٣٦، ١٩٥، ٤٠٢، ٤٦٣، ج٩، ص٩٣، ٦٣٦، ج١٠، ص١٠٣، ١١٨، ٢١٣.

٨ ــ فترة الحروب الصليبية:

استفاد ابن الأثير من كل المصادر التي توفرت له في هذا الموضوع، مــع تركيــزه علــى المصادر الشفوية ومشاهداته، وهذا منتظر لكونه معاصراً وشاهد عيان لبعض الأحداث، ولاتصاله ببعض من شاركوا فيها.

وأول إشارة إلى مصادره المكتوبة كانت إلى ابن القلانسي وكتابه ذيل تاريخ دمشق. اكتــسب ابن القلانسي ثقة ابن الأثير لكونه أول مــؤرخ تعــرض للحمــلات الــصليبية علــى المــشرق، ولاطــّلاعه على مواد أرشيفية، ولقيمة معلوماته التي استقاها من أخبار مكتوبة وشفوية مــأخوذة أحياناً من ألسنة المشتركين في الأحداث، أضف إلى ذلك أنه شهد جزءاً من الأحداث التي دوّنهــا، وتفرّد في بعضها، لذلك اكتسب عمله قيمة تقرُب من المواد الوثائقية. [١]

والإشارة الوحيدة التي صرّح فيها ابن الأثير بذكر ابن القلانسي جاءت عندما نقل عنه خبــر انكشاف قبور إبراهيم الخليل وولديه إسحــاق ويعقــوب علــى مقربــة مــن البيــت المقــدّس سنــة (٥١٣ هــ / ١١١٩ م)، إذ " رآهم كثير من الناس لم تبــْلَ أجسادهم، وعندهم في المغــارة قناديل من ذهب وفضة، " وختم ابن الأثير الخبر بعبارة: " هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمي فــي تاريخه، والله أعلم." [٢] وتبدو الإشارة ثانوية، لكن مطالعة تاريخ ابن القلانسي تــُظهر أن ابــن الأثير اعتمد عليه بصورة أساسية في الحملات الصليبية المبكرة، وغاراتهم المتواصلة على مــدن الشام وحصونها واستيلائهم على أكثرها. ويمكن للاستدلال ملاحظة الأمثلة الآتية: خبــر اقتحــام الفرنج مدينة أنطاكية سنة (٤٩١ هــ / ١٠٩٨ م)، [٣] وخبر حملة كربوغا إلى الفرنج بعد سقوط أنطاكية في السنة ذاتها، واضطراب معسكر المسلمين ثم انهزامهم، [٤] وخبــر اســتيلاء الفــرنج علــى معرة النعمان في السنة ذاتها أيضاً. [٥] ثم خبر استيلاء الفرنجة على بيت المقــدس سنــة

---

(١) انظر الملاحظات عن ابن القلانسي وكتابه في الفصل الأول من هذه الدراسة، ص٣٧ ــ ٣٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٦٠ ؛ انظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ص٣٢١. وسيجري اعتماد هذه الطبعة فيما بعد.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٠ . / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٤ ــ ٢٧٥.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢١. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٦ ــ ٢٧٨.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨.

سنة (٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م)، [١] وخبر هزيمة عساكر المصريين في عسقلان على يد الفرنج، [٢] وخبر هزيمة بيمند الفرنجي أمام ابن الدانشمند في عدة وقائع قرب ملطية سنة (٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م). [٣] ثم خبر مقتل كُندفري ملك بيت المقدس عند عكا، وهزيمة أخيه بغدوين على يد جناح الدولة أمير حمص بالقرب من بيروت، وخبر استيلاء الفرنج على حيفا وأرْسوف، واستيلائهم على مدينة سَروج في الجزيرة سنة (٤٩٤ هـ / ١١٠١ م). [٤]

واعتمد ابن الأثير على ابن القلانسي أيضاً في معلوماته عن النشاط العسكري لعماد الدين زنكي ونور الدين محمود، والأمثلة الآتية تؤكد ذلك: خبر حصار عماد الدين دمشق سنة (٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م)، [٥] واستيلائه على قلعة بعرين من أيدي الفرنج سنة (٥٣١ هـ / ١١٣٧ م)، [٦] وخبر فتحه الرها سنة (٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م). [٧] ثم خبر استيلاء نور الدين محمود حصن العُريمة المجاور لطرابلس سنة (٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م)، [٨] وحصاره

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٢٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٣. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٦.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٠.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ ؛ انظر أيضاً: خبر حصار صنجيل الفرنجي طرابلس سنة (٤٩٥ هـ)، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٨. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤٤ ؛ وخبر الحملة المصرية لحماية المناطق التي بقيت معهم من سواحل الشام سنة (٤٩٥ هـ)، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٩. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤٥ ـ ٣٤٦؛ وخبر وصول مراكب من بلاد الفرنج إلى اللاذقية، وفيها التجار والأجناد والحجاج، ومساعدتهم صنجيل في حصار طرابلس، ثم استيلائهم على جبيل وعكا سنة (٤٩٧ هـ)، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٣١، ٢٣٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٢ ـ ٣٧٣ ؛ وخبر استيلاء الفرنج على حصن أفامية سنة (٤٩٩ هـ)، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٤٢، ٢٤٣. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٠٨ ـ ٤١٠ ؛ واستيلائهم على طرابلس وبيروت سنة (٥٠٣ هـ)، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٢، ٢٦٨ ـ ٢٦٩. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٥ ـ ٤٧٦.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٩١ ـ ٣٩٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٢١ ـ ٢٢.

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٤٠٧ ـ ٤٠٨. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥١ ـ ٥٢.

(٧) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٤٣٦ ـ ٤٣٧. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٩٨ ـ ٩٩.

(٨) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٤٦٦ ـ ٤٦٧. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٣١ ـ ١٣٢.

حصني حارم وإنب قرب أنطاكية وانتصاره على الفرنج وقتل البرنس صاحب أنطاكية سنة (٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م). [١] واستيلاء نور الدين على دمشق سنة (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م). [٢]

وجاء اعتماد ابن الأثير على ابن الجوزي في الفترة الصليبية محدوداً، لأن ابن الجوزي ركز على تاريخ العراق والمشرق أكثر من الشام ومصر ميدان الصراع الإسلامي الفرنجي، الذي كان محل اهتمام ابن الأثير في هذه الفترة. لكن يبقى ابن الجوزي مصدراً أولياً في تفاصيل الصراع على السلطة الذي شهدته بغداد وفارس بين سلاطين السلاجقة في القرن السادس، ودور الخليفة العباسي وأمراء الموصل والجزيرة والشام فيه، وأثر ذلك على وحدة الأمة في مواجهة الفرنج.

أشار ابن الأثير إلى ابن الجوزي في موضع واحد من كتابه، حين نقل عنه وصفاً غريباً للبَرَد الذي سقط على بغداد سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م)، بأنه " قتل جماعة من الناس وكثيراً من المواشي، فوزنت بَرَدة منها فكانت سبعة أرطال ... "، وختم الخبر بعبارة: " هكذا ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في تاريخه، والعهدة عليه. " فالعبارة تشير إلى عدم اقتناع ابن الأثير بما ذكره ابن الجوزي، ومن ثم فهو لا يريد أن يتحمل مسؤوليته. ولعل هذا الأمر يفسر إفصاحه عن مصدره هنا.

والإشارات التي أخذها ابن الأثير عن ابن الجوزي قليلة، وتشتمل على تفصيلات جزئية محدودة، وهي لا تشكل أساس معلوماته عن العراق والمشرق في هذه الفترة، ولا دليل على أن ابن الجوزي هو المصدر الأولي فيها، فقد يكون ابن الأثير وابن الجوزي أخذاها من مصادر أخرى. وتلقي الأمثلة الآتية الضوء على مدى إفادة ابن الأثير من ابن الجوزي: خبر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه سنة(٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م)، [٣] وخبر قتل فخر الملك بن نظام الملك سنة (٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م)، [٤] وخبر الصلح بين عماد الدين زنكي والسلطان مسعود سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م)، [٥] وخبر اتفاق بوزابة أمير فارس وخوزستان وعباس أمير الري

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٤٧٣ ــ ٤٧٤. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٤٤ ــ ١٤٥.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٥٠٣ ــ ٥٠٦. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٩٧ ــ ١٩٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٤٨. / ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٧ ــ ٢٨٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٩./ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤١٨ ــ ٤١٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٣٠. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٩٣.

على منازعة السلطان مسعود سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م). [١]

واعتمد ابن الأثير على كتاب "مشارب التجارب" لأبي الحسن البيهقي، (ت ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م)، في تاريخ الأسرة الخوارزمية، لكنه لا يذكر أية إشارة تفيد في تقدير حجم المادة التي أخذها منه، وإنما أشار إلى الكتاب في حديثه عن مشاكل الأسرة الخوارزمية بعد وفاة خوارزم شاه أرسلان سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م)، والمعلومات التي أخذها من الكتاب المذكور تشتمل على تفاصيل النزاع بين إبنيْ خوارزمشاه علاء الدين تكش وسلطان شاه محمود على السلطة، واستيلاء علاء الدين على خوارزم، وحروبه مع الخطا. [٢]

واعتمد ابن الأثير بصورة أساسية على كتاب "البرق الشامي" للعماد الأصفهاني الكاتب في

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٤٤. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٠٤ ؛ انظر أيضاً: خبر استيلاء علي بن دبيس بن صدقة على الحلة في السنة ذاتها، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٤٤ ــ ٤٥. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٠٥ ؛ وخبر قتل الأمير بوزابة سنة (٥٤٢ هـ)، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٥٥. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١١٩ ؛ وخبر استيلاء شملة التركماني على خوزستان، ومسير الغز إلى نيسابور واستيلائهم عليها بالسيف سنة (٥٥٠ هـ)، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٠١ ــ ١٠٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٢٠١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٧٧ ــ ٣٨٠ ؛ انظر أيضاً:

Cahen, Clude, TheHistoriography of the Seljuqid period, Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London,1964, P 65-66

وعن تاريخ الأسرة الخوارزمية، انظر: البيهقي، محمد بن حسين، (ت ٤٧٠ هـ)، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص٥٠ وما يليها.

أما أبو الحسن البيهقي فهو ظاهر أو ظهير الدين علي بن أبي القاسم زيد البيهقي، (٤٩٩ هـ ــ ٥٦٥ هـ)، ولد في قصبة السابزوار ناحية بيهق، وانتقل إلى مرو بعد وفاة والده، وعينه صهره محمد بن مسعود قاضياً على بيهق سنة (٥٢٦ هـ)، ثم أقام في سرخس للدراسة على قطب الدين محمد المروزي، وبعد ذلك عاش في نيسابور، واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك، ومن مصنفاته "تتمة دمية القصر" و"مشارب التجارب وغرائب الغرائب" و"وتاريخ حكماء الإسلام" و"تفاسير العقاقير" و"أسرار الحكم" و"شرح نهج البلاغة" و"تاريخ بيهق". وأما كتابه "مشارب التجارب" فهو في التاريخ، ولم يصلنا، وقد نقل ياقوت قطعة منه في معجم الأدباء تحدث فيها البيهقي عن نفسه وعن مؤلفاته بالتفصيل، انظر: ياقوت، معجم الأدباء، مادة "علي بن زيد" ؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٦٨٦ ؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص٤٠ ــ ٤١ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٩٠.

حديثه عن صلاح الدين. وهو مصدر أساسي في تاريخ صلاح الدين، وقد استخدمه مؤرخون معاصرون له كابن أبي طيء وسبط بن الجوزي ولاحقون كأبي شامة. ويتميز العماد بصلته الوثيقة بصلاح الدين؛ إذ رافقه خلال القسم الأكبر من حياته العامة بمثابة كاتبه الخاص. [١] واشتمل كتابه على مقتطفات من رسائله الرسمية نيابة عن صلاح الدين، وعلى صكوك تعيينه للوظائف العامة، ومراسلاته مع القاضي الفاضل. [٢]

أشار ابن الأثير إلى العماد الكاتب في موضعين، الأول تحدث فيه عن هزيمة "سيف الدين غازي بن مودود" أمام صلاح الدين في موقعة تل السلطان قرب حلب سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)، وقد انتقد العمادَ لأنه ذكر أن عسكر سيف الدين بلغ عشرين ألف فارس، وابن الأثير يرى أنه أقل من ستة آلاف وخمسمائة، مستنداً إلى جريدة العرض الخاصة بالعسكر التي اطّلع عليها، ويرى أن العماد أراد بتضخيم جيش سيف الدين تعظيم صلاح الدين بأنه هَزم عشرين ألفاً بستة آلاف، ثم علّق بقوله: " يا ليت شعري كم هي الموصل وأعمالها إلى الفرات حتى يكون لها وفيها عشرون ألف فارس؟ " [٣] وتحدث في الموضع الثاني عن وفاة "زين الدين يوسف" صاحب أربيل ومسير أخيه مظفر الدين إليها سنة (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م)، إذ نقل عن العماد انطباعاته إزاء تصرفات مظفر الدين عندما حضر لتعزيته، فوجده منشغلاً عن العزاء بجمع تركة أخيه والقبض على أمرائه واعتقالهم. ونقل عنه خبر اتفاقه مع صلاح الدين على التنازل عن حران والرُّها مقابل أن يقطعه صلاح الدين أربيل، وأن صلاح الدين أضاف إليها شَهْرَزُور وأعمالها دَرَبَنْد قرابلي وبني قفجاق. [٤] ويبدو أن ابن الأثير أخذ عن العماد أكثر مادته عن النشاط السياسي والعسكري لصلاح الدين في الفترة التي رافقه فيها. ويمكن تبيُّن ذلك من خلال الأمثلة الآتية: خبر هزيمة صلاح الدين أمام الفرنج في الرملة سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م). [٥] وخبر حصار الفرنج حماة في السنة نفسها ورحيلهم

---

(١) جب، صلاح الدين، مقالته عن البرق الشامي، ص١٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٦. انظر الملاحظات عن العماد الكاتب وكتابيه البرق الشامي والفتح القسي في الفصل الأول من هذه الدراسة، ص٤٠ ــ ٤١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٥٦.

(٥) الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٣٦ ــ ٤٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ٤٤٢ ــ ٤٤٣.

عنهـا بعـد أربعـة أيـام، ثـم نزولهـم علـى حصـن حـارم، وخبـر قتـل سعـد الديـن كمشتكين. [١] وخبر عصيان ابن المقدّم وحصار صلاح الدين بعلبك وأخذها من ابن المقـدم سـنة (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م). [٢] وخبر تخريب جيش صلاح الدين الحصنَ الذي بنـاه الفـرنج عنـد مخاضة الأحزان قرب بانيـاس سنة (٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م). [٣] وخبر عبـور صـلاح الـدين الفرات إلى الجزيرة الفراتية واستيـلائه عليها سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م)، وحصاره الموصـل، وتدخل رسل الخليفة للصلح، ثم استيلائه على سنجار في السنة ذاتها. [٤] ثم خبر انتصار حسام الدين لؤلؤ متولي الأسطول المصري على الفرنج في بحر عيذاب في السـنة ذاتهـا. [٥] وخبـر استيلاء صلاح الدين على آمد سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م). [٦] واستيلائه على تل خالـد وعـين تاب، [٧] وعلى حلب في السنة ذاتها. [٨] وكذلك خبر غزو صلاح الدين الكـرك واسـتلام أخيـه العادل حلب في السنة ذاتها أيضاً. [٩]

حرص ابن الأثير على الإفادة من كل ما وقع بين يديه من وثائق ومستندات، ليوثـق مادتـه وليعطي آراءه قيمة. [١٠] فمثلاً اعتمد في حديثه عن هزيمة صلاح الدين في الرملة على كتاب رآه

---

(١) الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٥٢ ــ ٥٥. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤٤٣ ــ ٤٤٤.

(٢) الأصفهاني، البرق، ج٣، ص ٩٢ ــ ٩٤، ١٣٤ ــ ١٣٥، ١٣٩ ــ ١٤٠. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٥٠ ــ ٤٥١.

(٣) الأصفهاني، البرق، ج٣، ص١٧٥ ــ ١٨١. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٥٥ ــ ٤٥٨.

(٤) الأصفهاني، البرق، ج٥، ص٢٣ ــ ٣١، ٣٢ ــ ٤٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٨٢ ــ ٤٨٨.

(٥) الأصفهاني، البرق، ج٥، ص٦٩ ــ ٧٣. / ابن الأثير, الكامل، ج١١، ص٤٩٠ ــ ٤٩١.

(٦) الأصفهاني، البرق، ج٥، ص٨٤ ــ ٨٥، ٨٨ ــ ٩٦، ١٠٣ ــ ١٠٤. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٩٣ ــ ٤٩٤.

(٧) الأصفهاني، البرق، ج٥، ص١١٢. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٩٥.

(٨) الأصقهاني، البرق، ج٥، ص١١٣ ــ ١٢٠. /ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٩٦ ــ ٤٩٨.

(٩) الأصفهاني، البرق، ج٥، ص١٥٢ ــ ١٥٤. / ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٠٢، ٥٠٦ ــ ٥٠٧.

(١٠) سبقت الإشارة إلى نقده العمادَ الأصفهاني لتضخيمه عدد جيش سيف الدين غازي في موقعة تل السلطان استناداً إلى جريدة العرض الخاصة بعسكر سيف الدين غازي في موقعة تل السلطان، التي وقف عليها بحكم صلته بأخيه مجد الدين متولي أمر هذه الجريـدة، وفيها تعداد الجيش و" ترتيب العسكر للمصـاف ميمنـة وميسـرة وقلبـاً وجاليشيـة ... "، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٢٩.

لصلاح الدين كتبه بخط يده إلى أخيه تورانشاه وهو في دمشق يذكر فيه الوقعة، ونقل عنــه بيتــاً من الشعر وقوله " لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة، وما أنجانا الله سبحانه منه إلا لأمــر يريــده سبحانه ...". [١]

ونقل ابن الأثير مضمون كتاب وصل إلى الموصل من تاجر من أهل الري بعد سقوط الــري وأذربيجان بأيدي التتر سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) ووصول طلائعهم إلى مناطق من الجزيــرة، فيه تخويف للمسلمين من جموع التتر الكبيرة، وإشارة إلى أهدافهم من توسعهم باتجــاه الغــرب. وفيه تحذير لأهل الموصل والعراق من قدوم التتر إليهم: " وهم في الربيع يقصدونكم ". [٢]

واستفاد ابن الأثير أيضاً من مشاركاته في الأحــداث ومــشاهداته، فــدوّن ملاحظاتــه عــن المعسكرات والحصون وتحركات الجيوش وتفاصيل المواجهات مع الفرنج. فمثلاً عنــد اجتمــاع العساكر عند صلاح الدين ونزوله تحت حصن الأكراد تــأهباً للإغارة علــى الفرنــج سنــة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)، كان ابن الأثير حاضراً، فدوّن عن قرب ملاحظاته عن تحركات صــلاح الدين وخططه، وصرح بذلك حين قال: "وكنتُ معه حينئذٍ"، ويظهر أنه اشترك في غارات صلاح الدين على صافيثا والعــُريمة ويحمور في السنة ذاتها. [٣]

ويمكن ملاحظة عبارة: "وكنتُ حينئذ بالشام في عسكر صلاح الدين يريد الغزاة ..." التي بدأ بها حديثه عن وصول الخبر إلى صلاح الدين بهزيمة جيش بغداد على يد السلطان طغرل بــن أرسلان سنة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)، حيث سجــّل ابن الأثير تعليق صلاح الدين بكاملــه علــى الهزيمــة. [٤] وكذا الخبر الذي أخذه من لسان أحد أمراء صلاح الدين عن انطباعاتهم عن وصول

---

(١) ابن الأثير، الكامل،، ج١١، ص٤٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٥٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١٢، ص٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٢٥.

ملك الألمان إلى الشام في الحملة الصليبية الثالثة سنة (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م). [١]

وتجسّد الأمثلة الآتية اعتماد ابن الأثير على مشاهداته في معالجة حوادث هذه الفترة، مع ملاحظة دقته في عرض المعلومات: الوصف الذي قدّمه لنفائسَ قصر العاضد بعد استيلاء صلاح الدين عليه وإقامة الخطبة العباسية في مصر سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م). ومن هذه النفائس الجبل الياقوت الذي وجد في القصر، إذ إن "وزنه سبعة عشر درهماً، أو سبعة عشر مثقالاً، أنا لا أشك لأنني رأيته ووزنتُه ...". [٢] ووصفه حصارَ صلاح الدين الموصل سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)، إذ كان شاهداً على ذلك: "وكنتُ إذ ذاك بالموصل". [٣] وكذا وصفه أكوامَ العظام التي خلفتها وقعة حطين سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) بقوله: "ولقد اجتزتُ بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة، فرأيتُ الأرض ملأى من عظامهم تَبَيَن على البعد، منها المجتمِع بعضه على بعض، ومنها المفترق، هذا سوى ما جحفته السيول، وأخذته السباع في تلك الآكام والوهاد." [٤] ثم حديثه عن حصار الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين دمشقَ سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م)، فقد كان شاهداً على الحادثة: "وكنتُ حينئذٍ بدمشق". [٥] وكذا حديثه عن خوف الناس في الموصل بعد سماعهم بتوجه التتر إلى أربيل سنة (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م): "حتى أن بعض الناس همّ بالجلاء خوفاً من السيف ..." . [٦]

كثف ابن الأثير إشاراته إلى مصادره الشفوية في هذه الفترة، وحرص في كل موضوع عالجه على استيفاء المصادر ذات الصلة. ففي أخبار أتابكة الموصل وفتوحات عماد الدين زنكي اعتمد على والده وأخيه مجد الدين، بوصفهما شاهديْ عيان وبحكم اطّلاعهما على بعض الوثائق. وكما هو الحال في كتاب الباهر استخدَم تعابير مثل: "حكى لي والدي" و"حدثني والدي"

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٥١٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢، ص١٠٩ ــ ١١٠.

(٦) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٧٨.

و"سمعتُ أخي مجد الدين أبا السعادات يقول ...". [(١)] وتتميز المصادر الشفوية هذه في كونها تقدّم معلومات مباشــرة.

واعتمد على مصادر شفوية جمعية مستخدماً تعابير مثل: "وحــُكي عن بعض العلمــاء مــن الأكراد ممــن لــه معرفــة بأحوالهــم ..." "وحَكى غير هذا بعض فــضلاء الأكــراد وخــالف فيــه ..."، في حديثه عن استيلاء عماد الدين زنكي على قــلاع الأكـــراد الحميديــــة سنــــة (٥٢٨ هــ / ١١٣٤ م). [(٢)] وكذا تعابير مثل: "وحــُكي أن بعض العلماء بالأنساب والتواريخ قال .." و"حكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح ..."، في حديثه عن فتــح الــرُها سنــــة (٥٣٩ هــ / ١١٤٤ م). [(٣)] وفي حديثه عن انقراض دولة سُبُكتكين سنة (٥٤٧ هــ / ١١٥٢ م) اعتمــد على مصادر من خراسان، إذ علــّق في نهاية الخبر بعبارة: "هكذا ذكر بعض فضلاء خراسان أن خسرو شاه آخر ملوك سُبُكتكين ...". [(٤)]

ووثــّق حديثه عن فتوحات المسلمين في الهند بروايات أخذها من التجار القادمين من هنــاك، كما في خبر فتح شهاب الدين الغوري مدينة دلهي ووصوله حدود الصين من جهة المشرق ســنة (٥٤٧ هــ / ١١٥٢ م)، فقد استخدم تعبير "وقد حدثني صديق لي من التجار ...". [(٥)]

واعتمد ابن الأثير على روايات أخذها عن شهود عيان ليوثق بها مادته عن نشاط المــسلمين العسكري ضد الفرنج، كمــا فــي حديثــه عــن حملــة أســد الديــن إلــى مــصــر سنــــة (٥٥٩ هــ / ١١٦٤ م) ثــم عودته إلى الشام. [(٦)] وعن قصة اعتذار صلاح الدين عن الخــروج إلى مصر برفقة أسد الدين شيركوه سنة (٥٦٤ هــ / ١١٦٩ م)، ثم خروجه مكرهاً حيث أخذهــا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٣٤، ٦٦٤، ج١١، ص٤٤، ١١٠، ١١١، ٣٠٩، ٣٥٦، ج١٢، ص٢٩٢ ؛ انظر أيضاً: ج١٢، ص٣٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص١٤، ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص١٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص١٧٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص١٧٤ ؛ انظر أيضاً: ج١٢، ص١٠٦، ١٦٦، ٢١٦.

(٦) المصددر نفسه، ج١١، ص٣٠٠.

عن صديق له كان مقرباً من صلاح الدين. (١) وكذا في حديثه عن حصار الفرنج مدينة دمياط سنة (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م)، إذ نقل عن شهود عيان إقرار صلاح الدين بأن العاضد أرسل إليه مدة حصار الفرنج دمياط "ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها". (٢) ونقل عن "خبير بأحوال صلاح الدين" تحليله لتدابير قام بها صلاح الدين سنة (٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م) ليبعد مصر عن مجال التنافس العائلي، وهي نقل أخيه العادل من حلب وإرساله مع ولده العزيز عثمان إلى مصر، وإخراج ولده الأفضل وابن أخيه تقي الدين عمر من مصر لأنه شعر بطموح تقي الدين للاستيلاء على مصر. (٣)

وأخذ بعض المعلومات عن شهود عيان من داخل المعسكر الفرنجي أيضاً، ليقدم صورة قريبة عن أوضاع الفرنج من الداخل؛ كحديثه عن استعدادات الفرنج وتجمعهم في الساحل السوري لاستعادة البيت المقدّس سنة (٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م)، فاعتمد على رواية لأحد المسلمين المقيمين بين الفرنج في حصن الأكراد يصف فيها جولة ساحلية قاموا بها لطلب النجدة وجمع الأموال، ورواية لأحد الأسرى الفرنج عن والدته التي باعت بيتها الوحيد وجهّزته بثمنه، وأرسلته ليقاتل المسلمين وينقذ البيت المقدّس. (٤) وأخذ خبر الفتنة التي وقعت بين الفرنج والأرمن سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) من "رجل من عقلاء النصارى" زار بلاد الأرمن وعرف حالها. (٥)

واعتمد على الفقهاء والتجار القادمين من بخارى وسمرقند في أخبار الغزو التتري وهروب خوارزمشاه من التتر سنة (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)، وكذا في حديثه عن بعض مناقبه. (٦) وسمع من شهود العيان الذين قابلهم حكايات عن التتر، والرعب الذي نشروه في المناطق التي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٤٢ ــ ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٢ ــ ٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٦٤ ــ ٤٦٦.

(٦) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٧٠، ٣٧١ ــ ٣٧٢.

وصلوهـــا. [١]

رابعاً: ملاحظات على مصادر ابن الأثير:

١ ــ صرّح ابن الأثير في أول إشارة له إلى الطريقة التي سيتعامل بها مع مصادره، بأنه سـيهتم بـ "السياق المتصل" في كل حادثة سيؤرخ لها، ففي تعامله مع مادة الطبـري مـثلاً قـام بـدمج الروايات المتعددة التي أوردها الطبري للحادثة الواحدة في خبر واحد وضـمن سـياق متـصل، فاعتمد الرواية التي يرى أنها الأتم من حيث المحتوى، ثم أضاف بعض التفاصيل مـن روايـات أخرى أو من مصادر أخرى، [٢] وفق مبدأ "الانتقاء غير العشوائي" الذي قام عليـه منهجـه فـي تعامله مع مصادره، إذ يقول: "على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة، ممن يـُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دوّنوه ...". [٣] كما قدّم مادة الطبري بصورة مختصرة. [٤]

٢ ــ إن عناية ابن الأثير بالسياق المتصل للخبر وبالاختصار تطلبت منه إهمال "الإسنـاد"، لأنه يقطـّع أوصال الخبر ويُضعِف تماسكه، وكذلك يضخـِّم مادة الكتاب، وهـذا مـرتبط بالـسمات الثقافية لعصره والتي لم تعد تتقبل السلاسل الطويلة من الإسناد التي كانت ضـرورية فـي فتـرة التدوين. [٥] ومرتبط أيضاً بالغرَض من تأليفه الكتاب؛ فابن الأثير لم يؤلف كتابـه لـذوي الثقافـة العالية فحسب، وإنما كان معنياً بذوي الثقافة العامة والمحدودة، لذا فهو متفهـم لحاجـة هـؤلاء

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٥٠٠ ــ ٥٠١.

ويمكن تتبع إشارات ابن الأثير إلى مصادره الشفوية في الفترة الصليبية عموماً في الصفحات الآتية من كتاب الكامل: ج١٠، ص٥٧٥، ج١١، ص٢٦١، ٣٠٦، ٤٠٢، ٤٨٣، ج١٢، ص٨٢، ٩٦، ١٩٦، ٣٢٢، ٤٤٨، ٤٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٤) يمكن مثلاً مقارنة ما كتبه ابن الأثير عن ابتداء الخلق وخلق آدم بحجم المادة التي قدمها الطبري عن الموضوع ذاته، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٣ ــ ٢٦. / الطبري، تاريخ، ج١، ص٩ ــ ٨٨ .

(٥) عن أثر الإسناد في الكتابة التاريخية في مرحلة التدوين انظر: المشهداني، (١٩٨٣م)، أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطور الفكر التاريخي، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٣، ص٢٦٣ ــ ٢٨١ ؛ وعن نشوء الدراسات التاريخية في الإسلام وتطورها في نطاق الثقافة العربية الإسلامية انظر: الدوري (١٩٧٨م)، نشأة الثقافة العربية الإسلامية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، مج١، ع١، ص٦٧.

إلى معرفة الخبر وقيمته التاريخية والإفادة منه أكثر من حاجتهم إلى تتبع سلاسل السند التي تهم عادة المتخصصين. أضف إلى ذلك أن الاتجاه إلى التساهل في الإسناد ظهر قبل ابن الأثير بقرون، وتحديداً منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، كما هو الحال عند الدينوري (ت٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) في "الأخبار الطوال"، واليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) في تاريخه، ومسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠ م) في "تجارب الأمم". (١) وقد أصبح ترك التوسع في الأسانيد ظاهرة عامة في عصر ابن الأثير.

٣ـ لم يصرّح ابن الأثير بجميع مصادره، الأمر الذي جعل البحث عنها أمراً شاقاً، وهذا جعل ابن الأثير عرضة للانتقاد من قِبل بعض الدارسين. (٢) لكنه في الوقت نفسه ذكر مصادره الرئيسية، كالطبري وابن القلانسي والعماد الأصفهاني الكاتب. وأشار في أكثر من موضع إلى من أخذ عنهم معلوماته دون أن يحدد أسماءهم، كمؤرخي خراسان في مادته عن خراسان، (٣) والمؤرخين المغاربة في مادته عن المغرب والأندلس، (٤) ومؤرخي مصر في مادته عن مصر في بعض الفترات. (٥)

وهذا يشير إلى اهتمام ابن الأثير بروايات أهل البلد في اختيار مصادره، إذ حاول الاعتماد على المصادر الأصلية الخاصة بكل إقليم يكتب عنه، (٦) خصوصاً في الفترة من القرن الرابع الهجري إلى عصره؛ فمثلاً في أخباره عن العراق أخذ عن أبي بكر الصولي وابن الجوزي، وفي أخباره عن إفريقيا والمغرب أخذ عن الأمير عبد العزيز صاحب كتاب " تاريخ إفريقية والمغرب " وابن شداد الصنهاجي، وفي أخباره عن الشام والجزيرة أخذ عن ابن عساكر وابن القلانسي

---

(١) طليمات، ابن الأثير الجزري، ص١١٢.

(٢) Runciman, S, Ahistory of the crusades, Vol. II, Cambridge, 1962, p 481 ; Hammad, Latin and Muslim historiography, p120 ;
سعداوي، نظير حسان، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٧، ص٣٣٥.

(٦) عاشور، بحوث ودراسات، ص٣٩٩ ؛ سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ص١٠.

والعماد الأصفهاني الكاتب.

٤ــ لم يكن ابن الأثير مجرد ناقل للمعلومات التي تجمّعت لديه، وإنمـــا كـــان ينتقـــي الأخبـــار ويتحرى الدقة في كل مصدر تعامل معه، وكان يسمو إلى نقد مصادره ويعطي رأيه فيها، (١) بمـــا ينسجم مع اهتمامه بسياق الحوادث وواقعيتها، لذا كان في أكثر الأحيـــان يـــستبعد الأخبـــار ذات الطابـــع الأسطوري، وهذا الأمر جعل تاريخه يمثل تطوراً مهماً في الكتابة التاريخية.

وقد عبّر عن نظرته النقدية لمصادره في افتتاحية "الكامل"، من خلال تقييمه المهم للكتابـــات التاريخية التي سبقته؛ إذ وجدها: " متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة فيها يـــستحيل إلى العرَض، فمن مطوِّلٍ قد استقصى الطرقَ والروايات، ومختصِرٍ قد أخل بكثير ممـــا هـــو آت، ومع ذلك فقد ترك كلـــُهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات. وسوّد كثيرٌ منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولـــى ... ". (٢) كما انتقد مصادره لعدم اهتمامها بالـــسياق المتصل للحادثة التاريخية، فجاءت عندهم مقطـــّعة "لا تـــُفهم إلا بعد إمعان النظر". (٣)

واعتمد ابن الأثير مبدأيْ "الصدق" و"الثقة" في تعاملـــه مـــع مـــصادره؛ إذ لـــم ينقـــل مـــن المؤرخيـــن إلا ممـــن " يُعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه ... ". (٤) كما أن إشاراته إلـــى مصادره الشفوية تتكرر فيها تعابير تشير إلى عنايته بمبدأ "الثقة" مثل: "حدثني من أثـــق بـــه ..." و"حكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح ..." و"حدثني صديق لـــي ..." و"حكـــى لـــي بعـــض أصدقائنا بل مشايخنا من الأئمة الفضلاء ...". (٥)

وقد سبقت الإشارة إلى انتقاد ابن الأثير الصريح لمؤرخين كالزهري وإبن إسحاق ومـــسكويه والعماد الأصفهاني الكاتب، (٦) وإلى تعابيره النقدية المتكررة مثل: "زعم" و "يـــزعم" و"يزعمـــون" التي استخدمها في التشكيك في بعض الأخبار.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (المعرّبة) مادة "ابن الأثير" ؛ سيأتي تحليل نظرة ابن الأثير النقدية في الفصل الرابع الخاص بمنهج ابن الأثير.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص١٤، ١٧٠، ٣١٩، ٣٤٢، ج١٢، ص٧٦، ٨٢، ١٦٦، ٤٦٦.

(٦) انظر ص١٢٠، ١٣٠، ١٤٣ من هذه الدراسة.

٥ ـ يلاحَظ أن ابن الأثير يذكر أحياناً أكثر من مصدر للخبر الواحد، كما في أخبار حروب منوجِهر الفارسي مع الترك؛ [١] إذ نقله عن هشام بن محمد الكلبي وعن غيره دون تحديد مستخدماً عبارة: "وقال غير هشام". وكذلك في خبر وفاة خوارزم شاه سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م) والنزاع بين أبنائه على الحكم، وحروبهم في ما وراء النهر وخراسان، حيث ذكره ابن الأثير في روايتين، اعتمد في الأولى على كتاب "مشارب التجارب" لأبي الحسن البيهقي، وفي الثانية على "غيره من العلماء بالتواريخ" ودون أن يحدد أسماءهم أيضاً. [٢]

٦ ـ اعتمد ابن الأثير على ثقافته وخبرته في قراءة مصادره ومقارنتها، وقد حاول أن يرتب حوادث السنة الواحدة بصورة مختلفة عن نهج الطبري، وفق رؤيته الخاصة إلى أهمية كل منها. كما أعاد صياغة محتوى المواد التي استخدمها بأسلوبه الخاص الممتع، ولم يلتزم بحرفية الأخبار كما وردت في مصادره. وهذا ظهر بوضوح في تعامله مع المواد التي استقاها من الوزير أبي شجاع وهلال الصابي وثابت بن سنان وعبد الملك الهمذاني والعماد الأصفهاني الكاتب.

٧ ـ استعان ابن الأثير بمصادر أخرى بالإضافة إلى الطبري حتى أواخر القرن الثالث. وعند مقارنة ما كتبه ابن الأثير بما كتبه الطبري عن السنوات التي شكلت القسم الأخير من تاريخ الطبري، وتحديداً من (٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م) إلى (٣٠٢هـ / ٩١٤ م)، تبين أن ابن الأثير قدّم مادة أوسع؛ الأمر الذي يؤكد أن ابن الأثير اعتمد في معلوماته عن هذه الفترة على مصادر أخرى، وهذا يعني أن الطبري لم يعد المصدر الأول له عن هذه الفترة. [٣]

---

(١) انظر ص١١٦ من الدراسة.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٧٧ ـ ٣٨٥.

(٣) يمكن المقارنة بين الطبري وابن الأثير في حجم المادة التي قدمها كل منهما عن السنوات الآتية لملاحظة سعة المادة التي قدّمها ابن الأثير قياساً بمادة الطبري عن هذه الفترة: حوادث سنة (٢٧٩ هـ)، الطبري، ج١٠، ص٢٨ ـ ٣١. / ابن الأثير، ج٧، ص٤٥٢ ـ ٤٦٠ ؛ وحوادث سنة (٢٨٢ هـ)، الطبري، ج١٠، ص٣٩ ـ ٤٢. / ابن الأثير، ج٧، ص٤٦٩ ـ ٤٧٥ ؛ وحوادث سنة (٢٩٥ هـ)، الطبري، ج١٠، ص١٣٧ ـ ١٣٩. / ابن الأثير، ج٨، ص٥ ـ ١٣ ؛ وحوادث سنة (٢٩٦ هـ)، الطبري، ج١٠، ص١٤٠ ـ ١٤٢. / ابن الأثير، ج٨، ص١٤ ـ ٥٥ ؛ وحوادث سنة (٣٠٠ هـ)، الطبري، ج١٠، ص١٤٦. / ابن الأثير، ج٨، ص٦٨ ـ ٧٥ ؛ وحوادث سنة (٣٠١ هـ)، الطبري، ج١٠، ص١٤٧ ـ ١٤٨. / ابن الأثير، ج٨، ص ٧٦ ـ ٨٥ ؛ وحوادث سنة (٣٠٢ هـ)، الطبري، ج١٠، ص١٤٩ ـ ١٥١. / ابن الأثير، ج٨، ص٨٦ ـ ٩١.

٨ ـ اختلفت نظرة ابن الأثير إلى الشِعر عن نظرة الطبري إليه، فالطبري اهتم بالشعر، وكان يستقصي كل ما يقع بين يديه من أشعار لخدمة مادته، ويَعدها مصدراً أساسياً؛ لذا أورد مقاطع شِعرية مطولة في سياق أخباره. أما ابن الأثير فكان اهتمامه أكثر بالناحية الجمالية للشعر، لذا كانت المادة الشعرية عنده أقل، فترك نصوصاً كاملة ذكرها الطبري؛ كأبيات كعب بن الأشرف التي تغزّل فيها بأم الفضل بنت الحارث، [1] والأبيات الكثيرة التي قيلت في مدح البرامكة وفي رثائهم، [2] باستثناء خمسة أبيات قيلت رضاً عمّا حدث لهم. [3] وكذا أهمل المقطوعات الشعرية التي قيلت في مناسبة كتابة الرشيد العهد لأولاده. [4] وبالمقابل أثبت نصوصاً طويلة للناحية الجمالية التي تحتويها، كالأبيات الستة والخمسين التي كتبها عبد الله بن خليفة الطائي إلى عدي ابن حاتم أثناء هربه من زياد بن أبيه سنة (٥١ هـ / ٦٧١ م) يعاتبه فيها ويرثي حُجر بن عدي وأصحابه، [5] وكذلك الشعر الذي قاله أبو محمد التميمي في رثاء يزيد بن مزيد الشيباني، حيث وصفه ابن الأثير بأنه أحسن ما قيل في المراثي فأثبَتَه "لجودته". [6]

وكان يكتفي أحياناً بأبيات أو مطالع من القطع الشعرية التي أوردها الطبري حفاظاً على سياق الحدث، كما في أبيات الحجاج بن يوسف التيمي وأبي العتاهية التي يخبران فيها الرشيد بنقض ملك الروم "نقفور" العهد الذي عقده معه سنة (١٨٧ هـ / ٨٠٣ م) ويعدانه بالنصر. [7] ثم في قصيدة مروان بن أبي حفصة التي ذكرها في مدح الرشيد، إذ نقل الطبري جميع أبياتها وهي اثنتان وعشرون بيتاً، ولم يذكر ابن الأثير منها سوى البيت الأول. [8] وكذلك الشعر الكثير الذي أورده الطبري في فتنة الأمين والمأمون. [9] وقد يعود إهمال ابن الأثير هذه القطع

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٤٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٨ ، ص٢٤٣ ــ ٢٤٤، ٢٥١ ــ ٢٥٢، ٢٥٧ ــ ٢٦٠، ٢٦٢ ــ ٢٦٣، ٣٠٠ ــ ٣٠٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٦، ص١٧٩.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٧٦ ــ ٢٧٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٧٨ ــ ٤٨٢.

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص١٦٩ ــ ١٧١.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٨ ــ ٣١٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٨٦.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٤٧ ــ ٣٤٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢١٧.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٤٤٥ وما يليها ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٧٢ وما يليها.

الشِعريـــة إلى افتقارها إلى القيم الأخلاقية كأبيات كعب بن الأشرف، أو إلى قلة حظها من الجمال والفن، أو إلى عدم فائدتها التاريخية. [1] وربما كان لميوله العائلية تأثير في ذلك، ففي الوقت الذي أغفل فيه أبياتاً كثيرة في مدح البرامكة ورثائهم، نجده يعمد إلى تثبيت أبيات قيلت في مـــدح يزيـــد ابن مزيد الشيبانـــي، وكذا في رثائه. [2]

٩ ــ يستخدم ابن الأثير تعبير "قيل" بشكل متكرر، وذلك عندما يكون غير متأكد من صحة الخبر أو من مصدره، وهذا يؤكد دقته في تعامله مع مصادره. ويلاحَظ أن هذا التعبير ورد بشكل مكثف في المادة المتعلقة ببدء الخليقة والتاريخ القديم وتاريخ العرب قبل الإسلام، ثم بدأ يقل تدريجياً فـــي فترات صدر الإسلام والتاريخ العباسي، إلى أن كاد يتلاشى في الفترة الصليبية. الأمر الذي يـــشير إلى ثقته المحدودة بالمادة التي وصلته عن بدء الخليقة والتاريخ القديم.

١٠ــ يلاحـــَظ أن الكتب "المصنفات" هي الأوسع استعمالاً لدى ابن الأثير، باستثناء فترة الحروب الصليبية، وقد شكلت هذه المصنفات بصورة عامة سلسلة متصلة الحلقات، بدأت بتاريخ الطبـــري الذي ينتهي بسنة (٣٠٢ هــ / ٩١٤ م)، ثم تاريخ ثابت بن سنان الذي تناول الفترة مـــن سنـــــة (٢٦٥ هــ / ٨٧٩ م) إلى سنة (٣٦٣ هــ / ٩٧٤ م)، ثم كتاب "تكملة تاريخ الطبري" للهمذانـــي الذي ينتهي بسنة (٤٨٧ هــ / ١٠٩٤ م)، ثم كتاب "تجارب الأمم" لمسكويه الـــذي ينتهـــي بـــسنة (٣٦٩ هــ / ٩٧٩ م)، ثم كتاب "ذيل تجارب الأمم" للوزير أبي شجاع الذي تناول الفترة من ســـنة (٣٦٩ هــ / ٩٧٩ م) إلى سنـــة (٣٨٩ هــ / ٩٩٩ م)، ثم "تاريخ هلال الصابي" الذي يبدأ بـــسنة (٣٦٣ هــ / ٩٧٤ م) وينتهي بسنة (٤٤٧ هــ / ١٠٥٥ م)، ثم كتاب "المنتظم" لابـــن الجـــوزي الذي ينتهي بسنة (٥٧٤ هــ / ١١٨١ م). [3]

---

(١) العبود، عبد الكريم توفيق (١٩٨٢م)، القيمة الأدبية في كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ص١٨٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٤٣، ١٦٩ ــ ١٧١.

(٣) طليمات، ابن الأثير الجزري، ص١١٣ــ ١١٤.

١١ــ أدرك ابن الأثير قيمة المصادر الشفوية والمشاهدة والمعاينة للوقائع، لذا جاءت إشاراته إليها كثيرة، خاصة في مادته عن الفترة الصليبية، وهذا منتظر لكونه معاصراً لها، وشاهد عيان لبعض الأحداث، ولاتصاله ببعض من شاركوا فيها. كما استفاد من الوثائق التي تــوفرت لديـــه كــبعض الكتب الرسمية، بغرض توثيق مادته، ولكي يدعم بها آراءَه.

****

الفصل الرابـع

منهج ابن الأثير في كتاب "الكامل في التاريخ"

أولاً: أسلوب ابن الأثير في معالجة مادته التاريخية:

١ ــ أسلوبه في تنظيم مادته

٢ ــ السمات الفنيه لأسلوبه

٣ ــ الترابط الموضوعي

٤ ــ الاختصار وعدم التكرار

٥ ــ معلومات إضافية

٦ ــ التقويم الميلادي والأشهر الشمسية

٧ ــ "ذِكر عدة حوادث"

ثانياً: النظرة النقدية لدى ابن الأثير:

١ ــ الـدقــة وعدم المبالغة

٢ ــ الترجيح والاجتهاد

٣ ــ نظرة ابن الأثير إلى الحوادث والشخصيات العامة:

ثالثاً: نظرة ابن الأثير إلى التاريخ:

١ ــ المشيئة الإلهية تسيّر التاريخ

٢ ــ أهمية دراسة التاريخ، الفوائد الدنيوية والأخروية

رابعاً: ميــول ابن الأثيــر:

تحاول الدراسة في هذا الفصل أن تتبين خطوط المنهج التي سار عليها ابن الأثير في كتاب "الكامل"، وتسعى إلى تعرّف ملامح أسلوبه في معالجة مادته التاريخية، وكذا نظرته النقدية، ثم تحديد نظرته إلى التاريخ، وتبيّن آرائه وميوله.

أولاً: أسلوب ابن الأثير في معالجة مادته التاريخية:

١ ـــ أسلوبه في تنظيم مادته:

إن السمة الأساسية التي تميز طريقة ابن الأثير في عرض مادته التاريخية هـــي اســـتخدامه مهارات أسلوبية لغاية تنظيم مادته، ولمساعدة القارئ على الإحاطـــة بالموضـــوع دون عنـــاء، كالعناوين التي وضعها للأحداث لتعبِّر عن مضامينها، والعرض المتماسك للمعلومـــات. [١] وكـــذا التمهيد للخبر وتلخيصه، والربط بين الموضوعات المختلفة. لذا اعتاد أن يبدأ كل موضوع بفقـــرة مركـــَّزة تمهيداً للموضوع اللاحق بربطه بموضوع سابق؛ كما في حديثه عن خلق الليل والنهار، وأيهما خـــُلق أولاً؛ إذ بدأه بفقرة ربط بها هذا الموضوع بما ذكره عن الأشياء التي خـــُلقت قبـــل خلق الأوقـــات " وأن الأزمنة والأوقات إنما هي ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قطـــــْع الشمس والقمر درجات الفلـــَك. فلنذكر الآن بأي ذلك كان الابتداء، أبالليل أم بالنهار؟ " [٢] وكذلك في حديثه عن الأحداث التي جرت بين زمن نوح وزمن إبراهيم، وتحديداً أخبار عاد وثمـــود؛ إذ بـــدأه بفقـــرة تذكـــِّر القـــارئ بـــ " ما كان من أمر نوح وأمر ولده واقتـــسامهم الأرض بعـــده، ومساكن كل فريق منهم ..."، ثم دخل في تفاصيل قصتي عاد وثمود. [٣] ثم الخبر عن قصة لـــوط وقومه، الذي بدأه بعبارة " قد ذكرنا مهاجَر لوط مع إبراهيم عليه السلام إلى مصر وعودهم إلـــى الشام ومقام لوط بسدوم. فلما أقام بها أرسله الله إلى أهلها ...". [٤] وبدأ حديثه عن مقتـــل عثمـــان بهذه الفقـــرة: " قد ذكرنا سبب مسير الناس إلى قتل عثمان ... ونذكر الآن كيف قـــُتل وما كـــان بدء ذلك، وابتداء الجرأة عليه قبل قتله. " [٥] وكذا الصفحات التمهيدية التي وضعهـــا فـــي بدايـــة حديثـــه عـــن دخـــول عبـــد الرحمـــن بـــن معاويـــة الأندلـــس سنـــة (١٣٩ هـــــ /٧٥٦ م)، واحتوت على أخبار الأندلـــس مختصرة ومتتابعة منذ الفتـــح حتـــى مجـــيء عبـــد الرحمـــن

---

(١) الرويضي، إمارة الرها، الفصل الخاص بتحليل المصادر، ص٥٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١١٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٧.

ابن معاويـــة. [١] وأحياناً يضع ابن الأثير الفقرة التمهيدية في ختام الموضوع السابق، كمـــا فـــي تمهيده لقصة إبليس بفقرة وضعها في ختام موضوع ابتداء الخلق، [٢] وكذلك تمهيده لأخبار قابيـــل وشيث ابنيْ آدم بفقرة وضعها في ختام خبر وفاة آدم. [٣] ويَستخدم في هذا المجـــال تعـــابير تفيـــد معنى الربط، مثل "وقد ذكرنا ..." و"وقد تقدم ذكر ..." و"وسبب ذلك ما ذكرنا قبل ...". [٤]

وقد تحتوي الفقرة التمهيدية على عبارة عامة تكون بمثابة عنوان يعطـــي تـــصوراً مجمـــلاً للخبر، أو خلاصة للتعريف بالحدث وبنتيجته النهائية وبخطة المؤلف في تناوله قبل الـــدخول فـــي التفاصيل؛ كما في خبر زواج الرسول ﷺ خديجة، إذ بدأه بالعبارة (العنوان): " ونكح رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة." [٥] وكما فـــي خبر فتح أذربيجان سنة (٢٢ هـــ / ٦٤٣ م)، حيث افتتحه بهذه العبارة: " في هذه السنة افتتحـــت أذربيجان ... بعد فتح همذان والرّي وجُرجان، فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثـــم نـــذكر أذربيجـــان بعدها." [٦] وكذا خبر قتل عمرو بـــن سعيـــد الأشـــدق سنـــــة (٦٩ هـــــ / ٦٨٨ م)، بـــدأه بعبـــارة: " في هذه السنة خالف عمرو بن سعيد عبدَ الملك بن مروان وغلب على دمشـــق فقتلـــه ...". [٧] ثم خبر تسليم الملك الكامل وأخيه الملك الأشرف البيت المقدّس للفرنـــــج سنـــــة (٦٢٦ هـــ / ١٢٢٩ م)، بدأه ابن الأثير بهذه العبارة: " في هذه السنة، أول ربيع الآخر، تسلـّـم الفـــرنج، لعنهم الله، البيت المقدّس صلحاً، أعاده الله إلى الإسلام سريعاً. " [٨]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٨٩ ـــ ٤٩٣. انظر أيضاً: الفقرة التمهيدية التي وضعها عند حديثه عـــن خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم، ج١، ص١٢٥، والفقرة التي وضعها في بداية الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاووس إلى أيام بهمن بن إسفنديار، ج١، ص٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٥٢ ـــ ٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠، ٨٥، ١١٨، ٢٧٦، ج٣، ص١٦٧، ج٥، ص٤٨٩ ؛ انظر أيضاً: سالم، السيد عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨١ م، ص١٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩٧.

(٨) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٨٢.

وتنطوي الفقرة التمهيدية أحياناً على تنبيه للقارىء إلى الهدف من تناول خبر معين، ونظـرة المؤلف إلى قيمة الخبر بحد ذاته، كما في حديثه عن الفِجار الأول؛ الذي افتتحه بعبارة تمهيدية يقول فيها: " أما الفِجار الأول فلم يكن فيه كثير أمر ليُذكَر، وإنما ذكرناه لئلا يُرَى ذِكر الفِجار الثاني وما كان فيه من الأمور العظيمة، فيُظن أن الأول مثله وقد أهملناه، فلهذا ذكرناه ". [(١)]

ويحرص ابن الأثير على وضع الخبر الجديد ضمن سياقه التاريخي، فيضع الفقرة التمهيدية ليذكِّر القارىء بما أورده سابقاً عن حادث مرتبط بالخبر الجديد، كالفقرة التي وضعها في بداية خبر ولاية "بكجور" دمشق سنة (٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م)، والتي قال فيها: " قد ذكرنا سنة ست وستين وثلاثمائة ولاية بكجور حمص لأبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان، فلما وليها عمرها؛ وكان بلد دمشق قد خرّبه العرب وأهل العيث والفساد مدّة تحكـّم قسّام عليها، وانتقل أهله إلى أعمال حمص، فعمرت، وكثر أهلها والغلات فيها، ووقع الغلاء والقحط بدمشق ...". [(٢)]

عرَض ابن الأثير مادته بشكل منظم متجنباً العرض العشوائي الذي يشتت القارىء، لذا جاء اهتمامه بالسياق التاريخي للخبر واضحاً، ويمكن ملاحظة سمة التنظيم في كتابة ابن الأثير في استعراضه مثلاً لطبقات ملوك الفرس، [(٣)] كما اعتنى بترتيب موضوعاته ترتيباً تاريخياً منطقياً، وذلك حين يرى أن ثمة علاقة موضوعية تربط حوادث متباعدة زمنياً، فيضعها في سياق متصل، فمثلاً وضَع خبر "بيوراسب" أو الضحاك بعد قصة نوح مباشرة " لأن بعضهم يزعم أن نوحاً كان في زمانه، وإنما أرسل إليه وإلى أهل مملكته ...". [(٤)] وفسّر ذكرَه قصة مُلك أفريدون في موضع قريب من موضع قصة نوح " لأن قصته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتي، ولحسن سيرته، وهلاك الضحّاك على يديه، ولأنه قيل إن هلاك الضحّاك كان على يد نوح. " [(٥)] وأحياناً كان يجمع حوادث موضوع معين، جاءت في سنوات متباعدة، في خبر واحد لقلتها. فمن ذلك تعليقه في نهاية خبر عصيان أهل سجستان على أميرهم خلف بن أحمد سنة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٨٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص١٧.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٧ وما يليها.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٧٧.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٨٣.

(٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م)؛ إذ قال:" وقد كان ينبغي أن نورد كل حادث من هذه الحوادث في سنته، لكننا جمعناه لقلته، فإنه كان يُنسى أوله لبعد ما بينه وبين آخره. " [١] ومن ذلك تعليقه على حزمة من أخبار الأندلس أوردها ضمن حوادث سنة (٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م)، والذي قال فيه: " وكان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث متأخرة، وإنما قدّمناها لتعلـّق بعضها ببعض، ولأن كل واحد منهم ليس له من طول المدة ما تؤخـَّر أخباره وتفرَّق. " [٢]

وكانت لابن الأثير رؤيته في ترتيب الحوادث، فقد أعطى الخبر الأهم "الأولوية" في ترتيب حوادث السنة الواحدة، ففي سنة (٦٥ هـ / ٦٨٥ م) مثلاً تناول ثورة التوابين وقتلهم قبل أن يتناول بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنيْ مروان بولاية العهد. [٣] كما أعطى أخبار الأندلس الأولوية في بعض السنوات، فبدأ بها أخبار السنة، وقد تشغـَل أكثر المساحة المخصصة لأخبار تلك السنة؛ فمثلاً افتتح أخبار سنة (١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) بحديثه عن خروج سليمان وعبدالله ابنيْ عبد الرحمن بن معاوية على أخيهما هشام، ثم تناول خبر خروج سعيد بن الحسين الأنصاري عليه في مدينة طرطوشة، ومطروح بن سليمان في برشلونة، وقد شغَلت هذه الحوادث معظم المساحة التي خصصها ابن الأثير لهذه السنة. [٤] كما خصص سنة (٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م) لغزوات المسلمين في جزيرة صقلية، والحرب بين موسى بن موسى والحارث بن يزيغ في الأندلس. [٥]

ويلاحَظ أن ابن الأثير نوّع في المعايير التي اعتمدها لترتيب الأحداث زمنياً، ففي التاريخ القديم وأخبار العرب قبل الإسلام اتبع طريقة التأريخ بالحوادث المشهورة، [٦] واعتمد أحياناً عهودَ الملوك مقياساً زمنياً لترتيب الحوادث، كما في حديثه عن عهود ملوك الروم والحوادث المهمة التي تخللتها. [٧] وعندما يدخل في الفترة الإسلامية، يعتمد عهود الخلفاء مقياساً زمنياً لترتيب

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٦٤ ــ ٥٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٦٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١٧٥ وما يليها.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص١١٦ ــ ١١٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٧، ص٥ ــ ٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٢، ٣٤٠ وما يليها، ٤٨٢ وما يليها، ٥٠٢ وما يليها.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٤ وما يليها.

الحوادث المتعلقة بغير المسلمين كالروم مثلاً. [(١)]

٢ ــ السمات الفنيه لأسلوبه:

ارتقى ابن الأثير بأسلوبه إلى مستوى فني رفيع، وأظهر مقدرة على تأدية الخبر بلغة طيّعة ومباشِرة وبسيطة، بعيدة عن التكلف والزخرفة اللفظية، فصاغ مادته التاريخية بعبارات مركـَّزة وواضحة مع حرصه الملفت على جماليات النثر في تراكيبه وألفاظه، وهو بذلك يعطي قيمة أدبية لكتابه، ويثبت أهمية الأدب في حقل الكتابة التاريخية. [(٢)] ويظهر هذا جلياً من خلال الصورة الحية التي يقدمها عن الحادثة، كأن القاريء يشاهدها عياناً، ويمكن ملاحظة ذلك في عَرضه لأحداث معركة حطين سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)، [(٣)] وكذلك في مقدمة حديثه عن الغزو التتري للعالم الإسلامي سنة (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)، إذ عرَض فيها خطر ذلك الغزو ووحشيته، وصوّر مشاعره وانفعالاته والرعب الذي سبّبه للعالم الإسلامي. [(٤)]

ونقَد ابن الأثير في بعض المناسبات بعض الحوادث والإجراءات السياسية للدولة مستخدماً أسلوباً ساخراً، ضارباً المثَل المناسب للحادثة، [(٥)] فمثلاً: بعد حديثه عن مبايعة الرشيد لولده المأمون بولاية العهد بعد الأمين سنة (١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)، تعجّب قائلاً: " وحبـُّك الشيء يُعمي ويُصِم ". [(٦)] وفي خبر فشل الصليبيين في الاستيلاء على دمياط بعد حصارهم لها خمسين يوماً سنة (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) وعودتهم إلى الشام مسرعين لسماعهم بأن نور الدين استباح المناطق التي تحت سيطرتهم في الشام، علـّق بقوله: " خرجت النعامة تطلب قرنين رجعت بلا أذنين ". [(٧)] وفي حديثه عن خيانة أتباع ملك سنجار له سنة (٦١٥ هـ / ١٢١٨ م)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٣٤.

(٢) العبود، القيمة الأدبية، (بحوث ندوة أبناء الأثير)، ص٢٠٣ ــ ٢٠٤ ، وتظهر بساطة اللغة في حديث ابن الأثير مثلاً عن أخبار ملوك الفرس بعد كيقباذ، الكامل، ج١، ص٢٤٥ وما يليها.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٣٤ ــ ٥٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٥٨ ــ ٣٥٩ ؛ انظر أيضاً ملاحظات جب عن أسلوب ابن الأثير، دائرة المعارف الإسلامية، مادة "تأريخ".

(٥) طليمات، ابن الأثير الجزري، ص١١٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٦١.

(٧) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٥٢.

لأنه تهَددهم ، قـــال: " فتغدوا به قبل أن يتعشى بهم ". (١) وتظهر نبرة ابن الأثير الساخرة علـــى امتداد "الكامل"، خصوصاً عندما تحدّث عن النزاعات الكثيرة بين الأمراء المـــسلمين وتحالفـــات بعضهم مع الفرنج في الفترة الصليبية. (٢)

ويلاحَظ من ناحية أخرى تسرب المصطلحات الصوفية إلى كتابة ابن الأثير، وهو جزء مـــن تأثير التصوف في الخطاب التاريخي منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر المـــيلادي. فقـــد ورد لدى ابن الأثير قطعتان رثائيتان يمكن دمجهما على النحو الآتي، مع غض النظر عن ماهيـــة الحوادث التي علـــّق عليها ابن الأثير في هاتين القطعتين:

" فتبارك الذي لا يزول ملكه ولا تغيّره الدهور، فأفٍ لهذه الدنيا الدنية كيف تفعل هـــذا بأبنائهـــا، نسأل الله تعالى أن يكشف عن قلوبنا حتى نراها بعين الحقيقة، وأن يُقبل بنا إليه، وأن يشغلـــَنا بـــه عمّا سواه ... وجميع مدة ملكهم من حين ظهر المهدي بسجلماسة في ذي الحجة من ســـنة تـــسع وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد مائتان وإثنتان وسبعون سنة وشهراً تقريباً. وهذا دأب الدنيا لم تعطِ إلا واستردت، ولم تحـــلُ إلا وتمررت، ولم تصفُ إلا وتكدرت، بل صفوها لا يخلو مـــن الكدَر وكدَرها قد يخلو من الصفو. نسأل الله تعالى أن يُقبل بقلوبنا إليـــه ويرينـــا الـــدنيا حقيقـــة، ويزهدنا فيها، يرغبنا في الآخرة. " (٢)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٧٠، ج١٢، ص٣٤٤.

(٢) Maalouf, Amin, The Crusades through Arab eyes, Al Saqi books, London, 1984, P 72.

(٣) الخالدي، طريف، فكرة التاريخ عند العرب، ترجمة حسني زينة، ط١، دار النهار، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٧١. انظر القطعتين في كتاب الكامل، ج١١، ص، ٣٧١.

٣ ــ الترابط الموضوعــي:

سبقت الإشارة إلى أن ابن الأثير أولى الوحدة الموضوعية عنايته، [١] وهذا تطلب منه تقــديم عرض متسم بالترابط بين موضوعات كتابه، ففي قصص الأنبياء مثلاً يلاحَظ أن نقطة البداية لأية قصة هي حلقة مرتبطة بنهاية حلقة القصة السابقة لها؛ ومن ثــَم فإن نهاية القصة الــسابقة هــي نقطة البداية لمجرى القصة اللاحقة. [٢] ويتجسد ذلك مثلاً في قصتيْ أيوب ويوسف، [٣] وقــصتيْ موسى ويوشع بن نون، [٤] وبطبيعة الحال قصتيْ داود وسليمان. [٥]

ويصرح ابن الأثير أحياناً بمنهجه في بداية الموضوع حول ترتيب أو دمج أو جمع حــوادث معينة في سياق واحد، فمثلاً افتتح حديثه عن الحوادث التي جرت أيام ملــوك الطوائــف وقــصة المسيح ويحيى بهذه العبارة: " إنما جمعنا هذين الأمرين العظيمين فــي هــذه الترجمــة لتعلــّق أحدهما بالآخر ". [٦] وقد يُضطر أحياناً إلى إيراد أخبار بعيدة عن سياق الموضوع الذي يكــون بصدده، فمثلاً أورد الحوادث التي وقعت أيام ملوك الطوائف، كنزول قبائل العرب الحيرة وقــصة جذيمة الأبرش وقصة أصحاب الكهف وخالد بن سنان العبسي، أثناء حديثه عــن أخبــار ملــوك الفرس، لكنه رجع إلى هذه الأخبار بقوله : " ونرجع إلى أخبـــار ملـــوك الفــرس لــسيــاق التاريــخ ... ". [٧] وقد يكون خروج ابن الأثير عن السياق لضرورة إكمــال الــصورة العامــة للأحداث، فمثلاً أدخــَل حادثة تنصُّر ملك الروم قسطنطين ضِمن موضوع ملوك الفرس، وذلــك بمناسبة حديثه عن علاقة سابور بن أردشير ملك الفرس بقسطنطين وخلفائه. [٨] واضــطر ابــن الأثير في مناسبة واحدة إلى تناول الحادثة مرتين، وهي وقعــة "أجنــادين"، وقــد فــسّــر ذلــك باختــلاف الروايــات فــي توقيــت الوقعــة؛ قبــل اليرمــوك أو بعدهــا، فأوردهــا بعد خبر

---

(١) انظر عناية ابن الأثير بالوحدة الموضوعية في الفصل الثاني من هذه الدراسة ص٥٠ ــ ٥١.

(٢) جلوب، منهجية ابن الأثير، (بحوث ندوة أبناء الأثير)، ص٣٦٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٩.

(٦) المصدر نفسه ج١، ص٢٩٨.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٦.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٦ ــ ٣٩٧.

اليرموك، [١] ثم بعد خبـــر فتح بَيْسان، [٢] وبالتالي ظهرت في سياقين مختلفين، وأوضح ذلك فـــي ملاحظته التي ختم بها خبر الوقعة؛ " وقد تقدَّم ذكر وقعة أجنادين على قـــول مـــن يجعلهـــا قبـــل اليرموك، وسياقها على غير هذه السياقة، فلهذا ذكرناها هنالك وهنا." [٣]

إن عناية ابن الأثير بالسياق التاريخي تطلبت منه في بعض المناســبات تقــديم حــوادث أو تأخيرها ليكون الموضوع متكاملاً؛ ففي ختام حديثه عن حلف المطيّبين والأحلاف قـــال: " وكـــان ينبغي أن نذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه قريش، وإنما أخّرناه للـــزوم تلـــك الحـــوادث بعـــضهـــا ببعض." [٤] وأخّر خبر غزوة مؤتة التي حدثت في جمادى الأولى من سنـــة (٨ هــــ / ٦٢٩ م) إلى حين انتهائه من بقية الغزوات التي جرت في هذه السنة ، وقال في بدايته: " كـــان ينبغـــي أن نقدّم هذه الغزوة على ما تقدّم، وإنما أخّرناه لتتصل الغزوات العظيمة فيتلو بعـــضها بعـــضاً. " [٥] وكذلك قدّم خبر هزيمة مروان بن محمد بالزاب على خبر قتل إبراهيم الإمـــام، " لتتبـــع الحادثـــة بعضها بعضاً. " [٦] وأخـــَّر الحديث عن ظهور أسد الدين وأخيه نجم الدين أيوب واتصالهما بنور الدين، ووضَعه في سياق واحد بعد خبر وفاة أسد الدين ســـنة (٥٦٤ هــــ / ١١٦٩ م). [٧] وقـــد يكون التقديم والتأخير بداعي اتصال موضوعات متأخرة زمنياً بأخبار محـــــددة أوردهـــا فـــــي السنـــة ذاتها؛ فمثلاً: قدَّم خبر ولاية زهير بن قيس إفريقية ومقتله ووضعه ضمـــن أحـــداث ســـنة (٦٢ هـــ / ٦٨٢ م)، مع أنه أشار إلى أن ولاية زهير وقتله كانت سنة (٦٩ هـــ / ٦٨٨ م)؛ وقام ابن الأثير بذلك "ليتصل خبر كسيلة ومقتله، فإن الحادثة واحدة، وإذا تفرقت لم تـــُعلم حقيقتها." [٨]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤١٧ ــ ٤١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩٨ ــ ٤٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٢٣.

(٧) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٤١ ــ ٣٤٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٠. انظر أيضاً: خبر شخوص الرشيد إلى قـــَرْماسين ومعه المأمون سنـــة (١٨٩ هـــ)، وضعه ابن الأثير في أخبار سنة (١٨٦ هـــ) لارتباطه بالحديث عن البيعة للأمين والمأمون التي كانت في هذه السنة، وقد جدد البيعة للمأمون في رحلته إلى قرماسين، ج٦، ص١٧٣.

وقد يعود ابن الأثير بالقصة إلى بداياتها ليصل بها إلى الحدث الذي يريده ولتكتمل الصورة لدى القارىء، ففي خبر مقتل "عبيد الله بن الحر الجُعفي" لم يكتفِ بالإشارة إلى حادثة مقتله التي وقعت سنة (٦٨ هـ / ٦٨٧ م) فحسب، وإنما عاد بقصته إلى زمن عثمان ووقعة صفين، وقدّمها بالتفصيل. [١] وكذا في خبر مقتل "عمير بن الحُباب السُلَمي" سنة (٧٠ هـ / ٦٨٩ م)، الذي بدأه بالإشارة إلى ظروف الحرب بين قيس وتغلب التي وقعت بعد "مرج راهط" سنة (٦٤ هـ / ٦٨٤ م)، إلى أن آل الأمر إلى مقتل عمير. [٢]

ويمكن ملاحظة اهتمام ابن الأثير بالسياق التاريخي في أمثلة أخرى مهمة، كخبر فتح الأندلس الذي قدّمه كقصة متكاملة بدأها بالحديث عن الأقوام التي سكنت الأندلس قبل الفتح، وأكملها إلى نهاية الفتح. [٣] ثم خبر استيلاء "عبد الرحمن بن حبيب" على إفريقية سنة (١٢٦ هـ / ٧٤٤ م) والأحداث التي تلته، وختم ذلك بهذا التنويه: " وإنما أوردنا هذه الحوادث متتابعة لتعلّق بعضها ببعض على ما شرطناه، وقد ذكرنا كل حادثة في أي سنة كانت فحصل الغرضان. " [٤] ولعل هذا التنويه يشكل مثالاً جيداً للتوفيق بين التسلسل الزمني ووحدة الموضوع عند ابن الأثير. ومن الأمثلة أيضاً: خبر قيام الدولة الفاطمية في إفريقية، الذي وضعه في سياق متصل ضمن حوادث سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م)، مع أن هناك حوادث جرت في سنة (٢٩٧ هـ / ٩١٠ م) وفي سنة (٢٩٨ هـ / ٩١١ م)، [٥] ثم حديثه عن ظهور السلاجقة سنة (٤٣٢ هـ / ١٠٤١ م) الذي وضعه تحت هذا العنوان: " ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة ". [٦]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٨٧ ــ ٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠٩ ــ ٣١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٥٦ ــ ٥٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣١٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤ وما يليها.

(٦) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٧٣. انظر أيضاً جمْع ابن الأثير أخبارَ دخول العرب إلى إفريقية وحروبهم مع البربر هناك في سياق واحد، وقد استمرت من سنة (٤٤٢ هـ) إلى سنة (٤٥٣ هـ)، وعلّق في آخرها قائلاً: " وكان ينبغي أن يأتي كل شيء من ذلك في السنة التي حدث فيها، وإنما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته، فإنه إذا انقطع وتخللته الحوادث في السنين لم يُفهم. "، ج٩، ص٥٧٠ ؛ وكذا حديثه المطول عن أحوال الباطنية خلال عدة سنوات، جمعها في مقدمة خبره الرئيسي وكان عن =

ويلاحَظ مما سبق أن ابن الأثير كان ينبه القارىء باستمرار إلى النهج الذي سيتّبعه في عرض موضوعاته وتنظيم مادته، من خلال تعليقاته التي يضعها في بداية كل موضوع أو في نهايته، وتنطوي التعليقات أحياناً على تبريرات موجهة للقارىء لاختياره نهجه الذي ارتآه في عرض الموضوع.

٤ ــ الاختصار وعدم التكرار:

تميّزت كتابة ابن الأثير بالتركيز، لذا نزع إلى "الاختصار" و"عدم التكرار" في عرض المعلومات، فحذف الروايات المتكررة، واختار للحادثة رواية واحدة ثم أكملها بمعلومات من غيرها، وقد سبقت الإشارة إلى أنه اعتمد أتم الروايات، ثم أضاف إليها معلومات من مصادر أخرى. [١] ولما كان قد حذف الأسانيد وأهمل الإشارة إلى بعض مصادره وجد نفسه حرّاً بين انتخاب الرواية "الأتم" وبين الجمع بين الروايات المتعددة للخروج بصيغة واحدة في وصف الحدث. [٢] ويظهر نزوع ابن الأثير إلى الاختصار والتلخيص في الموضوعات التي يرى أن لا حاجة إلى التفصيل فيها في "التاريخ المختصَر"، كما في موضوع "الكلمات" التي ابتلى الله بها إبراهيم؛ إذ اختصره بمجموعة محدودة من أقوال ابن عباس والحسن، وعلّق في الختام بهذه العبارة: "وإنما ذكرنا هذا القدْر لئلا يخلو من فصول الكتاب. " [٣] ثم في موضوع أولاد إسماعيل، [٤] وكذا في الأخبار عن دلائل النبوة، استبعدها ابن الأثير لكثرة الكتب التي صُنفت فيها، إذ " ذكروا فيها كل عجيبة، ليس هذا موضع ذكرها. " [٥] واختصر حادثة الهجرة بشكل ملفت؛ إذ استبعد تفاصيل مشهورة، كالحوار بين الرسول ﷺ وأبي بكر في الغار، وقصة نسيج

= أمْر السلطان بركيارق بملاحقة الباطنية وقتلهم سنة (٤٩٤ هــ)، ج١٠، ص٣١٣ ــ ٣٢١ ؛ ثم الصورة المنسقة التي قدّمها ابن الأثير للسنوات الأربع للاضطراب الصليبي من سنة (٦١٤ هــ) إلى (٦١٨ هــ) وانتهت بخسارتهم دمياط، ج١٢، ص٣٢٠ وما يليها ؛ روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، ص٢٠٢.

(١) انظر الفصل الثالث من الدراسة، ص٩٥ وما يليها.

(٢) انظر: عبد الحميد، صائب، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ط١، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٢١ هــ ــ ٢٠٠١م، ص٢١٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ١١٣ــ ١١٤ ؛ للمقارنة انظر الطبري، تاريخ، ج١، ص٢٧٨ ــ ٢٨٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٢٥ ؛ للمقارنة انظر الطبري، تاريخ، ج١، ص٣١٤ ــ ٣١٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٧.

العنكبوت وعش الحمامة، ووصول رجال من قريش إلى الغـار. [١] واختـصر أيـضاً سلـسلة الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرنج عند عكا سنة (٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م)، واكتفى بذكـر " الأيام الكبار لئلا يطول ذلك ". [٢]

ويتصل بذلك استبعاده للشعر الذي يرى عدم الفائدة من إيراده، كتركه الكثير من الشعر الذي قيل في "بسطام بن قيس" المعروف بأبي الصهباء في أحد الأيام بين شيبان وتميم "اختـصاراً". [٣] وقد سبقت الإشارة إلى نظـرة ابن الأثير إلى الشعر؛ إذ لم يعتمده مصدراً تاريخياً. [٤]

وثمة موضوعات اختصرها ابن الأثير بدعوى اختلاف العلماء فـي تفاصـيلها؛ كمـا فـي موضوع "بخت نصّر وعمـارة بيـت المقدس". [٥] وكذا موضوع ولاة اليمن من قِبل الفـرس، الذي علـّق عليه بهذه العبارة: " وقد اختلفوا في ولاة اليمن للأكاسرة اختلافاً كثيراً لـم أرَ لـذكره فائدة. " [٦]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٠١ ــ ١٠٨ ؛ وردت حادثة الهجرة عند ابن الأثير في حوالي ست صفحات، في حين وردت عند الطبري في ثماني عشرة صفحة، انظر الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٦٩ ــ ٣٨٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٣٤ ــ ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٢.

(٤) انظر الفصل الثالث من الدراسة ص١٠٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٦١ ــ ٢٧١ ؛ للمقارنة انظر الطبري، تاريخ، ج١، ص٥٣٨ ــ ٥٥٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٥١ ؛ ويمكن ملاحظة نزعة ابن الأثير إلى الاختصار في عرض مادته من خلال الأمثلة الآتية: خبر صلح نصر بن سيار مع الصغد سنة (١٢٣ هـ)، اختصره ابن الأثير في نصف صفحة، ج٥، ص٢٥٠ ، بينما ورد عند الطبري في ست صفحات، ج٧، ص١٩٢ ــ ١٩٧ ؛ وخبر ظهور يحيى بن عبد الله العلوي بالدَّيلم سنة (١٧٦ هـ)، ورد عند ابن الأثير في حدود صفحة واحدة، ج٦، ص١٢٥ ــ ١٢٦ ، بينما ورد عند الطبري في أكثر من تسع صفحات، ج٨، ص٢٤٢ ــ ٢٥١ ؛ وخبر كتاب الرشيد بولاية العهد لأبنائه سنة (١٨٦ هـ)، إذ ورد عند ابن الأثير في صفحة واحدة، ج٦، ص١٧٣ ، بينما ورد عند الطبري مفصَّلاً في إحدى عشرة صفحة، ج٨ ص ٢٧٥ ــ ٢٨٦ ؛ وخبر عزل علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرثمة سنة (١٩١ هـ)، ورد عند ابن الأثير في حوالي صفحتين، ج٦، ص٢٠٣ ــ ٢٠٥ ؛ بينما ورد عند الطبري في أكثر من ثلاث عشرة صفحة، ج٨، ص٣٢٤ ــ ٣٣٧.

وفي سياق عناية ابن الأثير بالتركيز استخدم أسلوب التلخيص لروايـــات الطبـــري، وأكثـــر الأمثلة على هذا الأمر جاء في موضوعات بدء الخليقة؛ كما في موضوع "القول في الزمـــان"، [١] وموضوع "خلق الشمس والقمر وسيْرهما"، [٢] وكذا في موضوع نسبة جيومرث لآدم. [٣]

وفي السياق ذاته تجنب ابن الأثير التكرار في عرض مادته، ففي قصة الـــشـــورى سنـــــة (٢٣ هـــ / ٦٤٤ م)، استقصى كل ما قيل فيهـــا دون أن يكـــرر معلوماتـــه. [٤] وفـــي ختـــــام الخبـــر عـــن حادثة خروج "عذرة الذمي" على يوسف بن عبد الرحمن الفهري في الأندلس سنـــة (١٢٩ هـــ / ٧٤٧ م)، أشار ابن الأثير إلى أن هذه الحادثة وردت " من جهة أخرى وفيها بعـــض الخلاف، وسنذكرها سنة تسع وثلاثين ومائة عند دخول عبد الرحمن الأموي الأنـــدلس. " [٥] وإذا اضطر إلى نقل أكثر من رواية للحادثة، فإنه يحرص على نقل ما فيه إضافة من كل روايـــة دون تكرار؛ كما في حادثة مسير ثوار أهل الكوفة إلى الشام سنة (٣٣ هـــ / ٦٥٣ م)، [٦] وكـــذا فـــي حادثة مقتل عثمان سنة (٣٥ هـــ / ٦٥٥ م). [٧]

وأخيراً تجنب ابن الأثير تكرار معلوماته التي وردت في كتاب "الباهر"، ويظهر ذلـــك مـــن خلال إحالاته المتكررة بالرجوع إلى "الباهر" والتي وجّه القارىء إليها . [٨]

ويلاحَظ أن اتجاه ابن الأثير للاختصار يظهر أكثر في مادته عن بـــدء الخليقـــة والتـــاريخ القديم، ويقل هذا الاتجاه تدريجياً كلما اقترب من أحداث عصره. ويفسَّر ذلك بحرص ابن الأثيـــر على تجريد تاريخه من المادة الأسطورية الموجودة في مصادره عن بدء الخليقة والتاريخ القـــديم. كما أن ثقته بالمادة التاريخية المتوفرة لديه تزداد تدريجياً كلما اقترب من عصره.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٣ ؛ الطبري، تاريخ، ج١، ص١٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢١ ـــ ٢٢ ؛ الطبري، تاريخ، ج١، ص٦٥ ـــ ٨٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٥ ـــ ٤٧ ؛ الطبري، تاريخ، ج١، ص١٤٦ ـــ ١٥١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦٥ وما يليها.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص١٣٧ ـــ ١٤٤ ؛ لاحِظ هذه العبارة التي قالها ابن الأثير في بداية إحدى الروايات عن الحادثة ذاتها: "قيل: وقد روي أيضاً نحو ما تقدّم وزادوا فيه أن معاوية لما ..."، ج٣، ص١٤٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٧ وما يليها.

(٨) المصدر نفسه، ج١١، ص١١٢، ٤٠٣.

٥ ــ معلومات إضافية:

حاول ابن الأثير أن يطبع تاريخه بسِمة الشمول، فلم يتوقف عند الحدود الضيقة للحادثة التي يتناولها، وإنما حرص على إضافة جوانب ذات صلة غير مباشرة بها، وهذه الإضافة تفيد في فهم ظروف الحادثة وتعطي صورة شاملة وحيوية لها. لذا حاول أن يقدم تفسيرات خاصة به لبعض المسائل التي ليست من صميم الخبر، أو ينقل تفسيرات المؤرخين لها، أو يعطي معلومات إضافية في سياق حديثه عن بعض الحوادث، أو يضبط المفردات الغامضة الواردة في ثنايا الخبر، أو يشرح بعض النصوص الأدبية التي ثبّتها، أو يعرّف القارىء بالمواقع التي تبدو غريبة ويحددها جغرافياً، أو يصف القلاع والحصون التي ترد في الخبر. ويبدو أن ثقافة ابن الأثير الواسعة والمتعددة الجوانب انعكست في هذا التنوع في اهتماماته.

ويمكن تبيّن عناية ابن الأثير بــ "المعلومات الإضافية" في العديد من الأمثلة الممتدة في كل مجلدات "الكامل"؛ ففي حديثه عن "الصابئين" وهو الاسم الذي أطلق على الطبقة الأولى من ملوك الروم قدّم تفسيراً لتسمية أحدهم وهو أوغسطس بالقيصر؛ بأنه " شُقَ عنه بطن أمه لأنها ماتت وهي حامل به، فأخرج من بطنها، ثم صار ذلك لقباً لملوكهم "، وفسّر ابتداءَ أكثر المؤرخين باسمه حين يؤرخون لملوك الروم بأنه " أول من خرج من رومية وسيّر الجنود براً وبحراً ...". [(١)] وفي سياق حديثه عن الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة أشار إلى "السنهودس الثاني" وهو الاجتماع الأسقفي الذي عقد في القسطنطينية في عهد الملك "تدوس الكبير"، وحضره مائة وخمسون أسقفاً، منهم بَطرق الإسكندرية وبَطرق أنطاكية وبَطرق البيت المقدّس، وأضاف معلومات عن كراسي النصرانية، بأن " المدن التي يكون فيها كراسي البطرق أربع: إحداها رومية، وهي لبطرس الحواريّ، والثانية الإسكندرية، وهي لمرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة، والثالثة القسطنطينية، والرابعة أنطاكية، وهي لبطرس أيضاً. " [(٢)]

وفي السياق ذاته أضاف معلومات جانبية عن "نقفور" أحد ملوك الطبقة الثالثة، هي أن ملوك الروم قبله كانت تكتب: " من فلان ملك النصرانية، فكتب نقفور: من فلان ملك الروم، وقال: لستُ ملكَ النصرانية كلها. وكانت الروم تسمي العرب سارقيوس، يعني: عبيد سارة،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣١ ــ ٣٣٢.

بسبب هاجر أم إسماعيل، فنهاهم عن ذلك .... ". [١]

واهتم ابن الأثير بتعريف القارىء بالمواقع التي تبدو غير معروفة، وبتحديدها جغرافياً، وهذا يشير إلى عنايته بالجغرافية التاريخية، فبعد حديثه عن سرية عمرو بن كعب الغِفاري إلى "ذات أطلاح" سنة (٨ هـ / ٦٢٩ م)، حدد المنطقة جغرافياً بأنها من نواحي الشام، وعرّف سكانها بأنهم " من قضاعة، ورئيسهم رجل يقال له سدوس." [٢] وافتتح حديثه عن "يوم الثرثار الأول" سنة (٧٠ هـ / ٦٨٩ م) بهذا الوصف الجغرافي الدقيق: " والثرثار نهر أصل منبعه شرقي مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها سُرَّق ويفرغ في دجلة بين الكحيل ورأس الأيل من عمل الفرَج. " [٣] وفي السياق ذاته حدد موقع "الفـُدَين" جغرافياً بأنها قرية تقع على الخابور، وذلك عند حديثه عن "يوم الفـُدَين" في السنة ذاتها. [٤] وكذلك عند حديثه عن "يوم البَليخ"؛ " والبَليخ نهر بين حرّان والرَّقـة "، [٥] و"يوم الحشَّاك"؛ والحشَّاك " هو تل قريب من الشَّرعبية، وإلى جنبه بـراق "، [٦] و"يوم الكـُحَيْـل"؛ " وهو من أرض الموصل في جانب دجلة الغربي. " [٧] مع ملاحظة تأثير قرب بعض المواقع من موطن ابن الأثير في دقته في وصفها.

وافتتح ابن الأثير الخبر عن سيطرة نور الدين زنكي على "حصن شَيْزر" سنة (٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) بوصف لموقع الحصن وتعريف بسكانه: " هذا الحصن قريب من حماة، بينهما نصف نهار، وهو على جبل عالٍ منيع لا يُسلـَك إليه إلا من طريق واحدة. وكان لآل مُنقذ الكنانيين يتوارثونه من أيام صالح بن مرداس ...". [٨] وفي السياق ذاته قدّم وصفاً دقيقاً ومهماً لقلعة "بَرْزَيَة" عند حديثه عن سيطرة صلاح الدين عليها سنة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)؛ " وهي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٣١١.
(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٣١٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص٣١٥.
(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٣١٥.
(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٣١٨.
(٨) المصدر نفسه، ج١١، ص٢١٩.

تقابل حصن أفامية، وتناصفهـــا في أعمالها، وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصي وعيون تتفجّر من جبل برزية وغيره ... وهذه القلعة لا يمكن أن تقاتـَـل من جهة الشمال والجنوب البتة، فإنهـــا لا يقدر أحد أن يصعد جبلها من هاتين الجهتين، وأما الجانب الشرقي فيمكن الصعود منـــه لكـــن لغير مقاتل، لعلوه وصعوبته، وأما جهة الغرب فإن الوادي المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعـــاً كثيراً حتى قارب القلعة، بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام ...". (١)

من ناحية أخرى حرص ابن الأثير على تقديم شروح لبعض النصوص الأدبية التي أوردهـــا، والمثال الأهم في هذا المجال الشرح الذي قدَّمه لخطبة الحَجاج حين ولاه عبد الملـــك العـــــراق سنـــة (٧٥ هــ / ٦٩٤ م)، والذي احتوى على معان معجمية للمفردات الغريبـــة الـــواردة فـــي الخطبة. (٢) ويتصل بهذا الأمر اهتمام ابن الأثير الملفت بضبط المفردات الغريبة في نهايـــة كـــل خبر؛ كضبطه المفردات الواردة في نسب الرسول ﷺ، (٣) والواردة في حديثـــه عـــن "العواتـــك"، (٤) وكذا الواردة في خبر تعذيب المستضعفين من المسلمين في مكة، (٥) ثم في خبر ردة "طليحـــة الأسدي". (٦) ويلاحَظ أن أكثر المفردات التي ضبطها ابن الأثير خـــاص بأســـماء شخـــصيات أو مواقع، وتقل عنايته بضبط المفردات تدريجياً كلما اقترب من عصره، ربما لقلة المفـــردات التـــي تحتاج إلى ضبط. مع ملاحظة ورود أسماء غير عربية بكثرة في تاريخه في الفتـــرات البويهيـــة والسلجوقية وما تلاها، بحكم هيمنة غير العرب على مقاليد الأمور.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص١٤. انظر أيضاً الوصف الدقيق الذي قدَّمه ابن الأثير للأبراج الثلاثة التي صنعها الفرنج في عكا وأحرقها صلاح الدين سنة (٥٨٦ هــ)، ج١٢، ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨، ٢٣ ــ ٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٥ ــ ٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤٩. انظر أيضاً على سبيل المثال: ضبط ابن الأثير المفردات الواردة في كل من خبر "الحرب بين ابن خازم وتميم" سنة (٦٥ هــ)، ج٤، ص٢١٠، وخبر "خروج صالح بن مسرِّح" في الموصل سنة (٧٦ هــ)، ج٤، ص٣٩٦، والأسماء الواردة في أنساب وفيات سنة (١١٤ هــ)، ج٥، ص١٨٠، ووفيات سنة (١٤٤ هــ)، ج٥، ص٥٢٨، وكذا المفردات الواردة في خبر "الفتنة بدمشق" بين المضرية واليمانية سنة (١٧٦ هــ)، ج٦، ص١٣٣، وفي خبر "ولاية زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقيا" سنة (٢٠١ هــ)، ج٦، ص٣٣٣.

٦ ـــ التقويم الميلادي والأشهر الشمسية:

توفرت عناصر الدقة والشمول والتركيز والنقد في كتابة ابن الأثير، وهذه عناصـــر أساســـية في منهج البحث التاريخي. وضمن هذا السياق جاءت عنايته الملفتـــة بـــضبط بعـــض الحـــوادث بالأشهر الشمسية إلى جانب الأشهر القمرية، وهذه تؤكد نضج الفكر التاريخي لديه.

تكررت إشارات ابن الأثير إلى الأشهر الشمسية في تأريخه للفترات منـــذ القـــرن الثالـــث الهجري/ التاسع الميلادي وحتى عصره، وقد وضَعَها قاصداً ضمن سياقات لا تـــُفهم إلا بهـــا؛ فتبعاً لاهتمام ابن الأثير بالظواهر الطبيعية، كان من الضروري أن يربط تواريخ الحـــوادث ذات الصلة بفصول السنة، وتحديداً بالأشهر الشمسية لأنها الأهم في هذا المجال. وفي مناسبات عديـــدة استخدَم الأشهر الشمسية لكي يلاحظ القارىء المفارقات المرتبطة بالظواهر غير المألوفة، كهطول المطر الغزير والبرَد في شهر آب، أو ظهور مخلوقات غريبة في أوقات معينة. والأمثلـــة التـــي تؤكد ذلك من الكتاب عديـــدة؛ ففـــي سنـــة (٢٤١ هـــ / ٨٥٥ م) "مُطر الناس بـــسامرّا مطـــراً شديداً في آب. "[١] وفي سنة (٣٣٢ هـــ / ٩٤٤ م) " ... في شعبان، وهو الواقع في نيسان، ظهر في الجو شيء كثير ستر عين الشمس ببغداد، فتوهَّمه الناس جراداً لكثرته، ولم يشكـــّوا في ذلـــك، إلى أن سقط منه شيء على الأرض، فإذا هو حيوان يطير في البـــساتين ... ويـــسمّيه الـــصبيان طحـــّان الذريرة."[٢] وفي سنة (٣٤٢ هـــ / ٩٥٤ م) " ... في الحادي والعـــشرين مـــن شـــباط، ظهر بسواد العراق جراد كثير أقام أياماً وأثـــّر في الغلات آثـــاراً قبيحـــة ..."،[٣] وفي سنـــــة (٥٣١ هـــ / ١١٣٧ م) " ... في الرابع والعشرين من أيار، ظهر بالشام سحاب أسود أظلمت لـــه الدنيا، وصار الجو كالليل المظلم، ثم طلع بعد ذلك سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الدنيا، وهبت ريح عاصف ألقت كثيراً من الشجر، وكان أشد ذلك بحوران ودمشق، وجاء بعده مطر شديد وبرَد كبار."[٤] وفي سنة (٦٢١ هـــ / ١٢٢٤ م) " ... أول آب، جـــاء ببغداد مطر برعـــد وبـــرق،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٤١٦ ـــ ٤١٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٤.

وجرت المياه بباب البصرة والحربية، وكذلك بالمحوّل، بحيث أن الناس كانوا يخوضون في المـــاء والوحل بالمحوّل. " [(١)] فابن الأثير حرص على الدقة في تحديد اليوم فضلاً عن الشهر. وثمة خبر استخدم فيه ابن الأثير الشهر الشمسي يشير إلى تحرك عسكري قام به صلاح الدين، وهو رحيلـــه عن صور بعد حصاره لها مدة شهرين تقريباً وانتقاله إلى عكـا ســنة (٥٨٣ هـــ / ١١٨٧ م): "... فرحل عنها آخر شوال، وكان أول كانون الأول، إلى عكا ...". [(٢)] ولعل ابن الأثير أراد مـــن تحديد اليوم والشهر الشمسي في تأريخ هذا التحرك ليشير إلى الظروف الجوية المتوقعة وتأثيرها.

والسياق الثاني الذي استخدم فيه ابن الأثير الأشهر الشمسية يتمثل فـــي العلاقـــات الإســـلامية الفرنجية، فابن الأثير لم يُغفل أهمية التأريخ بالأشهر الشمسية بالنسبة للفرنج، خصوصاً فيما يتعلق بالاتفاقيات. والأمر الملفت أنه استخدم الأشهر الشمسية في تأريخ الجانب السياسي من العلاقـــات بين المسلمين والفرنج. وهناك مثالان صريحان في هذا المجال؛ الأول: خبر الهدنة التـــي عقـــدها صلاح الدين مع "البيمند" صاحب أنطاكية سنة (٥٨٤ هــ / ١١٨٨ م)، إذ حرص ابن الأثير على تحديد فترة الهدنة بدقة مستخدماً الأشهر الشمسية، باليوم والشهر: " ... واصطلحوا ثمانية أشـــهر، أولها: أول تشرين الأول، وآخرهـــا آخـــر أيـــار ..." . [(٣)] والثاني: خبر الهدنـــة التـــي عقـــدها صلاح الدين مع ملك "إنكلتار" بعد استيلاء صلاح الدين على يافا سنة (٥٨٨ هــ / ١١٩٢ م)، إذ بدأه ابن الأثير بهذه العبارة: " في العشرين من شعبان من هذه السنة عـــُقدت الهدنة بين المسلمين والفرنج لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر، أولها هذا التاريخ، وافق أول أيلول ...". [(٤)] وهكـــذا أدرك ابن الأثير أهمية تحديد فترة الهدنة بالأشهر القمرية والشمسية معاً، للوقوف علـــى مـــدى التـــزام الطرفين بفترة الهدنة، ويبدو أنه اطـــّلع على نصوص الهدنة مباشرة، بحيث استطاع التعرف إلى هذه المعلومات التفصيلية.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٤٢٤. يمكن تتبع الإشارات التي تؤكد اهتمام ابن الأثير بالأشهر الشمسية وربطها بالظواهر الطبيعية في الصفحات الآتية من كتاب "الكامل"، ج٨، ص٣٧٧، ٤١٦، ٥٢٨، ج٩، ص٥٦، ٣٦٣، ج١٠، ص٤٧٠، ج١١، ص٧٧، ج١٢، ص٤٤٩، ٤٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١٢،ص١٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٨٥.

ويتمثل السياق الثالث في ما يمكن تسميته بـ "عالمية الحدث"، والمثال الأبرز في هذا المجال؛ الافتتاحية المهمة التي وضعها ابن الأثير في بداية حديثه عن حوادث سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)؛ السنة التي استعاد فيها المسلمون بيت المقدس، يقول: " اتفق أول هذه السنة يوم السبت، وهو يوم النوروز السلطاني، ورابع عشر آذار سنة ألف وأربع مائة وثمان وتسعين إسكندرية، وكان القمر والشمس في الحمَل، واتفق أول سنة العرب، وأول سنة الفرس التي جددوها أخيراً، وأول سنة الروم، والشمس والقمر في أول البروج، وهذا يبعد وقوع مثله. "[١]

يبدو أن ابن الأثير أراد من هذه الإشارة المركَّزة إلى التوافق بين هذه التقاويم، تنبيه القارىء إلى أن هذا التوافق لم يحدث مصادفة، فالمشيئة الإلهية قدّرتْه لأهمية الحدث الذي وقع في هذه السنة على مستوى العالم؛ إنه عودة بيت المقدس إلى المسلمين، فالروم والفرنج والفرس يعنيهم موضوع بيت المقدس مثلما يعني المسلمين على حد سواء، وهذا يستحق من القدَر الإلهي التدخل لإعطاء سنة (٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م) هذه القيمة "التقويمية".

٧ ـ "ذِكر عدة حوادث":

استطاع ابن الأثير أن يرسم صورة مقربة للوضع الداخلي للمجتمع الإسلامي، من خلال المعلومات القيّمة والمتنوعة التي جمعها تحت عنوان "ذكر عدة حوادث"، وقد وضعه في نهاية أخبار كل سنة.

ومع ذلك فقد عـَدّ ابن الأثير هذه المعلومات ثانوية؛ إذ وصفها في مقدمة " الكامل" بـ "الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة"، ثم قال: " إنني أفردتُ لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة، فأقول: ذكر عدة حوادث ... وذكرتُ في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء. "[٢] لعل ابن الأثير أراد بالحوادث "الصغار" تلك التي لا يرى لها تأثيراً في التحولات السياسية والعسكرية. ومع ذلك شكلت المعلومات التي اندرجت تحت عنوان "ذكر عدة حوادث" ما يمكن وصفه بحصاد العام بتعبيرنا المعاصر، واشتملت على معلومات حضارية؛ اقتصادية واجتماعية وثقافية ومصالح عامة، واشتملت أيضاً على أكثر مادة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤.

ابن الأثير عن الفتن والكوارث والظواهر الطبيعية. ففي المجال الاقتصادي رصد فترات الرخاء والغلاء والأزمات الاقتصادية التي مر بها المجتمع، [١] وفي المجال الاجتماعي تتبع ابن الأثير حركات العيارين واللصوص وقطاع الطرق، وتأثير نشاطهم سلباً على أوضاع الناس المعيشية، كما ربط بين نشاطهم وبين الظروف السياسية. [٢] واهتم ابن الأثير أيضاً برصد تطورات الحياة الثقافية، فركَّز على وفيات كل سنة من الشخصيات العامة والفقهاء والمحدثين والقضاة والصوفية والفلاسفة والأطباء وأهل الكلام والمؤرخين والأدباء والشعراء والفلكيين، وأشار إلى المركز العلمي لكل منهم، وقيَّم مجهوداتهم، وذكَر تصانيفهم، ونوه بدورهم في الحياة العامة، وأشار أحياناً إلى حياتهم الخاصة. [٣] وتحت هذا العنوان أيضاً رصد ابن الأثير الفتن الداخلية، [٤]

---

(١) السامر، ابن الأثير، ص٩٣ ؛ انظر هذا الجانب من اهتمام ابن الأثير في الفصل الثاني من هذه الدراسة، ص٧٦ ــ ٨٣، ويمكن تتبع إشارات ابن الأثير إلى الظروف الاقتصادية، والتي جاء أكثرها تحت عنوان "ذكر عدة حوادث" في الصفحات الآتية من "الكامل"، ج٦، ص٣٨٤، ج٧، ص٩، ٣٣٤، ج٨، ص١١٦ــ ١١٧، ٣١٢، ٣٨١، ٣٩١، ٤٥٦، ٦٠١، ج٩، ص٧٣، ٥٦، ١٠١، ١٨٥، ٢٠٨، ٢٥٩، ٣٢٩، ٤٩٤، ٥٤٢، ٦٣١، ٦٣٦، ج١٠، ص٥٨، ٦١، ١٧٩، ٢٩١، ٥٤٤، ٦١٧، ٦٢٤، ج١١، ص٦٦، ١٢٤، ٢٢٨، ج١٢، ص١٧٠، ٤٤٣، ٤٧٣، ٥٠٤.

(٢) المصدر نفسه ، ج٩، ص٣٤٩،٤١٠، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٤٠، ٥٩١ ــ ٥٩٢، ج١٠، ص١٨٠، ٣٠١، ٥٤٥ ج١١، ص٤٥، ٩٥.

(٣) السامر، ابن الأثير، ص١١٧ ــ ١١٨. ويمكن تتبع الجانب الثقافي من اهتمام ابن الأثير وتحت عنوان "ذكر عدة حوادث" في معظم أجزاء الكتاب.

(٤) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ص٦٨ ــ ٧٥. ويمكن تتبع إشارات ابن الأثير إلى الفتن الداخلية في الصفحات الآتية من "الكامل" وجاء أكثرها أيضاً تحت عنوان "ذكر عدة حوادث"، ج٨، ص١١٥، ٢١٣، ٣٠٧ ــ ٣٠٩، ٥٢٧، ٥٥٨، ٦٠٠، ٦٢٨، ج٩، ص١٧٨، ٢٠٨، ٤١٨ ــ ٤٢٠، ٥٣١، ٥٧٥ ــ ٥٧٨، ٥٩٣، ٦٠٨ ــ ٦٠٩،، ٦٣٧ ــ ٦٣٨، ج١٠، ص١٠٤ ــ ١٠٥، ١٢٤ ــ ١٢٥، ١٧٦ ــ ١٧٧، ٢٥١، ٤٦٩ ــ ٤٧٠، ٥٢٢ ــ ٥٢٣ ، ج١١، ص٤٦، ٣١٩ ، ج١٢، ص٣٣١، ٤٢٤.

والكوارث، [١] والظواهـر الطبيعيـة، [٢] والمصالح العامة. [٣]

ثانياً: النظرة النقدية لدى ابن الأثير:

ارتكز النقد التاريخي لدى ابن الأثير على أن التاريخ ليس مجرد "قصص وأخبار وأحاديث وأسمار"، وإنما هو ضرورة حضارية لفهم الإنسان من خلال دراسة مختلف أوجـه نـشاطه فـي الماضي، وهو أداة للكشف عن القواعد التي تنتظم فيها حوادث التاريخ من خلال رصد العلاقـات السببية التي تنطوي عليها الظواهر التاريخية والحوادث. ولعل هذه النظرة لا تختلف كثيـراً عـن نظرة ابن خلدون حين رأى أن التاريخ " في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق،

---

(١) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ص٨٤ ــ ٨٨. ويمكن تتبع إشارات ابن الأثير إلى الكوارث في الصفحات الآتية من "الكامل"، ج٦، ص٤٠٨ ، ج٨، ص١٢١، ٢٣٥ ــ ٢٣٦، ٣٧٨،٥٢٠، ٥٢١، ٦٢٨، ج٩، ص٦٠، ٢٠٨، ٦٣٧، ج١٠، ص٥٢، ٥٧، ٥٩، ٩٠ ــ ٣٩٦،٩١، ١٤٥، ٥٠٨، ج١١، ص٧١، ٢١٨، ٧٧، ٢٤٨، ج١٢، ص١٧٢، ٤١٨.

(٢) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ص٨٩ ــ ٩١. ويمكن أيضاً تتبع إشارات ابن الأثير إلى الظواهر الطبيعية في الصفحات الآتيـة مـن "الكامـل"، ج٨، ص٥٤ ــ ٥٥، ١٦٠، ١٦٧، ٢١٤ ــ ٢١٥، ٣٩١، ٥٢٨، ٦٦٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ج٩، ص٦٠، ١٥٥، ٣٥٦، ٣٩٢، ٤٦٦، ٥٧٩، ٦٣٢، ج١٠، ص١٢، ١٩، ٣٠، ٥١ ــ ٥٢، ٢٥٩ ــ ٢٦٠، ٦٠٥، ٦٥٣، ج١١، ص٥٤، ١٠٣، ٤٦٠ ــ ٤٦١، ج١٢، ١٠٤، ١٢٣، ٤٢٤.

(٣) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ص٩١ ــ ٩٤. ويمكن أيضاً تتبع إشارات ابن الأثير إلى المصالح العامة في الصفحات الآتية من "الكامل"، ج٨، ص١١٥، ج٩، ص١٦، ٦٩، ٢١٩، ٣٢٩، ٥٢٦، ج١٠، ص ١٢، ٥٥، ٥٨، ٦٠ ــ ٦٦١، ٩٨، ٢١٣، ٢٣٠، ٢٥١، ٦٠٥، ٦١٦ ــ ٦١٧، ٦٦٦، ج١١، ص٨٠، ٣٥٦، ٣٦٦، ٤٠٤، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٦١، ٦٦٦، ج١٢، ص٤٢، ١٠٤، ٢١٣.

وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق..." [١] لكن الفرق أن ابن خلدون استطاع أن يصوغ نظرية محددة ومتكاملة وقوانين تفسِّر حركة التاريخ.

تعددت منطلقات ابن الأثير في نظرته النقدية، منها اعتماده على ثقافته الشخصية وخبراته المبنية أساساً على مستوى تحصيله العلمي وحجم المادة التاريخية التي توفرت له، ومنها استخدامه العقل مقياساً في حكمه على بعض الحوادث بالقبول أو الرفض، وهذا تطلب منه المحافظة على السياق المنطقي العقلاني للحوادث. وبناءً على ذلك تنوعت أساليب النقد لديه، فمنها تحريه الدقة وابتعاده عن المغالاة فيما ينقله من أخبار، ومنها آراؤه الشخصية التي يطرحها عادة تعليقاً على بعض الحوادث، وكذا نقده آراء من سبقوه، ثم حرصه على تصحيح بعض الأخبار، وترجيحه أقوالاً على أخرى، وكذا تعابيره التي تفيد الدقة والتشكيك والنقد التي يستخدمها بشكل متكرر، مثل "قيل" و"يزعمون" و"فيما يزعم أهل الكتاب" و"الإسرائيليون يدَّعون" و"زعمت الفرس" و"زعم بعض العلماء بأخبار الأولين" و"الله أعلم" و"ذكروا والعهدة عليهم". [٢]

١ ـ الدقة وعدم المبالغة:

تتجلى هذه السمة المنهجية في عدة أشكال، منها الألفاظ التي يستخدمها ابن الأثير عادة بصيغة المجهول، مثل: " ذُكِر" و"قيل" و"حُكي" و"رُوي عن جماعة ..."، التي تُشعِر بتردد ابن الأثير في قبول الخبر أو عدم اطمئنانه إليه. [٣] وكذا استخدامه تعبير "والله أعلم" في نهاية

---

(١) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون، (ت ٨٠٨ هـ)، المقدمة، ط٦، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص٤.

(٢) يُلاحظ أن ابن الأثير استخدم لفظيْ "زعم" و"ادّعى" بكل تصريفاتهما بكثرة في أقوال بني إسرائيل والفرس، ج١، ص١٤، ١٥، ٤٥، ٦١، ٩٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٢٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٩، ٥١، ٥٦، ١٦٩، ٣٦٠، ٤٩٣، ج٢، ص٣٨، ١١٣، ٢١٩، ٣٠٤، ج٣، ص٩٥، ١٧٩، ٣٥٠، ج٤، ص٩٨، ٢٤٧، ٣٦٠، ج٥، ص٥٠، ١٢٧، ٥٩٣، ج٦، ص٢١٧، ٢٨٨، ٣٠٢، ج٧، ص٥٠٢، ٥٠٣، ج٨، ص٨٢، ج٩، ص٦٣٦، ج١٢، ص٧٣، ج١٠، ص١١٨، ٢١١.

الخبر الذي لا يكون متأكداً من صحته. [(١)] وهذه التعابير تتكرر أكثر في موضوعات بدء الخليقة والتاريخ القديم وأخبار العرب قبل الإسلام، ويبرر ابن الأثير ذلك بأن هذه الأخبار " لم تكن مضبوطة على الحقيقة، فقال كل واحد ما نُقل إليه من غير تحقيق. " [(٢)]

وللاستدلال على "الدقة" عند ابن الأثير يمكن ملاحظة النماذج الآتية: تركه بعض الأخبار التي يرى ضعفاً في نقلها أو تناقضاً كبيراً في معطياتها، كإهماله أقوال النسابين عن نسب الرسول ﷺ بعد عدنان، إذ برر ذلك بأنهم يختلفون فيما بعده " اختلافاً عظيماً لا يُحصل منه على غرَض، فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين إسماعيل عليه السلام أربعة آباء، ويجعل آخر بينهما أربعين أباً، ويختلفون أيضاً في الأسماء أشد من اختلافهم في العدد، فحيث رأيتُ الأمر كذلك لم أعرّج على ذكر شيء منه ...". [(٣)] وكذلك قوله بعد أن أورد أسماء عدد من ملوك بني إسرائيل: " وقيل في أسماء ملوكهم غير ذلك، تركناه كراهة التطويل، ولعدم الثقة بصحة النقل. " [(٤)] ومن النماذج أيضاً مقدرته الفذة على توظيف عمليات الربط والمقارنة التي يتقنها في التحديد الزمني لعهود بعض الملوك أو أوقات وقوع الحوادث بدقة، وهذا الأمر يعكس اطلاعه الواسع على التقاويم، ففي حديثه عن الزمن الذي عاش فيه ملك الروم "أنطينينس بيوس"، حدد مدة حكمه بإثنتين وعشرين سنة، وأنه سادس ملوك الروم، وأن بطلميوس مؤلف المجسطي والجغرافيا كان في أيامه، " ودليل كونه في هذا الزمان وليس من ملوك اليونان أنه ذكر في كتاب المجسطي أنه رصد الشمس بالإسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبخت نصّر، وكان من مُلك بخت نصّر إلى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة عشر يوماً، ومن قتل دارا إلى زوال ملك قلوبطرا الملكة

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٨٧، ٣٤٢، ٤٠٥، ج٢، ص٥٦٤، ج٣، ص٢٦٧، ج٧، ص٧، ١٠٦، ج١٠، ص٢٧٣، ج١١، ص٣٢، ٤٧، ٥٣، ١٢٩، ١٦٨، ٢٦٧، ٤٦٨، ج١٢، ٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤١١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٧.

آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست وثمانون سنة، ومذ غلبة أوغسطس إلى أنطينينوس مائة وسبع وستون سنة، فمذ ملك بخت نصّر إلى أدريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريباً، وهذا موافق لما حكاه بطلميوس." (١)

ويعترف ابن الأثير أحياناً بشكِّه في صحة بعض المعلومات التي اضطر أن ينقلها حفاظاً على السياق المتصل للخبر، وقد ساق مثالاً على ذلك قوله: " ومن أول ملوك الروم إلى هاهنا (أي قسطنطين ابن هيلاني) كانوا شبيهاً بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم ... وإنما الذي يعوَّل عليه من قسطنطين إلى هرقل الذي بُعث محمد ﷺ في أيامه ...". (٢)

ويُقر ابن الأثير أيضاً بوجود شيء من التباين في بعض الروايات التي نقلها، ويبرر ذلك بـ "اختلاف الناقلين"، (٣) كالتباين في خبر اعتراف "مازيار بن قارن" القائد الفارسي للخليفة المعتصم سنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) بأنه كان يكاتب "الأفشين" الذي كان يحرضه على العصيان في طبرستان، حيث أقرّ ابن الأثير بوجود أكثر من صيغة لهذا الاعتراف. (٤)

وتظهر دقة ابن الأثير كذلك في العبارات التي توحي بأنه لا يستطيع ترجيح أخبار معينة أو إزالة غموضها، كالعبارة التي علّق بها على ورود خبرين عن استئمان أهل "رغوس" في صقلية من أميرها "خفاجة بن سفيان" أحدهما سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م)، والثاني سنة (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م): " ولا نعلم أهذا اختلاف من المؤرخين أم هما غزاتان، ويكون أهلها قد غدروا بعد هذه الدفعة، والله أعلم." (٥) وكذا في العبارات التي توحي بأنه لا يريد أن يتحمل مسؤولية خبر محدد، كما في تفسير ه موتَ "ناصر الدين بن شيركوه" سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥م): " فذكروا، والعهدة عليهم، أن صلاح الدين وضع عليه إنساناً يقال له الناصح بن العميد ...

---

(١) ابن الأثير، الكامل ، ج١، ص٣٢٦ ـــ ٣٢٧. انظر أيضاً النقاش الذي أورده حول الفترة التي لبث فيها أهل الكهف في الغار، ج١، ص٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٩. انظر أيضاً تعليق ابن الأثير على عدد ملوك اليمن وأسمائهم قبل الإسلام، ج١، ص٢٧٧ ، وكذا تعليقه على عدد ملوك الفرس بعد الإسكندر وأسمائهم، ج١، ص٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٥١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٩٥ وما يليها.

(٥) المصدر نفسه، ج٧، ص١٠٦.

فحضر عنده ونادمه وسقاه سُمّاً، فلما أصبحوا من الغد لم يروا الناصح، فسألوا عنه، فقيل: إنه سار من ليلته إلى صلاح الدين، فكان هذا مما قوّى الظن. " (١)

٢ ـ الترجيح والاجتهاد:

تتجلى هاتان السمتان في حرص ابن الأثير على التدخل المباشر في المادة التاريخية التي ينقلها، فهو ليس مجرد ناقل لما كتبه الآخرون، وإنما كان يعطي رأيه باستمرار، سواء في نقلَة الخبر أو في فحواه، وقد يعطي رأيه في الحوادث ذاتها، فيناقش السياسات العامة للدول والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وقد يعتمد العقل أساساً للحكم على مدى منطقية الخبر. إذن فآراؤه الشخصية حاضرة باستمرار، وهي تظهر من خلال تعليقاته التي يطرحها في بداية الخبر أو نهايته، ويستخدم عادة تعبير "قلتُ". (٢)

ويستخدم ابن الأثير أسلوب الانتقاء، فيختار الرواية التي يرى أنها الأصح ثم يشير إلى غيرها بتعبير "وقيل". (٣) وقد يجد نفسه أحياناً مضطراً إلى إيراد روايات متعددة للحادثة، بحيث تضيف كل رواية معلومات جديدة. وقد يجتهد فيها ويلجأ إلى الترجيح والتصحيح، مستخدماً تعابير مثل "وهو الصحيح" و"والأول أصح" و"والصحيح أن..." و"وهذا القول عندي هو الصواب" و"وهذا القول عندي غير بعيد عن الحق" و"وهذا عندي بعيد" و"ليس عندي بصحيح" و"وهذا القول ليس بشيء" و"وقول من قال ... وهمٌ لأن ...". (٤)

وللاستدلال على سمتيْ الاجتهاد والترجيح لدى ابن الأثير يمكن ملاحظة النماذج الآتية:

ــ الاجتهاد على أساس عقلي، كما في مسألة خلق اللوح المحفوظ والغمام، وأيهما خُلق بعد

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥١٨. انظر أيضاً تحريه الدقة في بعض الإحصاءات، ويظهر ذلك من تأكيده على صحة الرقم الذي أورده عن عدد أسرى الفرنج بعد فتح بيت المقدس، وهو " ستة عشر ألف آدمي ما بين رجل وامرأة وصبي، هذا بالضبط واليقين."، ج١١، ص٥٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٥، ١٦٦، ٤٢١، ٥١٠، ٥٤٧، ج٢، ص٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٤، ج٣، ص٢٤، ١٤٧، ٢٧٣، ج٤، ص١٢٥، ٣٧٣.

(٤) يمكن تتبع هذه التعابير في الصفحات الآتية من كتاب "الكامل"، ج١، ص١٧، ١٨، ٢٠٨، ٣٥٥، ٤٦٧، ج٢، ص١١٠، ٢٠٠، ٥٦٠، ج٣، ص٢٠، ٧٦، ١٠٧، ٢٦٧، ٢٨٧، ٤١٦، ج٤، ص٦، ٩٠، ١٢٤، ١٢٥، ٤١٨، ج٥، ص١٧٥، ١٨٥، ٢٩٠، ج٦، ص٣٥١، ج٧، ص٣٨، ٨٥، ج٨، ص٥٨، ج١٠، ص٥٦٩.

خلـْق القلم مباشرة، حيث ناقش حديثاً نبوياً يشير إلى أن الغمام موجود قبل أن يخلق الله الخلـق، بقوله: " قلتُ: هذا فيه نظر ... ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يُكتب بها، وهـو القلـم، ومن شيء يُكتب فيه، وهو الذي يعبَّر عنه ههنا باللوح المحفوظ، وكان ينبغـي أن يـذكر اللـوح المحفوظ ثانياً للقلم ... ويُحتمل أن يكون ترك ذكره لأنـه معلـوم مـن مفهـوم اللفـظ بطريـق الملازمـة. " [١] وناقش كذلك الروايات التي تناولت مسألة الأيام الستة التي خلق الله فيها الخلـق، بقوله: " قلتُ: أما ما ورد في هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء فـي يوم كذا، فإنما هو مجاز، وإلا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالٍ، لأن الأيام عبارة عمّا بـين طلـوع الشمس وغروبها، والليالي عبارة عمّا بين غروبها وطلوعها، ولم يكن ذلـك الوقـت سـماء ولا شمس، وإنما المراد به أنه خلق كل شيء بمقدار يوم ...". [٢]

ــ تقييم الأخبار على أساس واقعي، كما في تعليقه على تضخيم الرواة عدد جنود بلقـيس ملكـة سبأ مستخدمين أرقاماً فلكية: " وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم ... وما أظن الساعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله، ولو عرف مبلـغ العـدد لأقصر عن إقدامه على هذا القول السخيف، فإن أهل الأرض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد ... وقد تواطأوا على الكذب والتلاعب بعقول الجهّال واستهانوا بمـا يلحقهم من استجهال العقلاء لهم ... ". [٣] وكذا تعليقه على المبالغات الأسطورية التـي أضـفاها رواة الفرس على الملك "كيكاووس" بقوله: " وهذا كله من أكاذيب الفرس الباردة. " [٤]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠. انظر أيضاً اجتهاده في مسألة إماتة أولاد آدم، ج١، ص٤٥ ؛ وفي تقدير عمْر إبراهيم، ج١، ص١٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٣ ــ ٢٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ، ص٢٤٧. انظر تعليقه على قول الفرس إن شرط الصلح الذي عُـقد بين أفراسياب بن فشنج ومنوجهر "أن يجعلا حدّ ما بين ملكيهما منتهى رمية سهم رجل من أصحاب منوجهر اسمه إيرشى ... فرمى سهماً من طبرستان فوقع بنهر بلخ، وصار النهر حدّ ما بين الترك ولد طوج وعمل منوجهر". وعلـّق ابن الأثير على هذه الحكاية بقوله: "قلتُ: وهذ من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم، أن رمية سهم تبلغ هذا كله."، ج١، ص١٦٥ ــ ١٦٦.

ــ الترجيح لتوافق الخبر مع القرآن أو الحديث الصحيح أو الروايات الموثوقة، لقوله في مكـــان ولادة عيسى: " قلتُ: والقول الأول في ولادته في أرض قومها (في بيت المقدس) للقرآن أصــح لقولــه تعالى: { فأتت به قومهــا تحملــه}. (١) وقوله في تحديد زمن الخضر: " وقول مَن قـــال إن الخضر كان في أيام أفريدون وذي القرنين الأكبر قبل موسى بــن عمــران أشــبه للحــديث الصحيــح ...". (٢) وكذا قوله في إحدى الروايات التي تناولت طاعون عَمْواس: " وهذه الروايــة أصح، فإن البخاري ومسلم أخرجاها في صحيحيهما ...". (٣) وترجيحه الرواية التي تشير إلى أن حرق الكعبة جرى على أيدي جيش الشام على الرواية التي تشير إلى أنه جرى على يد أصــحاب ابن الزبير، معتمداً على إشارة في صحيح البخاري. (٤)

وقد يكون الترجيح لوجود مصادر موثوقة، لقوله معلــّقاً على الخبر الذي يشير إلى أن "بخــت نصّر" غزا بيت المقدس وخرّبه وقتــّل بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا بأنه " باطل عنــد أهل السيَر والتاريخ وأهل العلم بأمور الماضين، وذلك أنهم أجمعين مجمعون على أن بخت نصّر غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيِّهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا، وبين عهد إرميــا وقتــل يحيــى أربعمائة سنة وإحدى وستون ...". (٥) ثم قوله في رواية فتح معقل بــن مقــرّن الأبُلــّــة: " وهذا القول خلاف ما يعرفه أهل النقل، لأن فتح الأبُلــّة كان على يد عتبــة بن غــزوان ...". (٦) وكذا قوله مؤيِّداً ما ذهب إليه ابن ماكولا من أن بني بويه يتصل نسبهم بملــوك الفــرس: " إلا أن النفس أكثر ثقة بنقل ابن ماكولا لأنه الإمام العالم بهذه الأمور، وهذا نسب عريق في الفــرس، ولا شك أنهم نــُسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم. " (٧)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص، ص١٦٠ ــ ١٦١. انظر أيضاً: ترجيحه رواية علي بن أبي طلحة عن ابــن عباس بأن الله دحا الأرض بعد أن خلق السماوات السبع معتمداً على الآية: " والأرض بعد ذلك دحاها"، سورة النازعات، الآية: ٣٠، الكامل، ج١، ص١٨ ؛ ورأيه في صلة الخضر بإرميا النبي، ج١، ص١٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٦ ؛

(٧) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٦٥.

ــ الاجتهاد في تصويب الأخبار التي يرى أن ثمة أخطاء في معطياتها، كقوله معلـّقاً على خبر غزو الملك زياد بن هبولة السليحي حُجرَ بن عمرو الكندي إن " زياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام أقدم من حُجر آكل المرار بزمن طويل ... فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حُجر حتى يغير عليه؟! وحيث أطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها، وأصلـَح ما قيل فيه: إن زياد بن هبولة المعاصر لحُجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول... ". [(١)] وقوله معلـّقاً على رواية مقتل محمد بن أبي حذيفة سنة (٣٦ هــ / ٦٥٦ م) على يد معاوية وعمرو: " وهذا القول ليس بشيء لأن علياً استعمل قيساً (ابن سعد) على مصر أول ما بويع له، ولو أن ابن أبي حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول قيس إلى مصر لاستوليا عليها لأنه لم يكن بها أمير يمنعهما عنها، ولا خلاف أن استيلاء معاوية وعمرو كان بعد صِفـّين ...". [(٢)] ثم انتقاده اللاذع للطبري للأخطاء التي أوردها في تاريخ بعض ملوك الفرس واليمن، فحاول تصويبها بكلام طويل بدأه بقوله: " وهذا الذي ذكره أبو جعفر من قتل قباذ بالرّي وملك تبّع البلاد من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش، وفساده أشهر من أن يُذكر، فلو لا أننا شرطنا أن لا نترك ترجمة من تاريخه إلا ونأتي بمعناها من غير إخلال بشيء لكان الإعراض عنه أولى. " [(٣)]

٣ ــ نظرة ابن الأثير إلى الحوادث والشخصيات العامة:

ويمكن ملاحظة هذه النظرة في النماذج الآتية:

ــ آراء انفرد بها ابن الأثير، كالنظر إلى جميع النصارى القاطنين غربي القسطنطينية، من روما إلى الأندلس، على أنهم فرنجة. [(٤)] وكذا النظر إلى غزو الفرنجة للمشرق الإسلامي على أنه

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦٦. انظر أيضاً تصويبه خبر إدراك ابنة خالد بن سنان العبسي الرسول ﷺ، بأن من أدركت ابنته النبي هو شخص آخر عاش بعد خالد بن سنان بزمن، ج١، ص٣٧٦ ؛ ورفضه الرواية التي تشير إلى أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان ممّن حذر معاوية ولده يزيد منهم لأن عبد الرحمن مات قبل معاوية، ج٤، ص٦ ؛ وتصويبه خطأ مسكويه في قوله إن الخليفة المستعين أخو المتوكل لأبيه، إذ يرى ابن الأثير أن المستعين هو ولد أخيه محمد بن المعتصم، ج٧، ص١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢١ ــ ٤٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٨ ــ ٣٣٩.

تتمة لهجوم واسع للنصارى على بلاد الإسلام، تمثّلَ باستيلاء الإسبان على طليطلة سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)، واستيلاء النورمان على صقلية سنة (٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م)، واحتلالهم مناطق من شمال إفريقيا، ثم استيلاء الفرنجة في الحملة الصليبية الأولى على أنطاكيا سنة (٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م)، وعلى بيت المقدس سنة (٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م). [١]

ويواجهنا مقطع متميز في "الكامل" سجّل ابن الأثير فيه نمطاً مفترضاً لكيفية تداول السلطة بين السلالات الحاكمة، معتمداً على تأملاته في حركة التاريخ، وهذا النمط يقوم على قاعدة أن " كثيراً ممّن يبتدىء المُلك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه ..."، [٢] وقد حاول تفسير ذلك تفسيراً دينياً ينطوي على إيمان بالتوازن والجزاء، وفق نظرته إلى أثر "المشيئة الإلهية" في التاريخ؛ إذ " أن الذي يكون أوّل دولة يُكثر [القتل] ويأخذ المُلك وقلوب مَن كان فيه متعلقة به، فلهذا يحرمه الله أعقابه ومَن يفعل ذلك من أجلهم عقوبة له. " [٣]

والنماذج التاريخية حاضرة لدى ابن الأثير، بدءاً بمعاوية الذي انتقل المـُلك من أعقابه إلى بني مروان بن الحكم، ومروراً بكل من السفـّاح الذي انتقل المـُلك من أعقابه إلى أخيه المنصور، ونصر بن أحمد الساماني الذي انتقل المـُلك عنه إلى أخيه إسماعيل وأولاده، ثم يعقوب الصفـّار الذي انتقل المـُلك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابه، وعماد الدولة بن بويه الذي انتقل المـُلك عنه إلى أخويه ركن الدولة ومعز الدولة، وانتهى في أعقاب ركن الدولة. وكذا طغرلبك السلجوقي الذي انتقل المـُلك عنه إلى أولاد أخيه داوُد، وانتهاءً بصلاح الدين الذي انتقل مُلكه إلى أعقاب أخيه العادل باستثناء حلب. [٤] ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا الرأي من نظرة سلبية إلى مؤسسي هذه الدول وأهمهم معاوية وصلاح الدين.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٢ ؛

Gabrielli, Francesco, The Arabic Historiography of the Crusades, Historians of the middle east, edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London,1964, P98.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٤٥ ؛ الخالدي، فكرة التاريخ، ص٢٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

ـ تقييم الحوادث في ضوء نتائجها، لقوله معلـقاً على قرار أبي بكر إنفاذ جيش أسامة إلى الـشام بعد وفاة الرسول ﷺ وظهور الردة: " وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعاً للمـسلمين، فـإن العرب قالوا: لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفوا عن كثير ممـا كانوا يريـدون أن يفعلوه. " (١) وكذلك انتقاده قرار صلاح الدين بإطلاق سراح أميـر جبيـل الفرنجـي سنـة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)، لشدة خطورته على المسلمين فيما بعد، فقال: " وكان إطلاقه من الأسباب الموهنة للمسلمين على ما يأتي بيانه. " (٢) ثم انتقاده أمر صلاح الدين بتخريب قلعة بَغـراس بعـد فتحها، لأن ليون صاحب الأرمن جدّد بناءَها ووضع فيها " جماعة من عسكره يغيرون منه علـى البلاد، فتأذى بهم السواد الذي بحلب، وهو إلى الآن بأيديهم. " (٣)

ـ استبعاد أو رفض بعض التفاصيل وفق معايير دينية وأخلاقية أو لحساسية الموضوع، لقوله في خبر إرسال معاوية أبا ذر إلى المدينة سنة (٣٠ هـ / ٦٥١ م): " وقد ذُكر في سبب ذلك أمـور كثيرة، من سبٍّ معاوية إيّاه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطـاء ونفيـه مـن المدينة على الوجه الشنيع، لا يصح النقل به ... كرهتُ ذكرها ". (٤) كما اسـتبعد الكثيـر مـن أسباب مقتل عثمان بقوله: " وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لعلـل دعت إلى ذلك. " (٥) ثم قوله " وقد قيل: إنه جرى بين محمد (ابن أبي بكر) ومعاويـة مكاتبـات كرهتُ ذكرها فإنها مما لا يحتمل سماعها العامة. " (٦) وكذلك استبعاده أبياتاً قيلت فـي تـصرف لأحد وكلاء الخليفة المأمون، حيث قام بسلب أموال وضياع للمأمون كانت بحوزته، اسـتبعد ابـن الأثير الأبيات لِما فيها "من القذف الفاحش"، ثم قال منتقداً الطبري: "ولقد عجبتُ لأبي جعفر حيـث ذكرها مع ورعـه." (٧)

ـ تقييم شخصيات عامة، لقوله عن مروان بن محمد: " وكـان شجاعـاً حازمـاً إلا أن مدتـه

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٤٣.
(٣) المصدر نفسه، ج١٢، ص١٩.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٣ ـ ١١٤.
(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٧.
(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٧٣.
(٧) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٤٦.

انقضت فلم ينفعه حزمه ولا شجاعته. " (١) وكذا قوله عن الخليفة المعتمد: " وكان في خلافته محكوماً عليه، قد تحكّم عليه أخوه أبو أحمد الموفق، وضيَّق عليه، حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها ذلك الوقت ...". (٢) وقوله في ظلم أبي عبد الله البريدي بأنه " عمل بأهل البلاد ما لا يعمله الفرنج ... ولم يكن عنده من الدين ما يزعه عن ذلك ...". (٣) ثم إشادته بأولاد الملك العادل لعدم تنازعهم على مناطق النفوذ بعد أبيهم إذ " كانوا كالنفس الواحدة، كل منهم يثق بالآخر ... لعمري إنهم نعم الملوك ...". (٤) وتعليقه على تصرف الخليفة القاهر بالله سنة (٣٢١ هـ / ٩٣٣ م)، حين أمر بتحريم الخمر والغناء، وبيع الجواري المغنيات على أنهن سواذج لا يعرفن الغناء، " ثم وضع من يشتري له كل حاذقة في صنعة الغناء، فاشترى منهن ما أراد بأرخص الأثمان ... فجعل ذلك طريقاً إلى تحصيل غرضه رخيصاً، نعوذ بالله من هذه الأخلاق التي لا يرضاها عامة الناس. " (٥)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٢٩. انظر أيضاً قوله عن شعر الوليد بن يزيد: " وأشعاره حسنة في الغزل والعتاب ووصف الخمر ... وقد أخذ الشعراء معانيه في وصف الخمر فسرقوها وأدخلوها في أشعارهم وخاصة أبو نواس فإنه أكثرهم أخذاً لها. "، ج٥، ص٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص٤٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤٩ ــ ٢٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٧٣. انظر أيضاً : ثناءَه على الوزير أبي الفضل بن العميد عالماً وأديباً وسياسياً، ج٨، ص٦٠٦ ؛ ثم اتهامه أبا علي بن سينا (ت٤٢٨ هـ) بالإلحاد، ج٩، ص٤٥٦ ؛ وثناءَه على أمير إفريقيا المعز بن باديس (ت ٤٥٣ هـ)، ج١٠، ص١٥ ؛ وذمــَّه أمير ديار بكر منصور بن مروان (ت ٤٨٩ هـ)، إذ وصفه بشدة البخل، و" له في البخل حكايات عجيبة، فتعساً لطالب الدنيا المـُعرض عن الآخرة ..."، ج١٠، ص٢٥٦ ؛ وكذلك ذمــَّه سياسة الخليفة الناصر لدين الله (ت ٦٢٢ هـ)، كالرسوم الجائرة وأخذ أملاك الناس وأموالهم، "وكان يفعل الشيء وضده."، ج١٢، ص٤٤٠ ــ ٤٤١ ؛ ثم تعليقه على تصرف عميد المـُلك الكندري عندما احترقت خزانة الكتب في بغداد سنة (٤٥١ هـ)، حيث اختار أفضل الكتب لنفسه، " فنـُسب ذلك إلى سوء سيرته، وفساد اختياره، وشتــّان بين فعله وفعل نظام المـُلك الذي عمّر المدارس، ودوّن العلم في بلاد الإسلام جميعها، ووقف الكتب وغيرها. "، ج١٠، ص٨ ؛ وعن المدارس النظامية انظر: الدجاني، زاهية راغب (١٩٧١م)، المدارس النظامية، تسع مدارس أسسها نظام الملك في القرن الخامس الهجري، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، ع١٥١، ص١٦٦ ــ ١٦٩.

ـ آراء نقدية في السياسة، لقوله في مبايعة الرشيد ولدَه المأمون بولاية العهد بعد الأمين سنة (١٨٢ هـ / ٧٩٨ م): " وهذا من العجائب، فإن الرشيد قد رأى ما صنع أبوه وجدّه المنصور بعيسى بن موسى، حتى خلع نفسه من ولاية العهد، وما صنع أخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد، فلو لم يعاجله الموت لخلعه، ثم هو يبايع للمأمون بعد الأمين، وحُبّك الشيء يُعمي ويُصِم. " (١) وكذا قوله منتقداً "مؤنس الخادم" لإعلانه الحرب على الخليفة المقتدر، الأمر الذي شجّع أفراداً من المغاربة والبربر على قتله سنة (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م): " وكان ما فعله مؤنس سبباً لجرأة أصحاب الأطراف على الخلفاء وطمعهم فيما لم يكن يخطر لهم على بال، وانخرقت الهيبة وضعُف أمر الخلافة ...". (٢) ويتصل بهذا السياق انتقاد ابن الأثير الصريح لسياسة المقتدر القائمة على تحكيم النساء والخدم، والتفريط في الأموال، وقد " عزل من الوزراء وولى مما أوجب طمع أصحاب الأطراف والنوّاب، وخروجهم على الطاعة. " (٣) وهناك توصيف ابن الأثير المهم للحال التي وصلت إليها الخلافة زمن إمرة الأمراء وتحديداً زمن ابن رائق؛ إذ تعطلت الدواوين والوزارة، وكان أمير الأمراء هو الذي ينظر في الأمور جميعها، " وصارت الأموال تـُحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال، وتغلب أصحاب الأطراف، وزالت عنهم الطاعة، ولم يبقَ للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حـُكم. " (٤) وكذا اجتهاده في توصيف أسباب انحدار الخلافة زمن البويهيين، بأنهم كانوا " يغالون في التشيّع، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة ...". (٥) ثم انتقاده سياسات الوزير

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٦١.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه،، ج٨، ص٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٥٢. انظر أيضاً رأي ابن الأثير في أثر النزاع بين حكام المسلمين في طمع أعدائهم ببلاد الإسلام، ففي خبر نجاح نقفور ملك الروم في الاستيلاء على حلب وطرَسوس والمصيصة وغيرها والرعب الذي نشره بين المسلمين في شمال سوريا علـّق بقوله: " وتم له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض. "، ج٨، ص٦٠٧ ؛ وفي خبر ظهور ملوك الطوائف في الأندلس قال: " وكان ذلك أضرَّ شيء على المسلمين طمع بسببه العدو الكافر، خذله الله، فيهم ..."، ج٩، ص٢٨٤ ؛ ثم في خبر الفتنة في بغداد سنة (٤٤٦ هـ) قال: " وعظم انحلال أمر السلطنة بالكلية، وهذا من ضرر الخلاف. "، ج٩، ص٥٩٨.

"أبي علي بـــن ماكـــولا" (ت ٤٢١ هــ / ١٠٣٠ م)، بقوله: " وكان قد أحدث في ولايته رسومـــاً جائرة، وسنّ سنناً سيئة، منها جباية سوق الدقيق، ومقالي الباذنجان، وسميريّات المشارع، ودلالـــة ما يباع من الأمتعـــة، وأجَـــر الحمّالين الذين يرفعون التمور إلى السفن، وبما يعطيـــه الـــذبّاحون لليهود ...". [(١)] ويسخَر ابن الأثير من الألقاب التي أمر أبو علي بـــــن الأفـــضـــل بـــن بـــــدر الجمالـــي (ت ٥٢٦ هــ/ ١١٣٢م) وزير الحافظ الفاطمي، خطباءَه أن يخطبوا لـــه بهـــا بقولـــه: " وإنما ذكرتُ ألقاب أبي علي تعجّباً منها ومن حماقة ذلك الرجل ... على أن تربة مـــصر هكـــذا تولـــِّد. " [(٢)] وفي السياق ذاته قدم ابن الأثير توصيفاً ذا مغزى للوضع السياسي في مـــصر فـــي السنوات الأخيرة من الفترة الفاطمية، فقال: " وكانت الوزارة في مصر لمن غلب، والخلفـــاء مـــن وراء الحُجّاب، والوزراء كالمتملكين، وقـــلّ أن وليها أحد بعد الأفضل إلا بحرب وقتـــل ... ".[(٣)]

ــ الاجتهاد المبني على تقصّي الحقائق ذات الصلة بموضوعات خلافية، كالمحاولة التي قـــام بهـــا ابن الأثير لإثبات صحة نسب الفاطميين مستنداً إلى آراء لأعيان من الشيعة، وقد بـــدأها بموقـــف "الشريف الرَّضيّ" الذي قال شعراً في صحة النسب، ثم امتنع من الاعتذار عنه للخليفة العباســـي، ومن الطعن في نسب الفاطميين، فاستنتج ابن الأثير بأن " في امتناع الرَّضِيّ مـــن الاعتذار، ومن أن يكتب طعناً في نسبهم مع الخوف، دليلاً قوياً على صحة نـــسبهم. " [(٤)] ولـــم يكتـــفِ بموقـــف الشريف الرَّضيّ لإثبات صحة النسب، وإنما حاول تقصِّي حقيقة الأمر بالسؤال المباشر لجماعـــة من أعيان العلويين المعاصرين له ليكوِّن رأياً: " وسألتُ أنا جماعة من أعيان العلويين في نـــسبه، فلم يرتابوا في صحّته ...". [(٥)]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٠٧

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص٦٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص١٨٥. . انظر أيضاً توصيفه دولة زناتة في المغرب بأنها " دولة رديـّة، مذمومة، سيئة السيرة، لا سياسة ولا دين ..."، ج٩، ص٦٢٢ ؛ وانتقاده قرار عز الدين مسعود صاحب الموصل بالقبض على نائبه مجاهد الدين قايماز سنة (٥٧٩ هــ)، بأنه "اتبع في ذلك هوى مَن أراد المصلحة لنفسه، ولم ينظر في مضرة صاحبه."، ج١١، ص٤٩٩ ؛ ؛ وانتقاده قيام يوسف بن تاشفين بسجن المعتمد بن عبّاد سنة (٥١٤ هــ) بقوله: " ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عبّاد، وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب ..."، ج١٠، ص٥٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤ ــ ٢٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٦.

ــ تأملات تاريخية: لم يستطع ابن الأثير أن يتملك دهشته إزاء حوادث ومواقف شكلت بالنسبة له ظواهر تاريخية فريدة تستحق التأمل، ويواجهنا في هذا المجال مثالان، الأول: تعليقه على خروج صلاح الدين مكرهاً برفقة عمه شيركوه في الحملة الثالثة إلى مصر بأمر من نور الدين سنة (٥٦٤ هـ/ ١١٦٩ م): " أحَبَّ نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته، وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته ومُلكه. " [(١)] والثاني: الوقفة المهمة لابن الأثير إزاء الظاهرة التترية، والتي تأمّل فيها سرعة انتشار التتر غرباً واجتياحهم مناطق واسعة في فترة قياسية، فهذه الشعوب جرى لها " ما لم يُسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه: طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية من هذه الناحية، ويجاوزوا العراق من ناحية همذان، وتالله لا شك أن مَن يجيء بعدنا، إذا بعُد العهد، ويرى هذه الحادثة مسطورة يُنكرها، ويستبعدها، والحق بيده ... ". ثم إن ابن الأثير أدرك بسِعة أفقه ونظرته الشموليه حجم الأخطار المحدقة بالمسلمين، فلخّص بلهجة رثائية باكية حالهم وقد باتوا في مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عرضة لخطرين كبيرين، خطر خارجي تمثلَ بالتتر شرقاً والفرنج غرباً، وقد أحاطوا بالمسلمين مثل فكيّ كمّاشة، وخطر داخلي تمثلَ بحكام المسلمين ممّن " لا تتعدى همّته بطنه وفرْجَه ... هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخرّبوها، وناهيك به سعة بلاد، وتعدّت هذه الطائفة منهم النهر إلى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك، ثم إلى الرّي وبلد الجبل وأذرَبيجان، وقد اتصلوا بالكُرج فغلبوهم على بلادهم. والعدو الآخر الفرنج قد ظهروا من بلادهم في أقصى بلاد الروم، بين الغرب والشمال، ووصلوا إلى مصر فملكوا مثل دمياط، وأقاموا فيها، ولم يقدر المسلمون على إزعاجهم عنها، ولا إخراجهم منها، وباقي ديار مصر على خطر، فإنا لله وإنا إليه راجعون ...". [(٢)]

ثالثاً: نظرة ابن الأثير إلى التاريخ:

١ ــ المشيئة الإلهية تسيّر التاريخ:

ارتبطت نظرة ابن الأثير إلى التاريخ بمسألة مركزية تمحورت حولها كتابته، وهي ظهور

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٧٥ ــ ٣٧٦ ؛ انظر أيضاً: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٧٥ ؛ و Maalouf, The Crusades through Arab eyes, P 235.

الإسلام. وبقدر ما شكلت رؤيته العالمية لبدء الخليقة والتاريخ القديم الخطوط الأولى لنشوء العالم، فإنها شكلت أيضاً المقدمات التي اشتملت على الحلول السماوية لتمادي البشر في الغَيّ، وانحرافهم عن الصراط المستقيم، وقد شهدت تلك الفترات رسالات هداية من السماء، وواجهت هذه الرسالات المقاومة والحصار، ومع ذلك لم ينقطع الرجاء السماوي في هداية البشرية. [١] وضمن هذا السياق وتعبيراً عن "المشيئة الإلهية" التي تسيّر حركة التاريخ جاء ظهور الإسلام الذي يعد أكمل الرسالات، وهو يَعتبِر التاريخ أساساً في عقيدته، بمعنى أن مساحة كبيرة في سوَر القرآن وآياته تعرضت للمسألة التاريخية، وتدرجت بين العرض المباشر والسرد القصصي الواقعي لتجارب عدد من الجماعات البشرية، وبين استخلاص مركّز ومكثف للسنن التاريخية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان، مروراً بمواقف الإنسان المتغيرة من الطبيعة والعالم، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من عرض لواقعة تاريخية، أو إشارة لحدث ما، أو تأكيد على سنَّة تتشكل بموجبها حركة التاريخ. [٢] ويؤكد الإسلام على علاقة القرآن بالكتب السماوية الأخرى، كما يؤكد باستمرار على أن المسلمين مطالبون بالنظر إلى مصائر الأمم السابقة. [٣] ومن هنا اختارت "المشيئة الإلهية" العرب ليعيشوا تجربة روحية جديدة وليكوّنوا الأمة الجديدة.

أعلن ابن الأثير عن نظرته إلى التاريخ صراحة في افتتاحية كتابه، وقد حشد فيها تعابير مركّزة ومكثفة تصب في فكرة تحكّم "المشيئة الإلهية" بحركة التاريخ، وقد وردت هذه التعابير في سياق "الحمد" الذي بدأ به مقطعه الأول، حيث تحدث عن الله " القادر فكل ما في العالم من أثر قدرته، المقدَّس فلا تقرب الحوادث حماه ... مصرِّف الخلائق بين رفع وخفض، وبسط وقبض، وإبرام ونقض، وإماتة وإحياء، وإيجاد وإفناء ... يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ... مبيد القرون السالفة، والأمم الخالفة، لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلاً وحِرزاً ...". [٤]

ولكن ليس ثمة تناقض عند ابن الأثير بين الأثر الكبير للمشيئة الإلهية في حركة التاريخ

---

(١) جلوب، منهجية ابن الأثير، (بحوث ندوة أبناء الأثير)، ص٣٦٥.

(٢) خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ص٥.

(٣) جلوب، منهجية ابن الأثير، ص٣٦٥ ؛ انظر أيضاً: صديقي، عبد الحميد، تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادي، الكويت، بلا ت، ص١٣١ ــ ١٤٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١.

ودور الإنسان المركزي في صنع الحوادث، إذ إن هذا الدور بكلـيّته خاضع لمشيئة الله وقدَره، بمعنى أن الأسباب الواقعية البشرية للحوادث والتي حرص ابن الأثير باستمرار علـى تثبيتهـا، تأتي كلها ضمن إطار أكبـر هو مشيئة الله وسنته في الكون.

ويظهر أثر "المشيئة الإلهية" في معظم الوقائع التاريخية التي تعرّض لها ابن الأثير، منطلِقـاً من أن هذه المشيئة أكثر قدرة على الإحاطة بتلك الوقائع، بل هي التي صنعتها لكن على يد البشر وفق الظروف الواقعية والعلل البشرية، ووضعتها في مكانها المرسوم في خارطة التاريخ البشري، كما حرص ابن الأثير باستمرار على الاستناد إلى تلك المشيئة في تفسير الوقائع. وتواجهنا فـي هذا السياق نماذج كثيرة ممتدة في مساحة "الكامل"، بدءاً بتاريخ بدء الخليقة وانتهاءً بأخبار عـصر ابن الأثير، حتى في تلك الصورة الكارثية التي رسمها عن الغزو التتري لدار الإسلام. [(١)] ففـي قصة هلاك بني إسرائيل على يد بخت نصّر وتخريبه البيت المقدس وأخذه سبايا بني إسرائيل إلى بابل فيما عُرف بـ "السبي البابلي"، بدأ ابن الأثير الحادثة باستعراض الأسباب الواقعية لحـدوثها، ثم علـَّق بأن " السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بنـي إسـرائيل هـو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره ...". [(٢)] ثم سار في القصة متتبعاً حركة الوقائع التي تسير وفق "مشيئة الله" مهيئة الظروف لبخت نصّر ليصبح ملكاً ويحقق "قدَر الله" في هلاك بنـي إسـرائيل، وتسير القصة محكومة وقائعها بتلك المشيئة إلى أن قدّر الله موته، " ... ولمـّا أراد الله تعـالى أن يردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس كان بخت نصّر قد مات ... ". [(٣)] وفي السياق ذاتـه يواجهنـا خبر غزوة الملك الفارسي "جودرز بن أشكان" بني إسرائيل الغزوة الثانية؛ إذ عَـدّها ابن الأثيـر تسليطاً من الله عليهم لقتلهم يحيى بن زكريا، " فأكثر القتل فيهم، فلم يعد لهم جماعـة كجمـاعتهم الأولى، ورفع الله منهم النبوة ونزل بهم الذل. " [(٤)]

ونجد في تاريخ الإسلام النظرة ذاتها عند ابن الأثير، وتؤكدها تعابيره المتكررة عـن تـدخل إرادة الله وتصريفه الأمور كيف يشاء، وتحكـّم القدَر بالحوادث؛ منهـا: تعليقه على فشل قـادة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ٣٥٨ وما يليها.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٨.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٥.

الخليفة المقتدر وقضاته وكتــّابه في خلعه سنة (٢٩٦ هــ / ٩٠٩ م) متعجباً بــأن " الناس كلهــم أجمعوا على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز، فلم يتم ذلك، بل كان على العكــس مــن إرادتهــم، وكان أمر الله مفعولاً. " [(١)] وكذا جعْــلــُـه "الأقدار" السببَ الأول في علو شأن عماد الدولــة بــن بويه من بين إخوته. [(٢)] كما علــّق ابن الأثير متعجباً على كثافة الحوادث وتــسارعهــا سنــــة (٣٢٢ هــ / ٩٣٤ م)؛ كاستعمال محمد بن ياقوت على أصبهان بعد انصراف وشــمكير عنهــا، وخلع القاهر، وخلافة الراضي، وأمر الحجبة لمحمد بن رائق، ثم إلغائه، ومسير محمد بن يــاقوت من رامَهُرْمُز إلى بغداد، وولايته الحجبة، وإعادة وشمكير إلى أصبهان، واستيلاء علي بــن بويــه على أرّجان، بأن " هذا جميعه في هذه اللحظة القريبة في سبعين يوماً، فتبارك الله الذي بيده الملك والملكوت يصرِّف الأمور كيف يشاء ...". [(٣)] وجعل ابن الأثير "لطف الله بالمسلمين" ســبباً فــي نجاة الشام ومصر من الحملة الكبرى التــي جهزهــا الفرنــج سنــة (٥٨٥ هــ /١١٨٩ م)، بأن أهلــَك ملكَ الألمان عند خروجه في الحملة إلى الشام. [(٤)] واستخدم تعبيــر " إذا أراد الله أمراً هيأ له أسبابه " بصورة متكررة في ملاحظاته على بعض الحوادث، كما فــي تعليقــه علــى إحجــام عساكر صلاح الدين عن مهاجمة الفرنج أثناء مسيرهم إلى عكــا ســنة (٥٨٥ هـــ): " فلــو أن العساكر اتبعت رأي صلاح الدين في مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا، لكان بلغ غرضه وصدّهم عنها، ولكن إذا أراد الله أمراً هيأ له أسبابه. " [(٥)]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٧ ــ ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٤ ؛ انظر أيضاً استخدام ابن الأثير هذا التعبير في تعليقه على حادثة مقتل "مرداويج الديلمي" على يد غلمانه الأتراك سنة (٣٢٣ هــ)، ج٨، ص٣٠٠ ؛ وكذا في تعليقه على سيطرة كيخسرو بن قلج أرسلان على مدينتي أقصَرا وقونية بطلب من أهلهما سنة (٦٠١ هــ)، ج١٢، ص٢٠١ ؛ وانظر أيضاً تعبير " إنما لله أمرٌ هو بالغه " الذي استخدمه في تعليقه على "المغس" الذي أصاب صلاح الدين ومنعــَه من حسم معركته مع الفرنج قرب عكا سنة (٥٨٦ هــ)، ج١٢، ص٥٤ ؛ والعبارة التي علــّق بها على استيلاء التتر على "مازَندَران" سنة (٦١٧ هــ) بالرغم من حصانتها وصعوبة دخولها منذ القِدم: " وهؤلاء الملاعين ملكوها صفواً عفواً لأمر يريده الله تعالى."، ج١٢، ص٣٧٣.

وهكذا فالمشيئة الإلهية حاضرة باستمرار عند ابن الأثير، وهي المحــرك الأســاس للوقــائع، فالتاريخ "قد أحسن الله تدبيره وإن على المؤرخ أن يعبّر عن هذا التدبير في تاريخه. "[١] ومن ثم فإن فهم حوادث التاريخ فهماً تاماً، مرتبط بإدراك حقيقة أن هذا العالم مليء بآيات اللــه، كمــا أن الحوادث تستمد معناها الأخلاقي من عاقبتها، وهذه العاقبة هي فــي الوقــت ذاتــه العبــرة مــن القــَصص، و"العبرة" كلمة أساسية في الكتابات التاريخية للمسلمين. [٢]

٢ ــ أهمية دراسة التاريخ: الفوائد الدنيوية والأخروية:

بدأ ابن الأثير تبرير اشتغاله بعلم التاريخ بانتقاد صارم لخصوم الدراســة التاريخيــة، ففــي افتتاحية "الكامل" ومن أجل تنبيه القارىء إلى قيمة الجهد الذي بذله في تأليف "الكامل" عــَدّ ابــن الأثير خصوم التاريخ جهــَلة مدّعين "المعرفة والدراية"، ويظنون بأنفــسهم "التبحــر فــي العلــم والرواية". كما انتقد ازدراءهم التاريخ واختزالهم فوائده في "القصص والأخبــار ... والأحاديــث والأسمار". وبالمقابل اعتبر "الطبع السليم" من صفات المشتغلين بالتاريخ، فهُم الذين يملكون فهمــاً عميقاً لمنافع هذا العلم. [٣]

إن فوائد "التواريخ" كانت المسألة الأخيرة التي ختم بها ابن الأثير مقدمة كتابه، وقــد بــدأها بتقسيم هذه الفوائد إلى دنيوية أخروية.

وتشير الفائدة الأولى من الفوائد الدنيوية إلى تطلــّع غريزي في الإنسان إلى تحطيم حــواجز الزمن والموت وتوسيع حدود وعيه إلى ما وراء عمره الشخصي ليمتد إلى أعمار أجيال أخــرى ماضية؛ فالإنسان " لا يخفى أنه يحب البقاء، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شــعري أيّ فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحــوادث

---

(١) الخالدي، فكرة التاريخ، ص٢٧٤.

(٢) انظر آراء طريف الخالدي حول أثر "النظرة القرآنية" للتاريخ في التراث التاريخي عند المسلمين، فكرة التاريخ، ص٢٨ وما يليها.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦.

(٤) ولعل اعتبار ابن الأثير الطبع السليم صفة للمؤرخ ينسجم مع ما ذهب إليه المؤرخ الإنجليزي آرثر مارفيك في تبريره دراسة التاريخ بأنها تفي بحاجة أصيلة من حاجات البشر، وهي معرفة الماضي البشري

Marvic, Arthur, The Nature of History, Mcmilan, London, 1970, P14.

المتقدمين؟ فإذا طالعها فكأنه عاصرَهم، وإذا علمها فكأنه حاضَرَهم. " [١] وهكذا فالمعرفة التاريخية يتم تناقلها جيلاً زمنياً بعد جيل، وهي تشير إلى ارتباط الماضي بالحاضر؛ فالتاريخ مستمر في الحاضر استمراراً تفرض وجوده وعناصره ثقافة الأمة الحالية المتوارثة من الأجيال. [٢]

وتشير الفائدة الثانية إلى الوظيفة السياسية للتاريخ، وهي موجهة بشكل خاص إلى الملوك ورجال السياسة، وقد ربطها ابن الأثير بمفاهيم "الاعتبار والاقتداء والتجربة السياسية"، أولاً: الاعتبار من سيرة أهل الجور والعدوان؛ فـ " الملوك ومَن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها (التواريخ) من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوَّنة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطـَّرحوها. " [٣] وثانياً: الاقتداء بسيرة الولاة العادلين؛ فإن الحكام " إذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأن بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها درّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه. " [٤] وثالثاً: التجربة السياسية التي يحصل عليها الحكام " من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا (الولاة العادلون) بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً. " [٥] إذن فالمعرفة التاريخية أساسية لصاحب السلطة، ففيها القدوة الحسنة التي ينبغي أن يقتدي بها والأمثولة السيئة التي عليه أن يتجنبها، والهدف من ذلك تفادي الأخطاء التي وقع فيها سابقوه، والتي تسببت في تفكك دولهم ثم تلاشيها. [٦]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦ ــ ٧.

(٢) حاج ياسين، رياض حمودة، حاج ياسين، رياض حمودة، (٢٠٠٨م)، البيروني ودوره في الكتابة التاريخية، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص١٨٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٧.

(٦) وفي هذا المعنى انظر ما كتبه هرنشو في كتابه علم التاريخ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤م، ص١١١ ــ ١١٦.

ونوّه ابن الأثير في حديثه عن الفائدة الدنيوية الثالثة بقيمة التاريخ في تبيُّن النسق الذي تسير عليه حوادث التاريخ، بمعنى أن كل حادثة تاريخية هي بمثابة تجربة أو خبرة لمن يطّلع عليها، وهذه التجربة تتيح له تبيُّن القانون الذي تنتظم فيه الحادثة بدءاً من مقدماتها وأسبابها ومروراً بتطوراتها الميدانة وانتهاءً بعواقبها، وهذا ما عبّر عنه ابن الأثير عندما أشار إلى ما يحصل عليه الإنسان " من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا قد تـقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً ويصبح لأن يـُقتدى به أهلاً. " (١) وفي ضوء هذا الفهم لمنفعة التاريخ بات الإنسان قادراً على التنبؤ بالنتائج بمجرد تشكُّل الظروف الأولية للحادثة، لتشابه هذه الظروف بالظروف الواقعية لحوادث أخرى سابقة.

وتتجلى الفائدة الرابعة في إسهام الدراسة التاريخية في تكوين الثقافة الشخصية للفرد وإثرائها، " ومنها ما يتجمل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها ...". (٢) وهي حسب ابن الأثير منفعة لا تقل أهمية عن المنافع الأخرى، فالثقافة التاريخية أساسية لكل من يسعى لأن يكون مؤثّراً في محيطه الاجتماعي، عالماً كان أو مربياً أو معلماً أو سياسياً، "... فترى الأسماع مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره." (٣)

أما الفوائد الأخروية فحددها ابن الأثير بفائدتين، الأولى: "الزهد في الدنيا" التي تتقلب بأهلها وتتتابع نكباتها عليهم، إذ " أنها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تـُبق على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير ..."، (٤) ثم الإقبال على الآخرة والرغبة في " دار تنزهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص ...". (٥)

والثانية: هي " التخلق بالصبر والتأسيّ وهما من محاسن الأخلاق، فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرَّم، ولا ملك معظـَّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنه يصيبه ما أصابهم،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٨.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٨.

وينوبه ما نابهم. "[١] ولا يخفى أن ابن الأثير استمد هذه النظرة إلى فوائد التاريخ "الأخروية" من القــرآن الكــريــم.

رابعاً: ميــول ابن الأثيــر:

حرص ابن الأثير باستمرار على بيان آرائه مــن خلال تعليقاته على الحوادث، لذا من المهم الكشف عن ميوله إزاء موضوعات تاريخية أساسية كالحركات السياسية التي ظهرت فــي صــدر الإسلام؛ الشيعة والخوارج مثلاً، ثم صلاته الزنكية، وموقفه من صلاح الديــن.

وأول إشارة تواجهنا هنا جاءت في سياق السجال الذي اعتاد أن يعقده بين الحين والآخر مــع عقائد كاليهودية والنصرانية والمجوسية، أو مع المذاهب الإسلامية المختلفة، والإشارة تتنــاول رداً على عقيدة النصارى التي تنظر إلى عيسى على أنه إلــه، بأن عيسى " أول ما تكلم به العبوديــة ليكون أبلغ في الحجة على من يعتقد أنه إلــه. "[٢] وقد لا يكون أمراً غير اعتيادي مــن مــؤرخ مسلم ذي ثقافة دينية، وعاش في عصر طغت فيه الروح الدينية على الطيــف الثقــافي كلــه، أن يطرح سجالاً دينياً مع أديان أخرى، لكن المهم في هذه الإشارة أنها تعبير أولي عن نهج اتبعه ابن الأثير في مساحة كتابه كلها حرص من خلاله على تسجيل ميوله السياسية والدينية والمذهبية.

أولاً: بــدا ابن الأثير متعاطفاً مع العلويين في نزاعهم مع الأمويين، وأول ما يواجهنا هنــا تعبيــر "عليه السلام" الذي استخدمه بصورة متكررة عند أكثر إشاراته إلى أئمة الشيعة الإمامية؛[٣] وهو تعبير يُشعر بنظرة تنطوي على تقدير خاص، أو تأييد لهم ضــد خــصومهم مــن الأمــويين أو العباسيين. وتواجهنا أيضاً مقاطع مهمة تشير إلى تأييد ابن الأثير الصريح لعليّ في خلافــه مــع معاوية، ولثورات الشيعة الأولى في وجه السلطة الأموية، منها مقطع يَعتبر الانحياز إلــى علــيّ انحيازاً إلى جماعة المسلمين، ففي خبر دخول قيس بن سعد مصر عاملاً عليها من قِبَل عليّ مثلاً، قال ابن الأثيــر: " ... فافترق أهل مصر فِرقــاً، فرقــة دخلــت فــي الجماعــة فكانــوا معــه (قيس بــن سعــد)، وفرقــة اعتزلــت بخَرْنبــا... وفرقــة قالــوا: نحن مع علــيّ مــا لــم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣١١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٥، ج٣، ص٣٧٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠٤، ٤٦٠، ج٤، ص٢٢٨، ج٥، ص٤٢، ج٦، ص٣٢٦، ٤١٥، ٤٤٢، ج٧، ص٥٥، ج١٠، ص٥٢٢.

يُقِـد من إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة ...". [١] كما أن ابن الأثير يصر على الإشـارة إلـى معاوية باسمه مجرداً من عبارة "رضي الله عنه"، ودون لقب أمير المؤمنين بعد خلافته. [٢]

ووضع ابن الأثير ثورة الحسين ومأساة كربـلاء سنـة (٦١ هــ / ٦٨١ م) فـي الـسياق ذاته، إذ لم يستطع إخفاء تعاطفه مع قضية الحسين، وكراهيته لما فعله الأمويون به وبأفراد بيتـه، ويتجلـى ذلك فـي إشارات عابرة، فيها إشادة بكل من وقف إلى جانب الحسين أو تصدّى ليزيـد وعبيد الله بن زياد أو تعرّض لاضطهاد الأمويين، وفيها دعوات بالرحمة للـشهداء مـن أنـصار الحسين، أو باللعنة على قاتليه. [٣] كما أن تصوير ابن الأثير للأحداث جاء بمنظار من يقف فـي صفوف الحسين وشيعته، لكثافة التفاصيل التي قدّمها عن هذه الجبهة، مقابل تفاصيل أقل عن جبهة الشام، الأمر الذي يؤكد تعاطف ابن الأثير وربما انحيازه إلى الحسيـن. [٤] ولعل المنظـار ذاتـه استخدمه ابن الأثير في تصوير حركات الشيعة ضـد الأمويين كحركـة التوابيـن، [٥] وحركـة المختار التي أفرد لها مساحة كبيرة من كتابه، واستغرقت أكثر مادته عن حوادث سـنة (٦٦ هــ / ٦٨٦ م). [٦] وبالمقابل تجلـّت إدانة ابن الأثير للأمويين فـي الـصـورة الـسلبيـة التـي قدّمهـا عـن أخبـار معاويـة ومـروان بـن الحكـم وعبـد الملـك، وكـذا فـي التعابير السلبيـة التـي استخدمهـا مثـل "هلك" عندمـا سجّل خبـر وفـاة بعض الأمويين

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠١.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢١، ٣٦٤، ٣٧٥، ٣٨٣، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٤١، ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٩٧، ٥٠١، ٥١٥، ٥٢١، ج٤، ص٥، ١١.

(٣) انظر مثلاً إشادته بثبات ربيعة التي كانت على ميسرة جيش عليّ في صفين، ج٣، ص٣٠٧ ؛ وبموقف مسلم بن عوسجة الأسدي وأصحابه من الحسين قبيل كربلاء، ج٤، ص٥٨ ؛ وترحّمه على عبد الله بن عفيف الأزدي الذي قتله عبيد الله بن زياد لأنه تصدى له حين سبّ الحسين وأباه وشيعته، ج٤، ص٨٣ ؛ ولعنَـه سنان بن أنس النخعي قاتل الحسين، ج٤، ص٩٢ ؛ وترحّمه أيضاً على سليمان بن صرد الذي قتله جند الشام سنة (٦٥ هـ)، ج٤، ص١٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦ وما يليها.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١٧٥ وما يليها.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ٢١١ وما يليها.

كيزيد بن معاوية ومعاوية الثاني. [١] وللاستدلال على إدانة ابن الأثير للأمويين يمكن ملاحظة المثالين الآتيين:

ـ تعليق ابن الأثير على رد مروان بن الحكم على الوليد بن عتبة أمير المدينة قبل خروج الحسين، إذ قال الوليد مخاطباً مروان الذي كان يحرضه على حبس الحسين: " ... والله إني لأظن أن امرأ يحاسَب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة. قال مروان: قد أصبتَ. " فعلّق ابن الأثير على ذلك بقوله: "يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه." [٢]

ـ تعليقه على أبيات الخوف من العذاب التي قالها عبد الملك قبيل وفاته: "ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف، فإن مَن يكن الحَجاج بعض سيئاته يعلم على أيّ شيء يُقدم عليه." ثم قال : "وكان عبد الملك أوّل من غدَر في الإسلام ... وأوّل خليفة بَخِل، وكان يقال له رشح الحجارة لبخله، وأوّل من نهى عن المعروف ...". [٣]

ويجب أن لا يُفهم أن ابن الأثير كان متشيعاً، [٤] فإشاراته المؤيِّدة للعلويين هي مجرد تعبير عن موقف سياسي قائم على قاعدتي "الحق والعدل"، اللتين شكلتا لديه معياراً في تقييمه للمواقف السياسية، من هنا جاء رفض ابن الأثير الظلم الذي تعرض له العلويون، لذا جرى استخدام لفظ "التعاطف" ليكون التعبير الأدق لموقف ابن الأثير. ولعل ربطه التشيّع بضعف الحديث في ترجمته لـ "محمد بن عمروس الثعلبي" (ت ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م)، يؤكد بُعد المسافة بين ابن الأثير وبين التشيّع، فقد وصف ابن عمروس بقوله: "وكان شيعياً ضعيف الحديث." [٥]

ثانياً: لم يُخفِ ابن الأثير كراهيته للخوارج، إذ عدّهم مفسدين في الأرض، وقد جاء ذلك أول الأمر في سياق تأييده عليّاً وشيعته، ثم تحوّل فيما بعد ليعبِّر عن حرصه على وحدة الأمة،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٠٦، ج٤، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٢٢.

(٤) سبقت الإشارة في ترجمة ابن الأثير في الفصل الأول من هذه الدراسة إلى نشأته في بيئة الموصل السُّنية وإلى ثقافته الدينية على المذهب الشافعي، انظر الفصل الأول من هذه الدراسة، ص٨ ـ ١٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٦٧.

وكراهيته الخروج على السلطة الشرعية، والتي باتت ممثلة بالخلافة الأموية ثم العباسية. ففي إحدى الروايات التي تناولت الحوار الذي دار بين الخوارج وعليّ قبيل التحكيم، أشار ابن الأثير إلى قولهم لعليّ : " قد كنا كما ذكرتَ وكان ذلك كفراً منا (بقبول التحكيم) وقد تبنا إلى الله، فتب كما تبنا نبايعْك، وإلا فنحن مخالفون. فبايعـنَا عليّ...". ثم علـّق بقوله: " وقد كذب الخوارج فيما زعموا. " [١] كما علـّق على حروب الخوارج في العراق وفارس سنة (٦٨ هـ / ٦٨٧ م)، بعبارة: " وأفسد الخوارج في الأرض. " [٢]

ثالثاً: أثرت الصلة الوثيقة لأسرة ابن الأثير بأتابكة الموصل على كتابته، فقد أظهر بوضوح ميله للأسرة الزنكية وتعاطفه معهم ضد خصومهم، واتضح هذا الميل في تأريخه للأسرة منذ حديثه عن ولاية آقسنقر على حلب سنة (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م)، إذ حرص على الإشادة بسياسة آقسنقر وتسجيل أثرها في معيشة الناس وأمنهم، فتصدى آقسنقر بنفسه لقطـّاع الطرق والحرامية " فأمنت الطرق بولايته ". [٣] وكان " أحسن الأمراء سياسة لرعيته، وحفظاً لهم، وكانت بلاده بين رخص عام، وعدل شامل، وأمن واسع ... فكانت السيارة إذا بلغوا قرية من بلاده ألقوا رحالهم وناموا، وحرسهم أهل القرية إلى أن يرحلوا، فأمنت الطرق. " [٤] كما أشاد به لوفائه للسلطان بركيارق بن ملكشاه بقوله: " فيكفيه فخراً أنه قـُتل في حفظ بيت صاحبه ووليّ نعمته. " [٥]

وأشاد ابن الأثير أيضاً بسياسة عماد الدين زنكي وبتحركاته العسكرية، فقد عبَّر مثلاً عن ارتياحه لاستيلاء عماد الدين على مناطق في الجزيرة وشمال بلاد الشام مثل نصيبين وسنجار وحرّان، لأنه حافظ بذلك على حلب وما يجاورها من تهديد الفرنج،: " ولو لا أن الله تعالى منّ على المسلمين بمـُلك أتابك ببلاد الشام لمـَلكها الفرنج لأنهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية...". فبوفاة ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق سنة (٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م) ، " خلا لهم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٨٣.
(٣) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٨٠.
(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٣٣.
(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٣٣.

جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله. "[١] كما عبَّر عن إعجابه بنور الدين محمود من خلال الصورة الإيجابية التي رسَمها عن سياسته وأعماله العسكرية، [٢] وحرصه على تسجيل ما قاله الشعراء في مدح إنجازاته. [٣]

وقد أفاض ابن الأثير في الحديث عن مناقب عماد الدين زنكي ونور الدين محمود، وفي المقتطفات الآتية ما يشير إلى ميله لهذه الأسرة، يقول:

" وكان (عماد الدين) شديد الهيبة على عسكره ورعيته، عظيم السياسة، لا يقدر القوي على ظلم الضعيف، وكانت البلاد قبل أن يملكها خراباً من الظلم وتنقُّل الولاة ومجاورة الفرنج، فعمرها وامتلأت أهلاً وسكاناً ... وكانت الموصل من أقل بلاد الله فاكهة، فصارت في أيامه وما بعدها، من أكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك ... وكان أشجع خلق الله، أمّا قبل أن يملك فيكفيه أنه حضر مع الأمير مودود صاحب الموصل مدينة طبرية، وهي للفرنج، فوصلت طعنته باب البلد وأثر فيه، وحمل أيضاً على قلعة عقر الحميدية، وهي على جبل عالٍ، فوصلت طعنته إلى سورها ... وأما بعد المُلك فقد كان الأعداء محدقين ببلاده، وكلهم يقصدها ويريد أخذها، وهو لا يقنع بحفظها، حتى إنه لا ينقضي عليه عام إلا ويفتح من بلادهم ... فهو يقصد هذا مرّة وهذا مرّة، ويأخذ من هذا ويصانع هذا، إلى أن ملك من كل من يليه طرفاً من بلاده. " [٤] ويقول:

" وكان (نور الدين) قد اتسع ملكه جداً، وخُطب له بالحرمين الشريفين وباليمن ... وطبّق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله. وقد طالعتُ سِيَر الملوك المتقدمين، فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، ولا أكثر تحرياً منه للعدل ... فإنه لم يترك في بلاده، على سعتها، مَكساً ولا عُشراً بل أطلقها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل، وكان

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٥١.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص١٣١ ــ ١٣٢، ١٣٩ ــ ١٤١، ١٤٩ ــ ١٥٠، ١٦٣، ١٩٧ ــ ١٩٨، ٢١٩ ــ ٢٢١، ٣٠٤ ــ ٣٠٥، ٣٥٢ ــ ٣٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص١٤٩ ــ ١٥٠، ١٦٣ ــ ١٦٤، ٢٠٨ ــ ٢٠٩، ٢١٩ ــ ٢٢٠، ٢٨٥، ٣٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص١١١ ــ ١١٢.

يعظم الشريعة، ويقف عند أحكامها ... وبنى داراً للعدل في بلاده، وكان يجلس هو والقاضي فيها ينصف المظلوم، ولو أنه يهودي، من الظالم ولو أنه ولده أو أكبر أمير عنده ... وأما ما فعله من المصالح، فإنه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها ... وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية، وبنى الجامع النوري بالموصل، وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق، وبنى الخانكاهات للصوفية في جميع البلاد، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة ... ". [١]

رابعاً: ويتصل بنظرة ابن الأثير إلى الزنكيين نظرتـه إلى صلاح الدين الأيوبي. ولعل "هاملتون جب" أول من أثار هذه المسألة، ثم تبعه آخرون. [٢] ويرى "جب" أن الصورة التي رسمها ابن الأثير لصلاح الدين عكست " بشيء من الاعتدال عداءَ أنصار الزنكيين له في بداية الأمر، ثم ما قابلوه به لاحقاً من إعجاب متكلَّف وولاء تشوبه الضغينة ... "، [٣] وأنه " رجل استخدم مواهبه العسكرية لإشباع مطامح أسرته الحاكمة وبناء إمبراطورية شاسعة الأطراف. " [٤]

إن في تاريخ ابن الأثير ما يشير إلى نظرة سلبية لصلاح الدين، وقد لا تقدّم هذه الدراسة جديداً في هذه المسألة، لكنها ستحاول الإجابة على تساؤلات مهمة: كيف تناول ابن الأثير أخبار صلاح الدين؟ وهل أثرت صلاته بالزنكيين على نظرته لصلاح الدين؟ ثم هل أثرت تلك الصلات في كتابته ثم في موضوعيته؟

إن مشاعر ابن الأثير تجاه صلاح الدين لم تكن إيجابية تماماً، لذا فهو لم يشعر بارتياحٍ لِما فعله صلاح الدين بخلفاء نور الدين محمود، أولياء نعمة أسرة ابن الأثير، والشواهد على ذلك كثيرة، تبدأ بمحاولة ابن الأثير التقليل من وزن صلاح الدين السياسي بوجود نور الدين، فعلى سبيل المثال: بعد حديثه المفصَّل عن العوامل التي قوّت مركز صلاح الدين في مصر، ثم تولّيه

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٠٣ ــ ٤٠٤.

(٢) Gibb, Hamilton, The life of Saladin from the works of Imad Ad-din and Baha Ad-din, Oxford University Press, 1973, P 9-11 ;
وجِب، صلاح الدين، مقالته عن مآتي صلاح الدين، ص١٨٤ ؛ وانظر أيضاً: ما كتبه كل من: نظير حسان سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ص٩ ــ ١٢ ؛ والعريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص٢٠٧ وما يليها ؛ و Maalouf, The Crusades through Arab eyes, P 181.

(٣) جب، صلاح الدين، مقالته عن مآتي صلاح الدين، ص١٨١.

(٤) المرجع نفسه، ص١٨٤.

الوزارة فيها سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م)، أصرّ ابن الأثير على التذكير بأن صلاح الدين وإن ثبتت قدمه في مصر، ما يزال نائباً عن نور الدين محمود. [١] ثم عاد مرة أخرى وكرر العبارة ذاتها: " وكان على الحقيقة نائب نور الدين "، [٢] وذلك حين ألزمه نور الدين بقطع الخطبة للفاطميين في مصر. ثم استكمل محاولته باستدعاء الصيغة التي كان نور الدين وأمراء مصر يكاتبون فيها صلاح الدين؛ إذ كان نور الدين يكاتبه " بالأمير الاسفهسلار (أي قائد الجيش)، ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيماً عن أن يكتب اسمه، وكان لا يفرده بكتاب، بل يكتب الأمير الاسفهسلار صلاح الدين، وجميع الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا. " [٣] وفي السياق ذاته أفرد مقطعاً بعنوان "ذِكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطناً"، لتفسير اهتزاز الثقة بين نور الدين وصلاح الدين، وهو تفسير قائم على خوف صلاح الدين من أن يقوم سيده نور الدين بأخذ مصر منه وعزله. [٤] والتفسير ذاته استخدمه ابن الأثير في حديثه عن الحملة التي سيّرها صلاح الدين إلى النوبة سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م)، لتكون هي أو اليمن بديلاً عن مصر في حال عزله نور الدين. [٥] وكذلك في حديثه عن عودة صلاح الدين من الكرك بعد حصاره له في السنة ذاتها، حيث خاف أن يجتمع بنور الدين عند الكرك فيكون عزله أسهل. [٦]

وهناك أمثلة تُشعِر بعدم ارتياح ابن الأثير لأعمال صلاح الدين العسكرية ضد خلفاء نور الدين محمود، ومن ذلك:

ـ العبارة التحريضية التي قالها في خبر انهزام سيف الدين غازي من صلاح الدين في تل السلطان قرب حلب على طريق حماة سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)، إذ يقول: " وكان صلاح الدين في قلة من العساكر ... وقد سيّر عساكره إلى مصر، فأرسل يستدعيها، فلو عاجلوه لبلغوا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٧١ ــ ٣٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٨٦ ــ ٣٨٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٩٣.

غرضهم منـــه، لكنهم تريثوا وتأخروا عنه، فجاءته عساكره ...". [١]

ــ والعبارة التي قالها عندما استلم عز الدين مسعود حلب بعد وفاة ابن عمه الملك الــصالح بــن محمود زنكي سنة (٥٧٧ هــ / ١١٨١ م): " وكان صلاح الدين حينئــذٍ بمــصر، ولــو لا ذلــك لزاحمهم عليها وقاتلهم ... ". [٢]

ــ والعبارة التي استهل بها خبر مُلك صلاح الدين آمد سنة (٥٧٩ هــ / ١١٨٣ م): " قد ذكرنــا نزول صلاح الدين بحرزم، تحت ماردين، فلم يــرَ لطمعه وجهاً ... ". [٣]

ــ والتعليق الذي سجّله في نهاية خبر الصُّلح الذي عقده عماد الدين زنكي بن مودود مع صــلاح الدين سنة (٥٧٩ هــ)، وينص على أن يسلـِّم عماد الدين حلب لصلاح الدين، ويأخــذ عوضــها سنجار ونصيبين والخابور والرِّقة وسَروج: " وباعها بأوكس الأثمان، أعطى حصناً مثــل حلــب، وأخذ عوضها قرىً ومزارع ... فعجب الناس كلهم من ذلك، وقبّحوا ما أتى، حتى إن بعض عامة حلب أحضر اجّانة وماء وناداه: أنت لا يصلح لك المُلك، وإنما يــصلح لــك أن تغــسل الثيــاب، وأسمعوه المكروه." [٤] وفي المعنى ذاته نقل ابن الأثير ما كتبه القاضي الفاضل عن هذه الــصفقة: " أعطيناه عن حلب كذا وكذا، وهو صَرف على الحقيقة أخذنا فيه الدنانيــر وأعطينــاه الــدراهم، ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم. " [٥]

ــ الصيغة التي قدّمها لخبر حصار صلاح الدين الموصل سنة (٥٨١ هــ/ ١١٨٥ م) وما جــرى أثنــاء الحصار؛ فعز الدين أتابك الموصل أرسل وفداً يضم والدته وابنة عمه نور الدين محمــود، إلى صلاح الدين يطلبون منه المصالحة، ظناً منهم أن صلاح الدين لن يردّ النساء خائبــات، " لا سيما ومعهنّ ابنة مخدومه ووليّ نعمته نور الدين "، لكن صلاح الدين لم يستجب لهنّ، بناءً علــى مشورة بعض أصحابه الذين قالوا له: " مثل الموصل لا يُترك لامرأة، فإن عز الدين ما أرسلهــنّ

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٢٧ ــ ٤٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٩٧.

إلا وقد عجز عن حفظ البلد. ووافق ذلك هواه، فأعادهنّ خائبات، واعتذر بأعذار غير مقبولة، ولم يكن إرسالهنّ عن ضعف ووهَن، وإنما أرسلهنّ طلباً لدفع الشر بالتي هي أحسن ...". ثم إن صلاح الدين واجه استماتة من أهل الموصل في الدفاع عنها، ورأى " ما لم يكن يحسبه، فندم على رَدّه النساء ندامة الكُسَعي، حيث فاته حُسن الذِكر ومُلك البلد ...". (١)

إذن فولاء ابن الأثير للأسرة الزنكية ومشاعره السلبية تجاه صلاح الدين انعكست فعلاً في الصورة التي رسمها عن علاقة صلاح الدين بالزنكيين. ويبدو أن تلك المشاعر السلبية أثرت أيضاً في نظرته إلى بعض أعمال صلاح الدين العسكرية الموجهة ضد الفرنج، ويواجهنا هنا ذلك النقد القاسي الذي وجهه ابن الأثير لصلاح الدين لرحيله عن صور سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)، بعد أن طال حصاره لها: " وهذه كانت عادته، متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه ومن حصاره فرحل عنه ... فلما رأى هو وأصحابه شدّة أمر صور ملّوها، وطلبوا الانتقال عنها، ولم يكن لأحد ذنب في أمرها غير صلاح الدين، فإنه هو جهّز إليها جنود الفرنج، وأمدّها بالرجال والأموال من أهل عكا وعسقلان والقدس ... كان يعطيهم الأمان ويرسلهم إلى صور، فصار فيها من سلِم من فرسان الفرنج بالساحل، بأموالهم وأموال التجار وغيرهم، فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم ...". (٢) وكرر الانتقاد ذاته في تعليقه على خبر فتح حصن كوكب سنة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)، حيث أمّن صلاح الدين سكان الحصن من الفرنج ورحّلهم إلى صور، " واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صنديد، فاشتدت شوكتهم وحميت جمرتهم، وتابعوا الرسل إلى مَن بالأندلس وصقلية وغيرها من جزائر البحر يستغيثون ويستنجدون، والأمداد كل قليل تأتيهم، وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين في إطلاق كل مَن حصره، حتى عضّ بنانه ندماً وأسفاً حيث لم ينفعه ذلك. " (٣)

ولكن بالرغم من كثافة الشواهد في تاريخ ابن الأثير على انحيازه إلى الزنكيين ونظرته السلبية لصلاح الدين، تواجهنا شواهد أخرى لا تقل كثافة، تشير إلى تمتع ابن الأثير بقدْر من

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥١١ ــ ٥١٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٥٥ ــ ٥٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١٢، ص٢٣.

الموضوعية التي تعني حرصه كمؤرخ على عدم إخفاء الحقائق حتى ولو كانــت تتعــارض مــع ميوله. إذ لم يتوانَ مثلاً عن تسجيل بعض الأعمال التي تنطوي على نوع من الإدانة لعماد الــدين زنكي في علاقاته مع بعض أمراء المدن المجاورة، كاعترافه بالطريقة غير الأخلاقية التي استولى بها عماد الدين على مدينة حَماة سنة (٥٢٣ هــ / ١١٢٩ م)، حيث غدَر بــتِاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق الذي أرسل إليه نجدة عسكرية مع ابنه سونج أمير حَماة لمحاربة الفــرنج، بعد أن أظهر عماد الدين نيته في جهاد الفرنج، وأعطى تاجَ الملوك العهود والمواثيــق، وعنــدما وصل سونج إلى عماد الدين قبض عليه وعلى بعض أمرائه، " ونهب خيــامهم ومــا فيهــا مــن الكــُراع ... وسار من يومه إلى حَماة، فوصل إليها وهي خالية من الجنــد الحــُماة الذابّــين، فملكها واستولى عليها ...". [1] وسجّل أيضاً غــدْر عماد الدين بجند بعلبك بعد أن أمــّنهم واستلم قلعتها منهم سنة (٥٣٣ هــ / ١١٣٩ م)، " فلما نزلوا منها وملكها غــدَر بهــم وأمــر بــصلبهم فصُلبوا ولم ينجُ منهم إلا القليل، فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه ...". [2]

ومن ناحية ثانية سجّل ابن الأثير دفاعاً عن سياسات اتخذها قادة أيوبيون فــي علاقاتهــم مــع الفرنــج، كتبريــره الاتــفاق الــذي عقــده أســد الديــن شيركــوه مــع الفرنــج سنــة (٥٥٩ هــ / ١١٦٤ م)، بأن يخرج الفرنج من مصر، على أن يــسلــّم أســد الــدين مــا بيــده للمصريين ويعود إلى الشام؛ وينطوي التبرير على اعتذار عن أسد الدين لأنه لم يكن يعلم ما فعله نور الدين بالفرنج بالشام حيث هزمهم وأخذ قلعة حارم منهم، كما أن الأقوات والــذخائر قلـــّت على أسد الدين. [3] وكذلك دفاعه عن انسحاب الملك العادل من أمام الفرنج عنــد مدينـــة بيــسان ورحيله إلى دمشق سنة (٦١٤ هــ/ ١٢١٧ م)، بسبب قلة عساكره، فاستفرد الفرنج بأهل بيــسان، فقتلوا منهم الكثير ونهبوا البلاد وأخذوا ما فيها من الذخائر، الأمر الذي عرّض العادل للانتقـــاد، فقــال ابــن الأثيــر: " وبالجملة الذي فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر باللقاء علـــى

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٦٥٨ ــ ٦٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٦٩ ؛ وهذا المثال يثبت عدم صحة ما ذهبت إليه هلينبراند من أن تحيّز ابن الأثير للأسرة الزنكية أثر على أحكامه وموضــوعيته،

Hillenbrand, Carole, The Crusades Islamic Perspectives, P 114.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٠٠.

حال تفــرُّق مــن العساكر ...". [١]

كما التفت ابن الأثير إلى بعض الأعمال التي قام بها صلاح الدين في مجال المصلحة العامــة وسجّلها بوصفها مآثر تستحق الذِكر. فمثلاً أثبت التدابير التي قام بهاَ في مــصر بعــد اســتلامه الوزارة، كهدمه دارَ المعونة التي كانت تـُستخدم سجناً، وبنى مكانها مدرسة للشافعية، وحوّل دار العدل إلى مدرسة للشافعية أيضاً، وعزل قضاة الشيعة، وعين قاضياً شافعياً في القــاهرة، وقــضاة شافعيين في باقي أنحاء مصر. [٢] وكذا أمْره ببناء المدرسة التي علــى قبــر الــشافعي، وإنــشاء بيمارستان بالقاهرة وتخصيصه الأموال الطائلة للإنفاق عليه. [٣]

وأخيراً يبدو أن ابن الأثير حرص على إثبات ذلك القدْر من الموضــوعية، بمقــاطع كاملــة حاول فيها أن يبرز الخصال الحميدة التي تمتع بها صلاح الدين وبعض أفراد أسرته. وربما كــان للإنجاز العظيم الذي حققه صلاح الدين في حطين ثم استعادته بيت المقدس أثره في هذا التحــوّل لدى ابن الأثير: "وهذه المكرمة من فتح البيت المقدّس لم يفعلــْها بعد عمر بن الخطــاب رضــي الله عنه غير صلاح الدين رحمه الله، وكفاه ذلك فخراً وشرفاً. " [٤] "وكان رحمه الله كثير العفو، يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه، فيعفو ويصفح ...". [٥] "وكان رحمه الله حليماً كريمــاً، كثيــر العفو عند المقدرة ...". [٦]

وتواجهنا هنا تلك الفقرات المطوّلة التي أفردها ابن الأثير للإشادة بخــصال صــلاح الــدين، وختم بها خبر وفاته سنة (٥٨٩ هــ / ١١٩٣ م):

"وكان رحمه الله، كريماً، حليماً، حسن الأخلاق، متواضعاً، صبوراً على ما يكره، كثير التغافــل عن ذنوب أصحابه ... كان كثير البذل لا يقف في شيء يخرجه، ويكفي دليلاً على كرمه أنــّه

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٤٠ ــ ٤٤١.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢، ص ٢٢ ــ ٢٣.

(٦) المصدر نفسه، ج١٢، ص٨٥.

لمـّا مات لم يخلـّف في خزائنه غير دينار واحد صوريّ، وأربعين درهماً ناصـرية ... وأمـا تواضعه، فإنه كان ظاهراً لم يتكبر على أحد من أصحابه، وكـان يعيـب الملوك المتكبرين بذلك ... ولم يلبس شيئاً مما ينكره الشرع، وكان عنده علم ومعرفة، وسمع الحديث وأسمعه، وبالجملـة كان نادراً في عصره ... عظيم الجهاد في الكفـّار، وفتوحه تدل على ذلك ...". (١)

وكان قبل ذلك قد تحدّث بإعجاب عن شجاعة أسد الدين أثناء خروجه مـن بلبـيس سنـة (٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م)، في عدد قليل من العساكر، وقد أحاط به المـصريون والفـرنج، إذ لـم يخَـف غدرهم به، الأمر الذي أثار دهشة الفرنـج أنفسهـم. (٢)

وأخيراً لم يستطع ابن الأثير أن يتملك دهشته من تعاضد أولاد الملك العادل بعد وفاته، وكان قد قسّم بلاده بينهم، " واتفقوا اتفاقاً حسناً لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم، بل كانوا كالنفس الواحدة، كل منهم يثق بالآخر ... ولعمري إنهـم نعـم الملوك، فيهم الحلم والجهاد والذبّ عن الإسلام ...". (٣)

ومجمل القول إن ابن الأثير جمع مادة كتابه ثم ألفه في مدة تجاوزت العشرين سنة، لذلك من الممكن أن تكون نظرته للوقائع والشخصيات العامة والقادة قد تعرضت للتحول، تبعاً لتغير الجـو العام والظروف، وهذا أمر منتظر، وقد يشكل تفسيراً مقبولاً لما قد يبدو تناقضاً في ميوله. أضـف إلى ذلك أن قراءة دقيقة لكتابيّ "الكامل" و"الباهر" تـُشعر بأن الأثير كان مدفوعاً بهاجس الحرص على مصلحة الأمة، فجاءت أحكامه التاريخية من زاوية المنجزات التي تصب في تلك المـصلحة، لذا فهو منحاز لكل من يسعى للدفاع عنها، وضد كل من يسيء إليها.

****

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٩٦ ــ ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٠٠ ــ ٣٠١.

(٣) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٥٢.

الاستنتاجات:

ـــ مزج ابن الأثير في تاريخه بين الكتابة على السنين "نظام الحوليات" والكتابة حسب الموضوعات، فوضع الحوادث ضمن سياق تاريخي متصل يجمع بين التسلسل الزمني ووحدة الموضوع.

ـــ قدّم ابن الأثير مادة تاريخية متوازنة زمنياً وجغرافياً؛ فمن الناحية الزمنية بحَث في الفترات الممتدة من بدء الخليقة وحتى عصره (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م). ومن الناحية الجغرافية حرص على تقديم مادة تاريخية تغطي العالم المعروف لديه، مع التركيز على العالم الإسلامي.

ـــ عرض ابن الأثير مادته بشكل منظَّم ونجح إلى حد بعيد في تحقيق هدفه الذي رسمه منذ البداية والمتمثل في تقديم تاريخ موسوعي تتوفر فيه معلومات في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري، وقد بذل فيه جهده في استقصاء مادته.

ـــ تدخَّل ابن الأثير في المادة التي أخذها عن مصادره، وتصرَّف بها وفق رؤيته الخاصة التي تميز بها، فجاء كتابه بكل أجزائه معبراً عن منهج واحد هو منهج مؤلفه. لذا لم يكن ابن الأثير مجرد ناقل للمعلومات وإنما كان ينتقي الأخبار ويتحرى الدقة في كل مصدر تعامل معه. وكان يسمو إلى نقد مصادره ويعطي رأيه فيها بما ينسجم مع اهتمامه بسياق الحوادث ومنطقيتها. لذا كان في أكثر الأحيان يستبعد الأخبار ذات الطابع الأسطوري، وهذا الأمر جعل تاريخه يمثل تطوراً مهماً في الكتابة التاريخية.

ـــ تنوعت نواحي اهتمام ابن الأثير، ومع أن المادة التي قدمها اتخذت طابع التاريخ السياسي والعسكري في خطوطها العامة، إلا أن قسماً منها اشتمل على نواح ثقافية واقتصادية واجتماعية، واشتمل على معلومات مهمة عن الفتن الداخلية وعن بعض الظواهر الطبيعية والتقاويم والكوارث إضافة إلى المصالح العامة.

ـــ جاءت نواحي اهتمام ابن الأثير في سياق عنايته بكل ما يؤثر في حياة الناس واستقرار المجتمع من حوادث أو ظواهر. فالفتن بكل دوافعها، وارتفاع الأسعار وانعكاساته المعيشية، والحركات الاجتماعية والأزمات السياسية؛ كونت موضوعات أثـّرت في الحياة العامة، وانعكست على استقرار المجتمع، وهذا الاستقرار شكل الهاجس الذي يمكننا تلمسه لدى ابن الأثير في ثنايا تاريخه.

ــ ربط ابن الأثير بين الأوضاع السياسية والاجتماعية من جهة، والأحوال الاقتصادية من جهة ثانية، ليؤكد على أن الاستقرار السياسي والاجتماعي رهين باستقرار معيشة الناس ورفاههم، فمتى تدهورت أحوالهم الاقتصادية انعكس ذلك سلباً على النظام السياسي والاجتماعي. كما أنه أراد من خلال حديثه المتكرر عن المجاعات والأوبئة الناجمة عن التدهور الاقتصادي تحذير كل صاحب قرار من أي إجراءات تعسفية تمس معيشة الناس، ولاسيما وأن إشاراته عن الإجراءات الاقتصادية للدولة؛ كتخزين المواد ومصادرة أموال الناس وأملاكهم وفرض الضرائب والرسوم أو إسقاطها تكررت في سياق حديثه عن الأحوال الاقتصادية. وقد أبدى ابن الأثير حماساً لكل تدبير يحقق المصلحة للعامة، كإسقاط المكوس والضرائب والإقطاعات القائمة على الجور.

ــ استمد ابن الأثير مادته من المصادر التي وصلته، وهي متنوعة، فقد أفاد من المصادر الشفوية وشهود العيان. واعتمد أيضاً على مشاهداته واتصالاته الشخصية. وأفاد بصورة واسعة من المصادر المكتوبة؛ سواء كانت كتباً أو رسائل شخصية أو وثائق رسمية. وقد جاء اعتماده على مصادره بدرجات متفاوتة تبعاً لحجم كل منها وقيمة معلوماته.

ــ بنى ابن الأثير مادته عن موضوعات بدء الخليقة والزمن القديم والتاريخ الإسلامي حتى بداية القرن الرابع الهجري معتمداً بصورة أساسية على تاريخ الطبري، ومع ذلك رجع إلى مؤلفات أخرى أكمل بها مادته. كما أنه تصرّف بمادة الطبري فقام بدمج الروايات المتعددة التي أوردها الطبري للحادثة الواحدة في خبر واحد وضمن سياق متصل، فاعتمد الرواية التي يرى أنها الأتم، ثم أضاف بعض التفاصيل من روايات أخرى أو من مصادر أخرى وفق مبدأ "الانتقاء" الذي قام عليه منهجه في تعامله مع مصادره.

ــ أهمل ابن الأثير "الإسناد"، وهذا مرتبط بالسمات الثقافية لعصره والتي لم تعد تتقبل السلاسل الطويلة من الإسناد، ومرتبط أيضاً بالغرَض من تأليفه الكتاب؛ فابن الأثير لم يؤلف كتابه لذوي الثقافة العالية فحسب، وإنما كان معنياً بذوي الثقافة العامة والمحدودة، لذا فهو متفهم لحاجة هؤلاء إلى معرفة الخبر وقيمته التاريخية والإفادة منه أكثر من حاجتهم إلى تتبع سلاسل السند.

ــ لم يصرّح ابن الأثير بجميع مصادره، لكنه ذكر مصادره الرئيسية كالطبري وابن القلانسي والعماد الأصفهاني الكاتب. وأشار في أكثر من موضع إلى من أخذ عنهم معلوماته بصورة جمعية دون أن يحدد أسماءهم، كمؤرخي خراسان في مادته عن خراسان ومؤرخي الشام في مادته عن الشام والمؤرخين المغاربة في مادته عن المغرب والأندلس ومؤرخي مصر في مادته عن مصر.

ـ اعتنى ابن الأثير بروايات "أهل البلد" في اختيار مصادره، فحاول الاعتماد على المصادر الأصلية الخاصة بكل إقليم يكتب عنه، خصوصاً في الفترة من القرن الرابع الهجري إلى عصره. فمثلاً في أخباره عن العراق أخذ عن أبي بكر الصولي وابن الجوزي، وفي أخباره عن إفريقيا والمغرب أخذ عن الأمير عبد العزيز صاحب كتاب " تاريخ إفريقية والمغرب " وابن شداد الصنهاجي، وفي أخباره عن الشام والجزيرة أخذ عن ابن عساكر وابن القلانسي والعماد الأصفهاني الكاتب.

ـ أدرك ابن الأثير قيمة المصادر الشفوية والمشاهدة والمعاينة للوقائع، لذا جاءت إشاراته إليها كثيرة، خاصة في مادته عن الفترة الصليبية، وهذا منتظر لكونه معاصراً لها وشاهدَ عيان لبعض الأحداث، ولاتصاله ببعض من شاركوا فيها.

ـ نظَّم ابن الأثير مادته فوضع للأحداث عناوين لتعبِّر عن مضامينها، وعرَض المعلومات بشكل متماسك، ومهَّد لكل خبر بفقرة مركَّزة تعطي تصوراً مجملاً للخبر أو خلاصة للتعريف بالحدث وبنتيجته النهائية وبخطة المؤلف في تناوله قبل الدخول في التفاصيل.

ـ صرّح ابن الأثير بمنهجه في بداية بعض الموضوعات حول ترتيب أو دمج أو جمع حوادث معينة في سياق واحد.

ـ ارتبطت نظرة ابن الأثير إلى التاريخ بالمشيئة الإلهية التي تسيِّر حركة التاريخ. لكن ليس ثمة تناقض عنده بين أثر هذه المشيئة ودور الإنسان المركزي في صنع الحوادث. فالأسباب الواقعية البشرية للحوادث والتي حرص ابن الأثير على تثبيتها تأتي ضمن مشيئة الله وقدَره.

ـ اعتمد ابن الأثير في نظرته النقدية على العقل وعلى ثقافته الشخصية وخبراته. وقد تنوعت أساليب النقد لديه، منها تحريه الدقة وابتعاده عن المبالغة وانتقاده آراء من سبقوه، ثم حرصه على تصحيح بعض الأخبار وترجيح أقوال على أخرى.

ـ كان ابن الأثير مدفوعاً بهاجس الحرص على مصلحة الأمة، فجاءت أحكامه على الوقائع والقادة والشخصيات العامة من زاوية المنجزات التي تصب في تلك المصلحة، لذا فهو منحاز لكل من يسعى للدفاع عنها وضد كل من يسيء إليها.

****

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصـــادر

ـ **القــرآن الكريــم.**

ـ ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م)، ، **أسد الغابة في معرفــة الصحابــة،** ٥ أجزاء، دار إحيــاء التراث العربــي، بيــروت، بلا ت.

ـ ــــــــــــــــــــــ ، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية،** ط١، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م.

ـ ــــــــــــــــــــــ ، **الكامل في التاريخ،** ط٦، ١٣جزءاً، دار صادر، بيروت، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

ـ ــــــــــــــــــــــ ، **كتاب اللباب في تهذيب الأنساب،** ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ـ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠م)، **طبقات الشافعية،** ط١، مجلدان، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

ـ الأصفهاني، حمزة بن الحسن، (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء،** دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا ت.

ـ الأصفهاني، عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب، (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م)، **البــرق**

الشامي، ط١، ج٣، تحقيق مصطفى الحياري، و ج٥، تحقيق فالح صالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٨٧م.

- ــــــــــــــــــــــــــ ، **تاريخ دولة آل سلجوق**، اختصار الفتح بن علي البنداري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم، (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠م)، **صحيح البخاري**، ط٢، تحقيق مصطفى البنا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ١٩٩٣م.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م)، **رحلة ابن بطوطة**، ط٢، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢م.

- البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، **جمل من أنساب الأشراف**، ط١، ١٣ جزءاً، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

- ــــــــــــــــــــــــــ ، **فتوح البلدان**، عناية رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

- البيهقي، محمد بن حسين، (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧م)، **تاريخ البيهقي**، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م.

ـ ابن جبير، محمد بن أحمد، (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)، **رحلة ابن جبير**، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٢.

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط١، ١٨ جزءاً، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

ـ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مجلدان، مكتبة المثنى، بغداد، بلا ت.

ـ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ٤ أجزاء، ط١، مكتبة المثنى، لبنان، ١٣٢٨هـ.

ـ ـــــــــــــــ ، **لسان الميزان**، ٧ أجزاء، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

ـ ـــــــــــــــ ،**المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة** ، ط١، تحقيق محمد شكور الميادينى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م.

ـ الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر، (ت٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م)، **زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية**، ط١،تحقيق محمد نور الدين، دار إقرأ، بيروت، ١٩٨٥م

ـ الحنبلي، عبد الحي بن العماد، (ت١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ٨ أجزاء، المكتب التجاري، بيروت، بلا ت.

ـ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبيني، (ت بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٨م)، **كتاب صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

ـ ابن خُردادْبَة، أبوالقاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت حوالي ٣٠٠ هـ / ٩١٣م)، **المسالك والممالك**، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا ت.

ـ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها، وواريديها**، ط١، ١٧ جزءاً، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م.

ـ ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون، (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)، **المقدمة**، ط٦، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

ـ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ٨ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.

ـ الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م)، **تجريد أسماء الصحابة**، جزآن، شرف الدين الكتبي، بومباي ــ الهند، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م.

ـ ـــــــــــــــــــــ ، **سير أعلام النبلاء**، ٢٣ جزءاً، ج١٨، ط١، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤م. و ج٢٢، ط١، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

ـ ـــــــــــــــــــــ ، **كتاب تذكرة الحفّاظ**، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت.

ــ **ذيول تاريخ الطبري**، ط٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠ م.

ــ سبط بن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، (ت٦٥٤ هــ / ١٢٥٦م)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٠هــ ــ ١٩٥١م . وطبعة بيروت، ط١، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، ١٤٠٥هــ ــ ١٩٨٥ م.

ــ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، (ت ٧٧١ هــ / ١٣٦٩م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ط١، ١٠ أجزاء، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣هــ ــ ١٩٦٤م.

ــ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢ هــ / ١٤٩٧م)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هــ ــ ١٩٩٢م.

ــ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، (ت ٥٦٢ هــ / ١١٦٧م)، **كتاب الأنساب**، ٤ أجزاء، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٩م.

ــ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١ هــ / ١٥٠٥م)، **طبقات الحفاظ**، ط٢، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هــ ــ ١٩٩٤م.

ــ ــــــــــــــــــــ، **لب اللباب في تحرير الأنساب**، ط١، جزآن، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هــ ــ ١٩٩١م.

ــ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت٦٦٥ هــ / ١٢٦٧م)، **تراجم**

رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.

ـ ـــــــــــــــــــــــــ ، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، جزآن، دار الجيل، بيروت، بلا ت. وطبعة القاهرة ، ط٢، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

ـ أبوشجاع، ظهير الدين محمد بن الحسين، (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م)، **ذيل كتاب تجارب الأمم**، اعتناء هـ . ف . أمدروز، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا ت.

ـ ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع، (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥م)، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ط١، تحقيق أحمد إيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣ م.

ـ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراءالشام والجزيرة**، ٣ أجزاء، ج٣، تحقيق يحيى عبّارة، وزارة الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م.

ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (ت٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، **الملل والنحل**، جزآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بلا ت،

ـ الصابىء، هلال بن المحسّن بن إبراهيم، (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦م)، **تاريخ هلال الصابىء**، قطعة من الكتاب نشرها وصححها هـ . ف . أمدروز، وبعده د . س . مارجليوث، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا ت.

ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣م)، **كتاب الوافي بالوفيات**،

فرانز شتاينر بفسبادن، ألمانيا، ١٤٠٤ هــ ــ ١٩٨٣ م. وطبعة بيروت، ط١، ٢٩ جزءاً، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هــ ــ ٢٠٠٠م.

ــ طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى، (ت ٩٦٨هــ / ١٥٦١م)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، ط١، ٣ اجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هــ ــ ١٩٨٥م.

ــ الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠ هــ / ٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤ ــ ٦، ١٠ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، بلا ت.

ــ ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا، (ت٧٠٩ هــ / ١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هــ ــ ١٩٦٦م.

ــ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، (ت ٥٧١ هــ / ١١٧٥م) **تاريخ مدينة دمشق**، ٨٠ جزءاً، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هــ ــ ١٩٩٥م.

ــ ـــــــــــــــــــــ ، **تهذيب تاريخ دمشق**، ط٢، هذبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩ هــ ــ ١٩٧٩م.

ــ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت ٧٣٢ هــ / ١٣٣٢م)، **المختصر في أخبار البشر**، ٤ أجزاء، دار المعرفة، بيروت، بلا ت.

ــ ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن تاج الدين، (ت ٧٢٣ هــ / ١٣٢٣م)، **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢م.

ـ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد، (ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧م)، **طبقات الشافعيـة**، ٤ أجزاء، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، (ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧م)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، ط١، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيـروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ ـــــــــــــــــــــ ، **كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، عناية محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦ هـ.

ـ ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد، (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م)، **تاريخ دمشق**، ط١، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ ـــــــــــــــــــــ ، **ذيل تاريخ دمشق**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

ـ الكتبي، محمد بن شاكر، (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣م)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، ٥ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

ـ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، ١٤ جزءاً، دار الفكر، بيروت، بلا ت.

ـ ـــــــــــــــــــــ ، **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط٧، ٣ أجزاء، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١م.

ـ ابن ماكـولا، أبـو نصـر علـي بـن هبـة اللـه، (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م تقريباً)، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ط٢، مطبعة

مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٢م.

ــ مجهول، **أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده**، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١م.

ــ المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك، (ت٧٠٣هـ / ١٣٠٤م)، **كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

ــ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت٤٢١ هـ / ١٠٣٠م)، **تجارب الأمم**، ط١، ٨ أجزاء، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٩٧م .

ــ المقدسي، محمد بن أحمد البشاري، (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط١، دار السويدي، أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.

ــ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، ٣ أجزاء، ط٢، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.

ــ المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م)، **التكملة لوفيات النقلة**، ٦ أجزاء، تحقيق بشار عواد معروف، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م.

ــ ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ٢٩ جزءاً، ط١، تحقيق إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

ــ النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحاق، (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م)، **الفهرست**، مجلدان، تحقيق

شعبان خليفة ووليد العوزة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.

ـ النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، (ت٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م)، **شرح صحيح مسلم**، دار بيت الأفكار، الدولية، عمان، بلات.

ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨م)، **السيرة النبوية**، ٤ أجزاء، عناية طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي، (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧م)، **مرآة الجنان وعبـرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي ، (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م)، **كتاب المشترك وضعاً والمفترق صقعاً**، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ ـــــــــــــــــــــــــــ ، **معجم الأدباء**، ٢٠ جزءاً، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا ت. وطبعة دار الغرب الإسلامي، ط١، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٩٣م.

ـ ـــــــــــــــــــــــــــ ، **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

ـ اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م)، **ذيل مرآة الزمان**، ط١، ٤ أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤م.

ثانياً: المراجع الحديثة باللغة العربية:

١ــ الكتب:

ــ أبادي، شمس الحق العظيم، **عون المعبود على سنن أبي داود**، تحقيق رائد صبري أبو علفة، دار بيت الأفكار الدولية، عمان، بلا ت.

ــ الألباني، محمد ناصر، **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، ط١، ١٥جزءاً، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٢م.

ــ بارتولد، و(بلا ت)، **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

ــ باشا، عمر موسى (١٤٠٩هــ ــ ١٩٨٩م)، **الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك**، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق.

ــ بالِنثيا، آنخل جُنثالث (بلا ت)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

ــ **بحوث ندوة أبناء الأثير** (١٩٨٢م)، كلية الآداب، جامعة الموصل.

ــ بدر، مصطفى طه (بلا ت)، **مغول إيران بين المسيحية والإسلام**، دار الفكر العربي، دمشق.

ــ بدوي، أحمد أحمد (١٩٧٢م)، **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، دار نهضة مصر، القاهرة.

ــ ـــــــــــــــــ (١٩٧٩م)، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، ط٣، القاهرة، دار نهضة مصر.

ــ بروكلمان، كارل (١٩٧٧م)، **تاريخ الأدب العربي**، ج٦، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة.

ــ ـــــــــــــــــ (١٩٦٨م) ، ط٥، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.

ــ جــب، هاملتون (١٩٩٦م). آ. ر، صلاح الدين الأيوبي، **دراسات في التاريخ الإسلامي**، ط٢، حررها يوسف إيبــش، بيــسان للنــشر والتوزيع والإعلام، بيروت.

ــ الجليلي، محمود (١٤٢٦هــ ــ ٢٠٠٥م)، **المكاييل والأوزان والنقود العربية**، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

ــ الجميلي، رشيد (١٩٧٠م)، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ٥٢١ ــ ٦٣١، ط١، دار النهضة العربية، بيروت.

ــ حسنين، عبد النعيم محمد (١٤٠٢ هــ ــ ١٩٨٢م)، **إيران والعراق في العصر السلجوقي**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ــ الحمدان، محمد عبد الله (١٣٩٤هــ ــ ١٩٧٤م)، **بنو الأثير**، المكتبة الصغيرة، الطائف.

ــ حمدي، حافظ أحمد (بلا ت)، **الدولة الخوارزمية والمغول**، دار الفكر العربي، القاهرة.

ــ الخالدي، طريف (١٩٩٧ م)، **فكرة التاريخ عند العرب**، ط١، ترجمة حسني زينة، دار

النهار، بيروت.

ـ خليل، عماد الدين (١٩٨٣م)، **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية** (بلا ت)، النسخة المعربة، ١٥جزءاً، دار الشعب، القاهرة.

ـ دفتري، فرهاد (١٩٩٩م)، **الإسماعيليون في العصر الوسيط، تاريخهم وفكرهم**، ط١، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق.

ـ الدوري، عبد العزيز (١٩٨٣م)، **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، دار المشرق، بيروت.

ـ ________________ (٢٠٠٦م)، **العصر العباسي الأول**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ـ ________________ (٢٠٠٧م)، **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ـ الديوه جي، سعيد (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، **تاريخ الموصل**، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد.

ـ دي خويه، ميكال يان (١٩٧٨م)، **القرامطة، نشأتهم ودولتهم وعلاقتهم بالفاطميين**، ط١، ترجمة وتحقيق حسني أبو زينة، دار ابن خلدون، بيروت.

ـ روزنثال، فرانز (١٩٦٣م)، **علم التأريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد.

- الرويضي، محمود محمد (١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٢م)، **إمارة الرها الصليبية**، ط١، وزارة الثقافة، عمان.

- الزركلي، خير الدين (بلا ت)، **الأعلام**، ط١٠،، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت.

- زيدان، جرجي (١٩٩٢م)، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ٤ أجزاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- سالم، السيد عبد العزيز (١٩٨١م)، **التاريخ والمؤرخون العرب**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- السامر، فيصل (١٩٨٣م)، **ابن الأثير**، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد.

- سركيس، يوسف اليان (١٣٤٦هـ ــ ١٩٢٨م)، **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة**، مطبعة سركيس، مصر.

- سعداوي، نظير حسان (١٩٦٢م)، **المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- شميساني، حسن (١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م)، **عزالدين بن الأثير الجَزَري**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- صديقي، عبد الحميد (بلا ت)، **تفسير التاريخ**، ترجمة كاظم الجوادي، الكويت.

- **الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون** (١٩٩٨م)، ط١،ترجمه عن العبرية أحمد شحلان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ـ طليمات، عبد القادر أحمد (١٩٦٩م)، **ابن الأثير الجزري المؤرخ**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ودار الكتاب العربي، القاهرة،.

ـ عاشور، سعيد عبد الفتاح (١٩٧٧م)، بحوث **ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**، دار الأحد، بيروت.

ـ عبد الحميد، صائب (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، **علم التاريخ ومناهج المؤرخين**، ط١، الغدير للدراسات والنشر، بيروت.

ـ عبد الله، يسري عبد الغني (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، **معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،

ـ العريني، السيد الباز (١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م)، **مؤرخو الحروب الصليبية**، القاهرة.

ـ العزاوي، عباس (١٩٥٧م)، **التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان**، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد.

ـ العلي، إبراهيم (١٩٩٥م)، **صحيح السيرة النبوية**، ط١، دار النفائس، عمان.

ـ عمار، جمال فوزي محمد، **التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (٥٢١ ـ ٦٦٠هـ)**، ط١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠١م.

ـ الكرملي، أنستاس (١٩٨٧م)، **النقود العربية والإسلامية وعلم النمّيات**، ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

ـ كريستِنِسن، آرثر (بلا ت)، **إيران في عهد الساسانيين**، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة

العربية، بيروت.

ــ ليسترنج، كي (١٣٧٣هــ ــ ١٩٥٤م)، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد.

ــ ليسز، يعقوب (١٩٨٤م)، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة صالح أحمد العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

ــ المباركفوري، محمد عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار بيت الأفكار الدولية، عمان، بلا ت.

ــ متز، آدم (١٤١٩هــ ــ ١٩٩٩م)، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، جزآن، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريدة، دار الفكر العربي، القاهرة.

ــ مصطفى، شاكر (١٩٧٩م)، **التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**، ٥ أجزاء، ط١، دار العلم للملايين، بيــروت.

ــ مقدسي، جورج (١٤١٤هــ ــ ١٩٩٤م)، نشأة الكليات، **معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**، ط١، ترجمة محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جــدة.

ــ ــــــــــــــــــــــــــــ (١٩٨٤م)، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ترجمة صالح أحمد العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

ــ المنجد، صلاح الدين (١٣٩٨هــ ــ ١٩٧٨م)، **أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب**، ط١، ٣ أجزاء، دار الكتاب الجديد، بيروت.

ـ هرنشو، ف. ج. سي (١٩٤٤م)، **علم التاريخ**، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

ـ هِنتس، فالتر (١٩٧٠م)، **المكاييل والأوزان الإسلامية**، وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية.

٢ـ الدوريات باللغة العربية:

ـ أحمد، إبراهيم خليل، (١٩٨٦م)، **أثر عز الدين بن الأثير في تطوير الكتابة التاريخية العربية**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (٢٧).

ـ أمين، حسين (١٩٧٩م)، **الدعوة العباسية**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (١٠).

ـ ـــــــــــــــــــــــ (١٩٨٠م)، **الدولة السامانية**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (١٥).

ـ بيات، فاضل مهدي (١٩٨١م)، **السياسة السلجوقية في العراق**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (١٨).

ـ التكريتي، محمود ياسين، (١٩٨٦م)، **الرؤية التاريخية عند ابن الأثير.. في كتابه "الباهر في الدولة الأتابكية"**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (٢٧).

- الجلبي، داود، (١٩٤٨م)، **كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب**، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج (٢٣).

- خطاب، محمود شيت (١٩٨٥م)، **بلاد الجزيرة قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه**، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج (٣٦)، (ج١).

- خليل،عماد الدين (١٩٧٩م)، **صفحات مجهولة من تاريخ الغزو التتري**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (١١).

- الدجاني، زاهية راغب (١٩٧١م)، **المدارس النظامية، تسع مدارس أسسها نظام الملك في القرن الخامس الهجري**، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، ع (١٥١).

- الدوري، عبد العزيز (١٩٥٧م)، **ضوء جديد على الدعوة العباسية**، مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة بغداد، مطبعة الرابطة، بغداد، ع (٢).

- ـــــــــــــــــ (١٩٧٨م)، **نشأة الثقافة العربية الإسلامية**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، مج (١)، ع (١).

- رضا، محمد سعيد (١٩٨٠م)، **ابن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة، "قسم الجزيرة"**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (١٤).

- سينو، أحمد (١٩٨٦م)، **القبائل العربية في الجزيرة الفراتية منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر العباسي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، بيروت، ع (٨٩/ ٩٠).

- العدوي، إبراهيم أحمد (١٩٦٧م)، **مشاهير مؤرخي سيرة الرسول** ﷺ، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مج (١٣).

ـ علي، جواد (١٩٥٠م) و(١٩٥٤م)، **موارد تاريخ الطبري**، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (مج١) (ج١)، و(مج٣) (ج١).

ـ العمري، أكرم ضياء (١٩٧٠م)، **نظرة في مصادر دراسة السيرة**، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، دار النذير، بغداد، بلا ر ع.

ـ المشهداني، محمد جاسم حمادي (١٩٨٣م)، **أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطور الفكر التاريخي**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (٢٣).

ـ ــــــــــــــــــــ (١٩٨٤م)، **نهاية النفوذ السلجوقي في العراق**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع (٢٥).

ـ ناجي، عبد الجبار (١٩٧٨م)، **القيمة العلمية لمادة تاريخ الطبري عن ثورة الزنج**، مجلة المورد، مج (٧)، ع (٢).

ـ نصر، سوسن محمد (١٩٩٠م)، **منطقة الجزيرة الفراتية بين التفكك والوحدة خلال القرن السادس الهجري**، مجلة الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ع (٧).

ـ النعيمي، سليم (١٩٦٧م)، **ظهور الخوارج**، مجلة المجمع العلمي، العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج (١٥).

ـ أبوهدهود، طارق محمود (٢٠٠٥م)، **اتجاهات القبائل العربية في التطورات التاريخية بين عامي ٣٥ ـ ٤٠هـ**، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمان، ع (٢٠١).

٣ــ الرسائل الجامعية باللغة العربية:

ــ حاج ياسين، رياض حمودة، (٢٠٠٨م)، **البيروني ودوره في الكتابة التاريخية**، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

ــ الشهاب، عبد الرحيم بخيت مفضي، (١٩٩٥م)، **العماد الأصفهاني الأديب**، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان الأردن.

٤ــ الرسائل الجامعية باللغة الإنجليزية:

Hammad. Mona. **Latin and Muslim Historiography of the Crusades:A comparative study of William of Tyre and Izz Ad–din Ibn Al-Athir**. Ph. D. Thesis, University of Pensylvania , Department of History, Philadelphia, 1987.

٥ــ المخطوطات:

ــ الأصفهاني، عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب، (ت ٥٩٧ هــ / ١٢٠١م)، **نصرة الفترة وعصرة الفطرة**، مخطوط، المكتبة الأهلية، باريس، رقم: ٢١٤٥ (ARABE).

٦ــ الموسوعات ودوائر المعارف:

ــ إليسيف، ن، **مادة جزيرة ابن عمر**، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١١، دار الشعب، القاهرة، بلا ت.

ــ التونسي، محمد خليفة، **تاريخ الأمم والملوك**، موسوعة تراث الإنسانية، مجلد١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، بلا ت، ص٧٤٥ ــ ٧٦١.

ـ جب، **مادة تأريخ**، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٤، انتشارات جهان، طهران، بوذر جمهري، بلا ت.

ـ تدمري، عمر عبد السلام، **مادة ابن الأثير**، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجلد ١، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٤م.

ـ العبادي، عبد الحميد، **مادة ابن الأثير**، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١، ، دار الشعب، القاهرة، بلا ت.

ـ هارتمان، ر، **جزيرة ابن عمر**، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١١، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٥، دار الشعب، القاهرة، بلا ت.

٧ـ وقائع ندوات ومؤتمرات:

ـ تدمري، عمر عبد السلام (١٩٨٢م)، **الحضور التاريخي لمدينة طرابلس الشام من خلال (الكامل في التاريخ) لابن الأثير**، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل.

ـ الدوري، عبد العزيز (١٩٦٥م)، **دراسة في السيرة ومؤلفها ابن إسحاق**، مقدّم إلى دورة مجمع اللغة العربية في بغداد، مطبعة العاني، بغداد.

ـ العبود، عبد الكريم توفيق (١٩٨٢م)، **القيمة الأدبية في كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير**، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل.

ـ فرحان، محمد جلوب، (١٩٨٢م) **منهجية ابن الأثير في كتاب (الكامل في التاريخ)**، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل.

ـ لونغ، و، لفيرد ماد (١٩٩٩م)، **الفاطميون وقرامطة البحرين**، منشور ضمن كتـــاب: الإسماعيليون في العصر الوسيط، تاريخهم وفكرهم، تحرير فرهاد دفتري، ترجمة سيف الدين القصير، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق.

ـ محفوظ، حسين علي، (١٩٨٢م)، **أبناء الأثير في المراجع العربية والأجنبية**، بحوث ندوة أبناء الأثير، كلية الآداب، جامعة الموصل.

ثانياً: المراجع الحديثة باللغات الأجنبية:

١ــ الكتب:

- Cahen. Claude. **La Syrie du nord al ' epoque des Croisades et La Principaute Franque d' Antioche**. Paris. Libraire orientaliste Paul Geuthner. 1940.

- Elisseeff, Nikita, **Nur Ad-din un grand prince Musulman de Syrie au temps des Croisades (511 – 569 h \ 1118 – 1174 ad)**, 3 Vol, Institut Francais de Damas, 1967.

- Gabrielli. F. **Arab Historians of the Crusades**. Translated from the Italian by E. J. Costello. Routledge & Kegan Paul. London, Melbourne and Henley, 1978.

- Gibb, Hamilton, **The life of Saladin from the works of Imad Ad-din and Baha Ad-din**, Oxford University Press, London, 1973.

- Hillenbrand Carole, **The Crusades Islamic Perspectives**, Aremarkable contribution to the history relations between east and west, Routledge, New York, 2000.

- Lewis, Bernard, and P. M. Holt, **Historians of The Middle east**, Western Printing services, London, 1964.

- Maalouf, Amin**, The Crusades through Arab eyes**, first published, Al Saqi books, London, 1984.

- Marvic, Arthur, **The Nature of History**, Mcmilan, London, 1970.

- Riley-Smith, Jonathan, **The Atlas of The Crusades**, Times Books, London, 1991.

- Runciman, S, **Ahistory of the crusades**, Vol. II, Cambridge, 1962.

- Watt, W, Montgomery, **Muhammad at Mecca**, Oxford University Press, London, 1968.

- ____________________ **, Muhammad at Medina**, Oxford University Press, London, 1968.

٢ـ المقـالات:

- Ahmad, M. Hilmy (1964),(**Some notes on Arabic historiography**

during the Zengid and Ayyubid periods (521\1127 - 648\1250). Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London, P 79 – 97.

- Cahen, Clude (1964), **TheHistoriography of the Seljuqid period**, Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London, P 65-66.

- Dahan, Sami (1964) , **The Origin and Development of The Local Histories of Syria,** Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western Printing services, London, P 108-117.

- Gabrielli, Francesco (1964**), The Arabic Historiography of the Crusades**, Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London, P 98-107.

- Rosenthal, F (1971) **,(IBN AL ATHIR),** The Encyclopaedia of Islam, (new edition). Leiden. E. J. Brill, P 723 – 725.

- Watt, W, Montgomery (1964), **The materials used by Ibn Ishaq**, Historians of the middle east. edited by Bernard Lewis and P.M.Holt, Western printing services, London , P 23-34.

****

IBN AL-ATHIR AND HIS ROLE IN WRITING HISTORY

by
Tareq Mahmoud Mahmoud Abu Hadhoud

Supervisor
Dr. A. A. Duri, Prof.

ABSTRACT

This study discusses the role of Izz Ad-din Ibn Al-Athir (d 630h /1233ad) in writing history. It tries to explore his plan, his main concerns, his sources and finally his research method.

Ibn Al-Athir wrote four books which can be classified as a history works. These books are: ALLubab fi Tahtheeb Alansab, Usd AlGhaba fi Ma'rifat Assahaba, AlBahir fi Tarikh addawla alAtabikiyah, AlKamil fi'ttarikh, on which this study concentrates because Ibn Al-Athir's research methods are best seem.

The study concluded that Ibn Al-Athir maintained in Al-Kamil the unity of subject within the achronological sequence of events. In this case, he wrote down events within a continuous historic context to form complete image about them.

Ibn Al-Athir had a variety of interests. Even though his writing -in general- had a nature of political and military history, part of them included different cultural, economical and social aspects. These aspects had his concern because they had much influence on people's life and the stabilility of society.

Ibn Al-Athir had his own vision of his sources and issues. He was critical of his sources, and often expressed his opinion.